

# محمد بن دريد وكتابه الجوهرة

تأليف  
د. شرف الدين علي الراحي  
مدير العلوم اللغوية  
لمسة الآداب - جامعة الإسكندرية

تقديم  
الأستاذ الدكتور عبد الرأحيم  
أستاذ العلوم اللغوية  
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٨٥

دار المعرفة الجامعية  
في شارع موتير - الأزاريطة  
الإسكندرية



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه  
أجمعين ، وبعد

فقد عرف علماء العربية العمل . المعجمي « منذ فترة باكرة جداً من تاريخ  
الدرس اللغوي لدى الأمم ، وقد تتابعت جهودهم من كتابة « الرسائل اللغوية »  
التي تعد معاجم متخصصة في « موضوع » واحد ، إلى المرسعات المعجمية  
الكبيرة ، كما تتابعت هذه الجهود على امتداد القرون الماضية في الشرق العربي وفي  
الغرب الإسلامي على السواء .

وإذا كان العصر الحاضر قد شهد تطوراً هائلاً في فن صناعة « المعجم » ، بأن  
الوضع قد « إنعكس » عندنا حتى أصبح فيه القول بأننا غير جديرين بترائنا  
الذي قدمه إلينا أسلافنا الكبار .

على أنه ما من شك في أن الخطوة الأولى نحو التقدم هي أن نفهم قديمتنا فهما  
أصيلاً ثم نسعى بعد ذلك إلى الجديد لنتمثله تمثلاً يوائم خصائصنا الذاتية .

والدراسة التي يتقدم بها الدكتور شرف الدين الراجحي هي لإسهام في  
هذا السبيل ؛ فإن دريد واحد من كبار المتبحرين العرب ، وكتابه الجيزة له  
مكانه في تقديم اللهجات التي لا تزال في حاجة إلى جمع مادتها من كل المصادر المتاحة  
الأدبية واللغوية ، ولعلمها مع ما تنتظره من نتائج الحفريات الأثرية التي تجري الآن  
في شبه الجزيرة وما قد نتوصل إليه من نفوس قديمة ، أن تعيننا على فهم التطور  
اللغوي للعربية .

إن الدراسات التي يتقدم بها الباحثون للحصول على درجات عليية جامعية وفيها هذه الدراسة - لا ينبغي أن تظل حبيسة المكتبات الجامعية ، بل ينبغي تخرج إلى الناس ، وبخاصة أن هذه الدراسات تحظى بشيء من العناية نتيجة عرضها على لجنة من المختصين من أصحاب التجربة الطويلة ، فيضيف تصويهم لها أهمية خاصة . إننا نرجب بنشر هذه الأعمال بهذا الفهم ، ومن ثم نرحب بهذه الدراسة عن محمد بن دريد وكتابه الجمهرة .

دكتور

وبالله وحده التوفيق

عبدالله الراجحي



## مقدمة

لم تهتم أمة بلانتها اهتمام العرب بلغتهم - وكانوا يفاخرون بفصاحتهم حتى أنزل الله تعالى القرآن الكريم على نبيه بالعربية - اعجازا وتحديا لفصاحة العرب - وانتشر الإسلام وأصبح القرآن الكريم الدستور الأول للمسلمين ودخل في الإسلام عدد كبير من غير العرب واختلطوا بالعرب الخاص فتسرب المحن إلى الألسنة العربية ، وكان هذا خطراً يهدد حياة العربية - لغة القرآن الكريم - فهب علماء اللغة يجمعونها ويحافظون عليها وكانت جهودهم المبكرة تنحصر في رسائل صغيرة تتعلق بما يهتم به العربي ويفخر بها مثل الفرس والوحش والشاة وجاء الخليل بن أحمد فقدم لنا أول معجم حقيقي في اللغة العربية ورتبه على الترتيب الصوتي وكان باكورة طيبة ومدخلا يسر السبل لغيره من الخلف ، وجاء محمد بن دريد ، وقدم لنا معجمه د جمهرة اللغة ، ورتبه على الترتيب الهجائي وسار على طريقة الخليل في نظام التعليلات ، لكنه خالفه في كثير من الأمور واستطاع ابن دريد أن يقدم لنا بحق منهجا جديدا للنظام المعجمي إذ هو أول عالم لغوي اتبع النظام الأبجدي الذي سار عليه كثير من أصحاب المعاجم وإن كانوا قد خالفوه في الترتيب والمنهج والمواد ، وإذا كان معجمه لم ينل الشهرة في عصره فإنه جمع في كتابه مواداً لغوية تبين فصاحة العرب وحرصهم على لغتهم والإبداع فيها ، ثم إنه مثلاً كتابه بثرات شعري لفظا حل الشعراء الجاهليين وبمجموعة من النواذر بجماعة من اللغويين الأوائل ضاعت كتبهم أو كادت تضيع ، ولقد شارك ابن دريد بجهوده في المراحل الأولى التي مهدت لظهور فن المعاجم العربية فقد كتب في السحاب والمطر وغريب الحديث وغريب القرآن ، ونعتبره لذلك من الرواد الأوائل الذين شاركوا في تأسيس فن المعجم العربي ، ومهد الطريق أمام غيره .

فهاجم بعضهم وأثنى عليه كثيرون واتبعه بعضهم واعتبروه حجة في اللغة ، ونقل كثير من علماء اللغة في معاجمهم وأمالهم أقواله التي ذكرها في الجهرة .

هذا هو ابن دريد الذي اخترت أن يكون بحثي هذا مهدى إليه ، وقد قسمت هذا البحث إلى بابين ، ينقسم كل باب إلى فصلين ، تحدثت في الفصل الأول من الباب الأول عن الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية في عصره وألححت إلى ظروف الحياة السياسية في ذلك العصر وما كان يتمتع به الترك من غلبة على الخليفة ، وعلى نظام الحكم وماتبع ذلك من اضطراب وضعف للخلفاء والخلافة وذكرت أثر تلك الحياة على شخصية ابن دريد العلمية ، وتحدثت عن الحياة الثقافية في ذلك العصر فأشرت إلى علوم التفسير والحديث وأشهر شعراء ذلك العصر وأشهر ناقديه ، وألححت إلى جهود ابن دريد النثرية التي كانت قد مهدت الطريق إلى ظهور فن (المقامات) ، وجعلت الفصل الثاني من الباب الأول حياة ابن دريد فذكرت شيوخه وطلبه للعلم وشخصيته العلمية وشخصيته العادية وذكرت تحليلا لتهمة شرب الخمر التي اتهمه بها كثير من العلماء وأنزلوه منزلة دانية بسبب تلك التهمة ثم تحدثت عن ابن دريد شاعراً ونائراً فذكرت جهوده الشعرية وبخاصة المقصورة التي كان ابن دريد أول من نظمها ، أما الباب الثاني فله قسمته إلى فصلين تحدثت في الفصل الأول عن آثاره العامة ومآثره لنسا من ثراث يفيد الباحث اللغوي فذكرت أهم مؤلفاته مثل الاشتقاق ، ومررت مستغرماً على مؤلفاته مثل المجتبى ، وكتابه الملاحن ، الذي حاول فيه أن يظهر براعته اللغوية في قلب معاني الكلمات وتغيير ألفاظها ، وكان اهتمامي بمقصوده الرائعة التي مدح بها ابنى ميكال والذي كان قد اخترعها ولم يسبقه أحد من القدماء واتبعه أو عارضه فيها كثيرون ، ثم ذكرت طرفاً من شعره الذي أظهر براعته اللغوية وروحه الطييفة المداعبة ، وفي

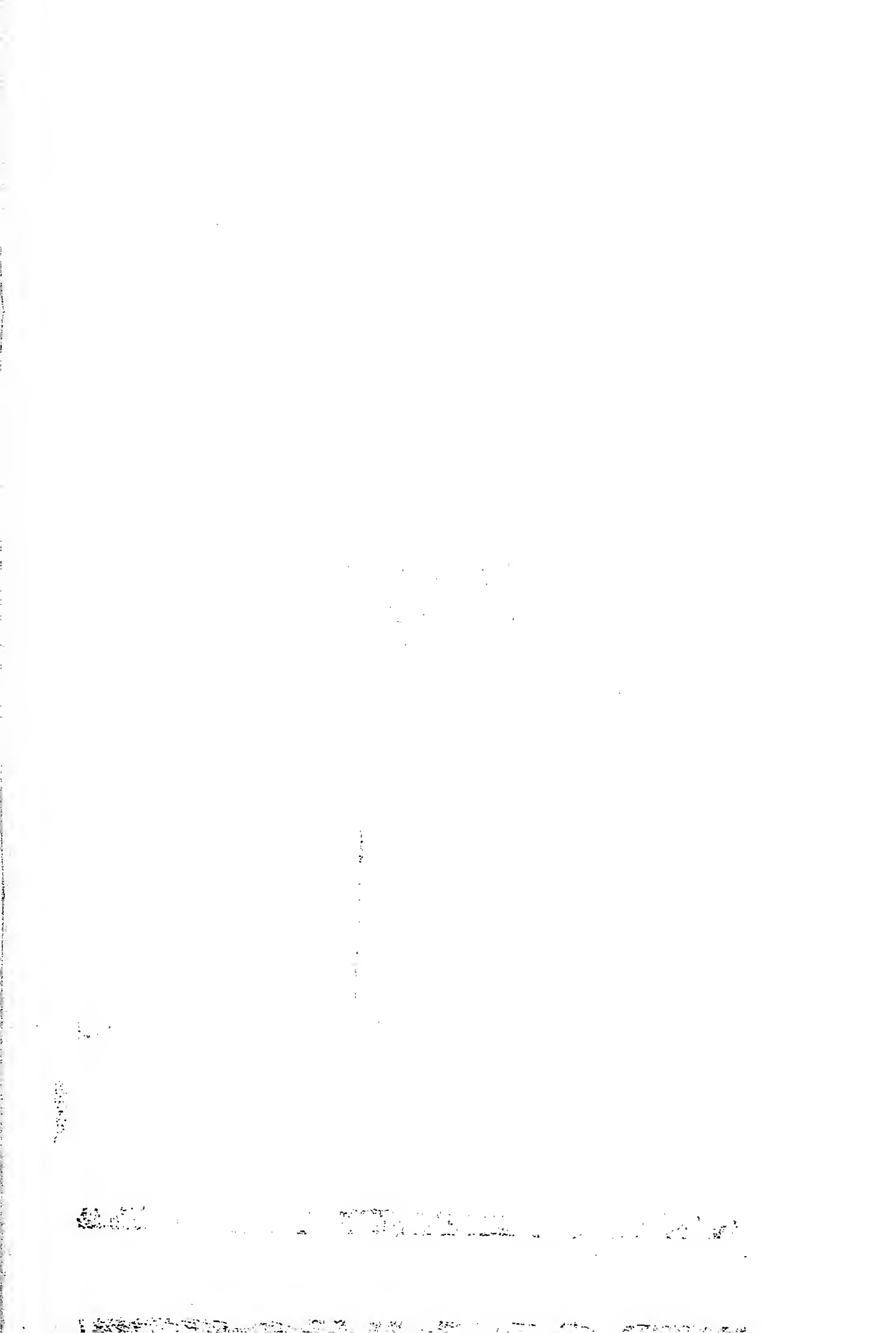
الفصل الثانى الذى خصصته بكتاب جمهرة اللغة ، فقد قدمت له بمقدمة عن تطور فن المعاجم العربية وتأسيسها فذكرت جهود الأوائل فى التأليف اللغوى وأيقنت أن أول التأليف فى حى اللغة كان مهتما بالقرآن الكريم والحديث الشريف وهما أساسا الدين ، وذكرت جهود الخليل بن أحمد ، فى كتابه العين الذى كان سابقا لابن دريد وبينت الآراء التى تبين فضل الخليل والآراء التى تنكر نسبة العين إلى الخليل وذكرت بعد ذلك تأليف ابن دريد للجمهرة وسبب اختياره لهذا الاسم ، ومنهجه فى المعجم ، وحاولت تحايل بعض المواد والنظام الذى اتبعه فى معجمه ، وذكرت آراء اللغويين الذين هاجموا ابن دريد والذين دافعوا عنه ، وحاولت أن أقف محايذا بين الرايين ، ثم ذكرت عيوب الجمهرة ومزاياها ، وختمت البحث بتطور التأليف فى المعاجم حتى عصرنا الحديث وأشارت إلى جهود المستشرقين مثل لين وفيشر ، فى الكتابة عن المعاجم العربية ، ثم ذكرت النتائج التى حاولت أن استخلصها من خلال دراستى لحياة الرجل ومؤلفاته ، وأخيرا فما زلت أخطو على أول الطريق درسا للعربية - لغة القرآن الكريم - وندعو الله تعالى أن يأخذ بيدنا على طريقه حتى ندفع عن عربيتنا كل هجوم ، ويدين منهج هذا البحث إلى استاذى واستاذ أساتذتى الدكتور السيد أحمد خليل الذى كان يشير إلى بلجات تفهؤى علما .

والله أسأل أن يهدينا إلى سواء الصراط وأن يأخذ بيدنا حتى نحقق للغة القرآن الكريم ما يصبو إليه كل محب للعربية والقرآن الكريم .



# البَابُ الْأَوَّلُ

---



# الفصل الأول

الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية

في عصر ابن دريد





## أولاً: الحياة السياسية

يتميز العصر العباسي الأول (١٣٢ - ٢٣٢ هـ) بقوة الخلافة وعظمة الخلفاء ومجد الدولة وكان العباسيون قد أسندوا إلى الفرس، أولئك الذين ساعدوهم على قيام دولتهم، معظم المناصب السياسية في الدولة، مما مكنهم من التغلغل في جميع شؤونها، وصبح ذلك بالصيغة القارسية. ويتسم العصر العباسي الثاني (٢٢٢ - ٣٣٤ هـ) بضعف الخلافة، وكان الخلفاء لعبة بين يدي الأتراك الذين لعبوا دوراً خطيراً في هذا العصر ويعتبر الخليفة أبو جعفر المنصور المتوفى عام ١٨١ هـ أول من استخدم الأتراك، ولكنهم كانوا قلة قليلة لا سطوة لها ولا سيطرة. وكان العرب والفرس يسيطرون على أغلب شؤون الدولة، ولقد ألف الخليفة المأمون فرقة صغيرة منهم ولكنهم بعيدين عن شؤون الدولة وسياساتها لئلا يميل المأمون إلى الفرس وهم أخواله.

وجاء المعتصم - وهو الخليفة الذي ولد في عهد ابن دريد - وكانت أم المعتصم ماردة سخرية وكان أبوما قد نشأ بالسواد أو بالبندنجين ويقال أنها كانت من دولات الكوفة (١)، واستقدم المعتصم عام ٢٢٠ هـ عدداً كبيراً من الأتراك استراهم وبذل فيهم أموالاً طائلة وراجمع له منهم أربعة آلاف فأبجسهم أنواع الديباج والمناطق المذهبة والحلية المذهبة، وأبانتهم بالزى عن سائر جنوده (٢).

(١) تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، لمحمد بن جرير الطبري تحقيق محمد أبو الفضل ج ٩ ص ١٢٣

(٢) مروج الذهب وهدادن الجواهر، تصنيف علي بن الحسين المسعودي، تحقيق محمد محي الدين تبه الجيد ج ٤ ص ٥٣

وقد بلغ اهتمام المعتصم بالأتراك أنه كتب إلى عماله باسقاط من في دواوينهم من العرب وقطع العطاء عنهم ومنعوا الولايات وانتقلت سياسة الدولة من أيدي الفرس إلى أيدي الأتراك الذين أخذوا ينكرون بالفرس والعرب جميعا .

ورغم ذلك فإن المعتصم حافظ على النزعة العربية المتعصبة ودليل ذلك ما يروى عن تجهيزه جيشا لمحاربة الروم لأن رجلا روميا صفع امرأة عربية كانت تساومه ثمن سلعة ونادت المرأة « وامعتصماه ، فكان أن أمر المعتصم بتجهيز جيش لحرب الروم وتنتهى الحرب بفتح عمورية ، وقد أشاد بهذه الحرب الشاعر أبو تمام في شعره .

وكان أهم عمل قام به المعتصم بعد توليه الخلافة أن طلب الإمام أحمد بن حنبل وكان في سجن المأمون وامتنحه بخلق القرآن مدة خلافته وكانت محنة خلق القرآن فتنة تعرض لها المسلمون بنخير حق ، سالت فيها دماء طاهرة ، ونادى المعتزلة بخلق القرآن ، وكانوا بذلك يدافعون عن عقيدة التوحيد — فوحدانية الله — ينشأ في معها وجود شيء له صفة القدم والأزلية كالقرآن مثلا — هذا هو رأيهم — ويذهب أحمد أمين إلى أن القول بخلق القرآن « ظهر في أواخر الدولة الأموية على لسان الجعد بن درهم ، الذي كان معلما مروان بن محمد ، وقيل إن الجعد أخذ ذلك عن أبان بن سمعان ، وأخذه أبان عن طالوت بن أعصم اليهودي ، (١) ، ويرى بعض الباحثين أن مصدر هذه الفتنة كان يهوديا مستندا إلى رواية ابن قتيبة الذي ذهب إلى أن « المغيرة بن سميذ العجلي ، كان يقول بخلق القرآن ، وقد أخذ ذلك عن بيان بن سمعان ، اليهودي الأصل ، (٢) ، ويذكر الخطيب البغدادي أن بشرا

(١) ضحى الإسلام ، الجزء الثالث ص ١٦١ ، أحمد أمين

(٢) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ج ٢ ص ١٤٨

المريسي المتوفى عام ٢١٨ هـ اليهودي الأصل، كان يقول بخلق القرآن في أيام الرشيد، وظل يدعو لذلك نحواً من أربعين سنة، (١).

وتسلط جماعة من المعتزلة وفي مقدمتهم القاضي أحمد بن أبي دؤاد على المأمون وأدخلوا في روعه مسألة لا تغيب في شيء، بل إنها تسيء إلى جمهرة علماء المسلمين ونزع الفرقة بينهم، وبعث المأمون كتاباً إلى اسحق بن إبراهيم عامله على بغداد يأمره أن يستحضر علماء بغداد وقضاة في موضوع (خلق القرآن) ونشر الكتاب في الأمصار الإسلامية وجرى امتحان القضاة فيها أما في بغداد عاصمة المقاومة فقد صمد الإمام أحمد بن حنبل، وقد اضطرب المأمون وهو في طرطوس أن يبعث في طلبه هو «ومحمد بن نوح» فحملوا إليه حملاً غير كريم ولكن المأمون يموت والإمام أحمد ورفيقه في الطريق إليه ويعاد الإمام أحمد مقيداً إلى بغداد ويموت ابن نوح في الرحلة ويودع الإمام أحمد السجن حتى يتم تعيين الخليفة الجديد، وكان المأمون قد أوصى أخاه المعتصم بأن يحمل الناس على القول بخلق القرآن ويقد بجلساً للمناظرة وفيه عبد الرحمن بن اسحق، والقاضي أحمد بن أبي دؤاد وغيرهما فناظروا أحمد بن حنبل ثلاثة أيام ولم يزل معهم في مناقشة إلى اليوم الرابع فأمر بنخربه بالسياط ونخس بالسيوف ويعذب ويودع السجن ثمانية وعشرين شهراً ثم حمل وصار إلى منزله وظل هكذا في أيام الواثق حتى رفع المتوكل عنه المحنة ومات.

وبنى المعتصم في عصره سائراً «فارتفع البنيان وأحضر له الفعلة والصناع وأهل المهن من سائر الأمصار ونقل إليها أنواع الثروس والأشجار، (٢)،

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٧ ص ٦٠

(٢) سروج الذهب ومجادن الجواهر، لعلي بن الحسين المسعودي، تحقيق محمد

محي الدين عبد الحميد، ج ٤ ص ٥٥

وارتفع البناء وشيدت القصور وكثرت العماره واتسع رزق الناس وأصبحت مدينة عظيمة وكان وزراء المعتصم محمد بن عبد الملك إلى آخر أيامه وغلب عليه أحمد بن أبي دؤاد .

أما أهم الحروب التي دارت في عصر المعتصم — فهناك الحرب التي وقعت بينه وبين بابك الخرمي وكان بابك بهذا قد ظهر عام أربع ومائتين ولكنه لم يلبث أن اشتد أمره وفرق الجيوش وهزم الجند المجندة وقامت معارك صغيرة بين بابك وبعض قواد المعتصم انتمى فيها المعتصم وهزم أحيانا ولكن الفضل الكبير يرجع إلى الأفشين في حرب بابك والقضاء عليه ، وأهم الحروب التي دارت بين الأفشين وبابك كانت «أرشق» وفيها خدع الأفشين بابك بانصرافه عن «أرشق» وقامت معركة وقتل عدد كبير من أصحاب بابك لكنه استطاع الهروب إلى قريته «البذ» وفي عام ٥٢١ هـ حدثت موقعة أخرى بين بابك والأفشين ، وكان قد أرسل «بغا الكبير» أحد قواد الأتراك لحرب بابك ولكنه هزم فاستعد الأفشين لحرب جديدة وألحق ببابك عام ٥٢٢ هـ ، وفيها هزم بابك وفتح الله تعالى على المسلمين في ذلك العام قرية «البذ» وأسر جميع حاشيته وأولاده، وأرسل المعتصم لبابك فقابل الأمان بخرقة ومزقة وشتم المعتصم وحاول الهروب إلى جبال أرمينية لكن بطريقاً أغلق الطريق وأرسل إلى المعتصم ، وكان المعتصم قد جعل لمن أسره حيا مائة ألف دينار ودخل بابك بغداد على جمل وفي عام ٥٢٣ هـ أمر المعتصم بقطع يديه ورجليه وتزوج الأفشين بتاج من الذئب ولكن لم يلبث أن يبغض المعتصم بالأفشين ، وهكذا كان جزاؤه جزاء سنهار .

كان بابك يريد أن يقيم الجمهورية بين المسلمين وكانت عبادته تنحصر في التناسخ والحلول والقول بالرجعة والثبوت والإباحة .

أما الحرب الأخرى فكانت بين المعتصم والروم ، وكان توفيل ملك الروم قد أوقع بأهل زبطرة عام ٢٢٣ هـ ، ومضى من فوره إلى ملطية فأغان على أهلها وعلى أهل حصن من حصون المسلمين ، إلى غير ذلك ، وسبى من المسلمات فيما قيل أكثر من ألف امرأة ، ومثل بن صار في يده من المسلمين ، وسمل أعينهم وقطع آذانهم وآنافهم ، (١) . وخرج المعتصم لحرب الروم وكان من قواده ، أشناس التركي ومحمد بن إبراهيم وكانا في المقدمة وفي الميمنة أيتاخ التركي وعلى الميسرة جعفر بن دينار الخياط وعلى - اقلته بنو الكبير وكان جيش المعتصم كما تقول الروايات بين خمسمائة ألف واستطاع الأفشين أن يهزم ملك الروم - وتحصن الروم بحصن عمورية وكان جوطها خندقا وسورا طريلا فر بها المعتصم بالجنايق ويقال أنه كان بالحصن ثغرة كانت مبنية بناء واهيا استطاع المعتصم أن يضرها ضربا شديدا فتحت على أثره عمورية وأسر المسلمون عددا كبيرا من الروم وكانوا قد حاصروا عمورية مدة خمسة وخمسين يوما .

ثم هناك ثورة المازيار وكان صاحب جبال طبرستان وكان قد دعى المعتصم فأرسل المعتصم عبد الله بن طاهر لحربه واستطاع المعتصم أن يقبض عليه ويصلب بجانب بابك ، وقد عدت بعض الروايات المازيارية شعبة من شعب البابكية وقد غضب المعتصم على الأفشين وكان الوشاة قد أوقعوا به وقالوا أنه كان يأخذ الهدايا والأموال ولا يعطى للمعتصم منها شيئا ، أما الوشاة التي تقول أنه كان يدين بدين مازيار وأدعوا أن مازيار كان يدعى الألوهية فهي أقرب إلى الصحة

---

(١) تاريخ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل ج ٩ ص ٥٥

ولذلك حبس الأفشين ومات في الحبس ، وتقول بعض الروايات بأن المعتصم قد صلبه (١) .

ومات المعتصم عام سبع وعشرين ومائتين وخلفه الواثق وسار على نهج أبيه ولم تحدث في عهده أحداث تستحق الذكر فقد كان صورة من أبيه واستمر يدعو إلى فتنة خلق القرآن ، وقتل الواثق أحمد بن نصر الخزاعي في المحنة على القرآن في سنة إحدى وثلاثين ومائتين ، (٢) .

أما المتوكل فقد تولى الخلافة بعد الواثق عام ٢٣٢ هـ ويضيف المسعودي أيام المتوكل بأنها كانت « أحسن أيام وأضرها ، من استقامة الملك وشمول الناس بالامن والعدل » (٣) ؛ وأحدث المتوكل تغييراً حقيقياً على غير ما كان يسير عليه المعتصم والواثق ، وكان يميل إلى أهل السنة ويعمل على نصرتهم وضرب بالسياسات رجلا سب أبا بكر وعمر رضى الله عنهما ، ويرى بروكلمان أنه « كان يرجو أن يتخذ من الشاميين وهم من أهل السنة عضداً يحابه العلويين » (٤) .

وأمر المتوكل أرفع محنة خلق القرآن وعدم التحدث فيها وأمر المتحدثين بالتحديث وإظهار السنة والجماعة فأحترمه المسلمون حتى قال قائلهم « الخلفاء ثلاثة أبو بكر الصديق في يوم الردة ، وعمر بن عبد العزيز في رده المظالم والمتوكل

(١) دول الإسلام للذهبي ج١

(٢) مروح الذهب ومعادن الجوهر تصنيف على بن الحسين المسعودي ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ج٤ ص ٧٦

(٣) نفس المصدر السابق ج٤ ص ٨٦

(٤) تاريخ الشعوب الإسلامية ، كارل بروكلمان ترجمة نبيه فارس ومخير البعلبكي الجزء الثاني ص ٥٢

في إحياء السنة ، ولكنه أساء إلى نفسه لأنه أمر عام ٢٣١ هـ بهدم قبر الحسين رضى الله عنه وما حوله من الدور وأن يحسرت ويزرع ويسقى موضع قبره ، وألا يقربه أحد من الناس وأثار بذلك المتوكل حفيظة المسلمين وخاصة أهل بغداد الذين ردوا على الامانات التي ألحقها بالعلويين بسبه في المساجد والطرق وحدث في عهده من الحوادث الطبيعية هبوب عاصفة شديدة على بغداد ن البعرة والكوفة وغيرهما من مدن العراق فاحترق الزرع والماشية وانقطعت المواد الغذائية عن الأسواق في بغداد وانتشرت المجاعة وذلك كثير من الناس ، ثم إن الروم كانوا قد استأنفوا غاراتهم على الدولة العباسية فأغاروا على دمياط وأحرقوا ديارها ، ثم غزوا قابقلا في جنوبي آسيا الصغرى وهزموا أهلها .

وظهر في عهد المتوكل رجل يقال له محمود بن الفرج النيسابورى ، فزعم أنه ذو القرنين ومعه سبعة وعشرون رجلا عند خشبة بابك ، وخرج من أصحابه بباب العامة رجلا ن ، وببغداد في مسجد مدينتها آخران ، وزعما أنه نبي ، وأنه ذو القرنين فأتى به وأصحابه المتوكل ، فأمر بضربه بالسياط فحسب ضربا شديدا فمات من بعد ضربه ذلك وحبس أصحابه ، (١)

وغضب المتوكل على وزيرين مشهورين هما محمد بن عبد الملك الزيات فحبسه المتوكل ، والثاني ابن أبى دلوذ وحبسه أيضا وحبس أخوته ، وقد دبر الانراك مؤامرة لقتل المتوكل وكان بغا الصغير قد دعا باغر التركى وأغواء بقتل المتوكل خرفا من بطشه بهم وضربه باغر التركى بالسيف واستقرت الخلافة لابنه المنتصر بالله الذى تولى الخلافة بعد وفاة أبيه عام ٢٤٧ للهجرة .

(١) تاريخ الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبرى تحقيق

وكان المنتصر بخلاف أبيه يحسن إلى العلويين فأزال عنهم ما كانوا فيه من الخوف وسمح لهم بزيارة قبر الحسين وكان أبوه قد منعهم من ذلك وعلى الرغم من أن المنتصر كان يعطف على الأتراك قبل قتل أبيه لكنه لم يلبث أن غضب عليهم وصار يسبهم ويقول : « هؤلاء قتلة الخلفاء » ففكروا في قتله وأغروا ابن طيفور بذلك وكان طبيبه وأعطوه ثلاثين ألف دينار ففصده بريشة مسمومة فمات عام ٢٤٨ هـ ولم يمكث في الحكم سوى فترة قصيرة .

وفي عهد المستعين بالله الذي تولى الحكم من عام ٢٤٨ هـ إلى عام ٢٥٢ هـ نجد الأتراك يصبحون ذا سطوة ونفوذ وأصبح المستعين بالله لعبة في أيديهم — وذكر ابن الأثير — « أن الأتراك انقسموا على أنفسهم فريق منهم على رأسه وصيف بغا صاحب الخليفة إلى بغداد وفريق آخر طالب إليه العودة إلى سامرا ، واعتذروا عما بدر منهم ، فامتنع عن تأييده طلبهم » (١)

ولما رأى الأتراك تنكر المستعين لهم وامتناعه عن العودة إلى سامرا خلعوه وبايعوا ابن عمه المعتز بن المتوكل ومن ثم قامت الحرب بينهما ودامت أشهراً وكان أثر ذلك واضحاً في الناحية الاقتصادية للبلاد فأشتد غلاء الأسعار وانهمزم المستعين ولكنه حاول أن يستنجد بمحمد بن عبد الله بن طاهر فخذله ومال إلى المعتز وبلغ من سطوة الأتراك أنهم استطاعوا أن يوقعوا بين المستعين والمعتز حتى أنهم أوعزوا إلى المعتز بقتل المستعين فقتل .

ويصور أحد الشعراء موقف المستعين من الأتراك بقوله :

خليفة في قفص بين وصيف وبغا

يقول ما قال له كما تقول البيغا



وكان المعتز أيضا مثل المستمين - ضعيف الرأي والسيرة والعقل - وكان  
الأتراك قد استولوا منذ قتل المتوكل على المملكة واستضعفوا الخلفاء ، فكان  
الخليفة في يدهم كالأسير ، إن شاءوا أبقوه ، وإن شاءوا خلعوه ، وإن شاءوا  
قتلوه ، (١) ، ولم يمحض المعتز في الخلافة سوى فترة قصيرة استطاع الأتراك أن  
يخلعوه وأن يشهد على نفسه مكرها « ثم بعد خمسة أيام أدخلوه الحمام ومنعوه من  
الماء حتى عاين التلف ثم أدركوه بماء ثلج فشربه وسقط ميتا ، (٢)

وجاء بعد المعتز المهتدي بن الواثق فتولى الخلافة عام ٢٥٥ هـ وفي عهده نجد  
ثورات وحركات ضده - أولها أن العامة في مستهل خلافته قاموا بثورة في  
بغداد وأبوا مبايعته ولكنه أنفق أموالا في إخماد هذه الثورة وبايعوه ، ثم إن  
الجند ثاروا عليه بسبب استيلاء سليمان بن عبد الله بن طاهر أمير بغداد على  
رواتبهم ، كما أشعل العلويون نار الثورة في كثير من البلاد الإسلامية فقد  
ثار الحسن بن زيد العلوي بطبرستان وثار أحمد بن عيسى الشيخ وكان أبوه واليا  
على فلسطين والأردن ولما مات أبوه ضم الابن دمشق إليه واهتنع عن حمل المال  
إلى دار الخلافة ، وانتهاز فرصة اضطراب أحوال الدولة فصور لنفسه العصيان  
والاستيلاء على بلاد الشام كلها وطمع في مصر ولكن المهتدي عمده إلى التخلص  
منه بالمكر والخديعة فولاه أرمينية على أن يستخلف من ينوب عنه في ولاية  
الشام ليقتضيه عنها ، وندب ابن طولون لقتاله على أن يحكم الشام لكنه استعفى عنها ،  
وقدم ماجور التركي من العراق وهزم قوة ابن الشيخ واستولى على دمشق ولحق  
ابن الشيخ بنواحي أرمينية فترلى ماجور أعمال الشام كلها .

(١) الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية لابن طباطبا

(٢) دول الإسلام للذهبي ج ١

وكان المهتدى العويبة في أيدي الأتراك - وكانت قيادة الجند تحت إمرة موسى بن بغا التركي ولكن المهتدى اتخذ من هذا الضعف قوة لأخذ الثأر فحاول أن يستميل إليه «باكباك» أحد قواد الجيش ولكنه لم يثق بالخليفة وعوده وتعاون مع موسى بن بغا على قتل المهتدى واجتمعت كلمة الأتراك على قتل الخليفة المهتدى على أثر قتله بعض المرائي فثاروا عليه ثم أمروه وخلعوه ولم يكتبوا بذلك حتى عذبه حتى مات في رجب سنة ٢٥٦ هـ (١)

أما الحركات الاجتماعية الدينية الكبرى التي حدثت في ذلك العصر فكانت ثورة الزنج أو فتنة الزنج ، وقد ظهرت هذه الحركة عام ٢٤٥ هـ في آخر عهد المهتدى وتولى المعتمد الخلافة عام ٢٥٦ هـ وقامت حروب بين الدولة والزنج مدة طويلة وقد ساعد على قيام هذه الحركة ضعف الحكومة المركزية في ذلك العصر بسبب استبداد أمراء الجيش وتبدل الحكومة المتواصل (٢) ، وكان مسرح هذه الثورة التي دامت أكثر من أربع عشرة سنة هذه المستنقعات الممتدة بين البصرة وواسط ، وانضمت إليهم جماعات من العبيد الهاربين من الفرس والمدن المجاورة تخلصا من حالتهم ، وكانوا لا يثقون من الأجر شيئا ، بل كانوا يقاتلون من الدقيق والتمر والسويق مما جعلهم إزاء هذه الحالة الاقتصادية والاجتماعية السيئة على أتم الاستعداد للخروج على ولاية الأمر منهم وكان هؤلاء العبيد يعملون لمصلحة بعض المتعبددين البصريين في كسح السباح القائمة قرب البحيرة وسرعان ما ظهر رجل يدعى علي بن محمد وكان يزعم أنه ينتسب إلى علي وفاطمة رضي الله عنهما عن طريق زيد بن علي ويذهب بعض المستشرقين إلى

(١) تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطي ص ٢٤٢

(٢) تاريخ الشعوب الإسلامية ، كارل بروكلمان ج ٢ ص ٥٢

أنه ربما كان ذلك صحيحا لكثرة عدد بيت زيد بن علي ، (١)

ولكن هذا الرأي لا يرقى إلى الصواب فإن الروايات تطعن في نسب ذلك الرجل فبعضها يشير إلى أن هذا الرجل « كان يعتنق نظرية الخوارج في الخلافة » (٢) التي تنادى بأن الخلافة حق لكل مسلم ولو كان عبدا حبشيا وهذه الرواية تناقض رأى بروكلمان الذي ذهب إلى أنه يجوز أن يكون من بيت زيد بن علي ذلك لأن الشيعة تؤمن على العكس من الخوارج بمبدأ التوريث في الخلافة وتقتصر ذلك على أهل البيت وتذهب بعض الروايات إلى أنه كان رافضيا وتذهب أخرى إلى أنه مظهر في نسبه ، (٣)

وقد ذهب بعض الباحثين المحدثين « إلى أنه لم يكن يهدف إلا إلى السلطة وكان يتوسل إليها بكل وسيلة ممكنة ، فهو يدعى النسب العلوي حينما ليجتذب عطف المسلمين ، ويعتق آراء الرافضة إذا وجد في تأويلاتهم ما يخدم أغراضه ، ويتنحل مذهب الخوارج حينما آخر ليجمع حوله الزنج ، (٤)

واقدم دعا على هذا الزنج إلى الخروج على الدولة ، ولقد وعدهم بتحسين حالهم وضمان الحرية والثروة لهم وادعى أيضا أن العناية الإلهية قد أرسلته لانقاذهم بما كانوا يعانونه من بؤس كما ادعى أيضا العلم بالغيب وادعى النبوة وقدم صاحب الزنج العراق عام ٢٤٧ / ٢٤٨ هـ ثم سار عام ٢٤٩ هـ إلى البحرين ودعا إلى تحرير

(١) المرجع السابق ص ٥٣

(٢) مروج الذهب ومهاذن الجواهر للمسعودي ج ٤ ص ١٤٥

(٣) دول الإسلام للذهبي ج ١

(٤) الثياريات الاجنبية في الشجر العربي منذ العصر العباسي حتى نهاية القرن

الثالث الهجري ، عثمان موافى ص ١٩٢

العبيد في البصرة وضواحيها ، واستمال قلوبهم — حتى إنهم تركوا مواليتهم وانضموا إليه ثم سار إلى بغداد عام ٢٥٤ هـ وأقام هناك سنة ، ونقش على لواء صاحب الزنج أن ساعة القضاء على الرق والعبودية قد حانت وأول هذه الآيات الكريمة تأويلا سياسيا قصد به تضليل أنصاره :

« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة  
يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة  
والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم  
الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » (١)

وقد أول صاحب الزنج هذه الآية الكريمة بأن المؤمنين وقد اشترى أنفسهم لم يعودوا بعد عرضة للرق والعبودية .

وقدم صاحب الزنج البصرة ، وتبعه بعض علمائها رغبة في التخلص من الرق وفي يوم الفطر ، خطبهم وصلى بهم وذكرهم ما كانوا ياقونه من ظلم واضطهاد ومنهم بالآمانى الطيبة من إطلاق حرياتهم وتمتعهم بالأموال التي يفتنمونها في حروبهم واتخذ مدينة له سماها « المختارة » وبنها أربلا باللبن ثم جهزها بالغنائم التي استولى عليها وانتشرت جيوش صاحب الزنج في العراق وخوزستان والبحرين ونهبوا القادسية وهزموا أهالي البصرة واستولوا على سفن كثيرة كانت تحمل الحجاج إلى مكة وسار إليهم المهدي لكن أحد قواده هزم وقتل واستولى صاحب الزنج على الأبله والأهواز وغربها واضطر أهل البصرة إلى مغادرة البلاد .

وقد استولى صاحب الزنج على البصرة عام ٢٥٧ هـ وذبح كثيراً من أهلها

ويقال أن عدد القتلى بلغ عشرة آلاف (١) ، ويهمننا هنا أن نذكر أن من بين الذين ذبحوا الرياشي أستاذ ابن دريد ، وقد غادر ابن دريد البصرة آنذاك إلى عمان حتى تبدأ الأمور وعاد بعد ذلك ، واقتحمت جيوش الزنج واسط ورامهرمز وأرسل إليهم المعتمد «موسى بن بغاء» فقتل عدداً كبيراً منهم ولكن هذه الهزيمة لم تقض عليهم فأرسل المعتمد إلى أخيه الذي كان قد نفاه إلى الحجاز وهو الموفق وعهد إليه بقتال الزنج فقساتلهم وأسر بعضهم وأجلاهم عن الأهواز وحاصر المختارة وبنى مدينة إزاءها سماها المرفقية نسبة إليه (٢) وقطع الموفق الإمداد عن «المختارة» واضطر بعض قواد الزنج إلى طاب الأمان ونضم بقية الثائرين إلى الموفق فأمنهم وعفا عنهم وأخيراً سقطت المختارة وقتل (يهودا) وكان من قواد الزنج وحمل رأسه إلى الموفق ، غير أن أحد أنصار صاحب الزنج رمى الموفق بسهم في صدره لكنه لم يلبث أن يقبض عليه ويقتله ابنه العباس الذي ولى الخلافة بعد المعتمد وقتل صاحب الزنج عام ٢٧٠ هـ ، وعلق رأسه على مع وزينت بئداد بأهبي معالم الزينة وطيف برأسه بين مظاهر الزينة وعاد الناس إلى بلادهم .

كانت حركة الزنج دعوة اجتماعية ذات صبغة دينية سياسية ذلك لأن مدعيها حاول أن يستغل بعض المظلومين من رعايا الدولة من الطبقة الكادحة لكن الدولة استطاعت أن تنصرف عليه ، وبتولى الخلفاء المعتضد بالله والمكتفي بالله والمقتدر والقاهر وكانوا جميعاً قد وصلوا إلى غاية من الضعف وانتشرت الفتن في عهد المقتدر وضاعت ممتلكات الدولة في الخارج وخلع المقتدر مرتين وذبح في النهاية ،

(١) دول الإسلام للذهبي ج ١

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٧ ص ١١١

وفي عهد القامر مات ابن دريد عام ٣٢١ هـ ومن عام ٣٢٤ هـ ابتداء عصر أمرة  
الأمراء، وضمف شأن الخلافة العباسية فتقلد ابن رائق منصب أمير الأمراء  
وبنو بويه في العراق وقامت دول مستقلة مثل الدولة الطاعيرية (٢٠٥ - ٥٩ هـ)  
في خراسان ثم انتقلت السلطة إلى الدولة الصفارية (٢٥٤ - ٣٩٠ هـ) ثم الدولة  
السامانية (٢٦٦ - ٣٨٩ هـ).

## ثانياً: الحياة الدينية في عصر ابن دريد

### ١ - علوم القرآن الكريم والحديث الشريف :

يعتبر القرآن الكريم المصدر الأساسي للشرعية الإسلامية ومنبعها للعالم الإسلامي المختلفة وكان المسلمون الأول يتخرجون من تفسير القرآن الكريم ، عرف هذا في عصر عمر رضي الله عنه ويحكى لنا الطبري أن الشعبي مر على السدي وهو يفسر القرآن الكريم فقال « لان يضرب على أمتك بالطبل خير لك من مجلسك هذا (١) » ، على أن الطبري نفسه ذكر أمثلة تدل على أن الصحابة وخصوصاً ابن عباس كان يفسر القرآن تفسير محموداً .

وأخذ تدير القرآن طريقة منتظمة في العصر العباسي الثاني وانبج المفسرون في تفسير القرآن اتجاهين - الاتجاه الأول يعرف باسم التفسير المأثور وهو ما أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم وكبار الصحابة ، وأشهر مفسري هذا النوع بن جرير الطبري وابن عطية الأندلسي والقرطبي . أما الاتجاه الثاني فيعرف باسم التفسير بالرأى وهو يعتمد على العقل أكثر من إعتاده على النقل وأشهر مفسري هذا النوع المعتزلة والباطنية .

وكان لابن مجاهد المتوفى عام ٣٢٤ هـ دور كبير في علم القراءات ، وضرب أبو علي ابن مقلة دابن شنبوذ بالسوط - ويرغم آدم منز أن الدولة كانت تحارب علم القراءات ولذلك ضرب أبو علي بن مقلة بن شنبوذ بالسيف (٢) وهذا رأي

(١) تفسير ابن جرير الطبري - ١ ص ٢٦

(٢) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري لآدم منز ترجمة محمد

عبد الهادي أبو ريده - ٢ ص ١١ .

ضعيف ذلك أن ابن شنبوذ كان يرى باللحن والحق هذا وابن النديم يقول فيه :

« كان دينافيه سلامة قال في الشيخ أبو محمد يوسف بن الحسن الراقي أيده الله عن أبيه أنه كان كثير اللحن قليل العلم وقد روى قراءات كثيرة وله كتب مصنفة في ذلك وتوفي سنة ثمان وعشرين وثلثمائة في محبسه بدار السلطان وكان الوزير أبو علي بن مقلة ضربه أسواطاً فدعا عليه بقطع اليد فأنتفق أن قطعت يده ، (١)

فليس ابن شنبوذ حجة في علم القراءات وقد ذكر ابن النديم أيضاً نصوصاً تبين أنيانه بقراءة تخالف النص والمعنى ولم يذكر ابن النديم سبب ضربه ابن مقلة إياه بالسوط وإن كان يفهم أنه ضربه لأجل تلك القراءات .

وقد اشتهر في ذلك العصر علماء كتبوا في القراءات ذكر منهم ابن النديم عبد الواحد البزار وله كتاب شراذ السبعة وكتاب قراءة حمزة الكبير وابن مقسم وكان أحد القراء بمدينة السلام وله من الكتب كتاب الأنوار في علم القرآن ، وكتاب اجتماع القراءات (٢) ، أما أشهر مفسري هذا العهد فهو ابن جرير الطبري وله مذهب في الفقه أيضاً ، وكتب في التاريخ وأشهر كتبه فيه تاريخ الرسل والملوك وتفسيره الذي يقع في ثلاثين مجلداً يسير على طريقة التفسير بالمأثور وهو يترسخ في الدقة في النقل عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - والتابعين ، وفسر الآيات الكريمة بالروايات المروية عن العلماء وأيد ذلك بالأسانيد المختلفة بالرجال — واهتم ابن جرير في تفسير القرآن الكريم بالرجوع إلى الشعر القديم . لكن الطبري أنار

(١) الفهرست لابن النديم ص ٥٣

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٥٣



عليه كرامة الحنابلة وبعض السنيين الذين اتهموه بأن آراءه تنفق بعض الشيء مع المعتزلة ، مع أنه كان يرد على القدرية آراءهم في القدر كما جادل هلساء الكلام في كثير من المسائل وتمسك بروايات المحدثين العظام مثل البخاري والفيثري وأبي داود السجستاني ولكن الحنابلة وبعض الحنابلة حنقوا على بن جرير ورموه بالرفض والإلحاد وحالوا دون دفنه نهراً فدفن ليلاً في داره .

ويذكر ابن الأثير أن سبب ذلك ، أن الطبري جمع كتاباً ذكر فيه اختلاف الفقهاء لم يصنف مثله ، ولم يذكر فيه أحمد بن حنبل فقبل له ذلك فقال لم يكن فقيهاً وإنما كان محدثاً ، فاشتد ذلك على الحنابلة وكانوا لا يحصون كثرة ببغداد ، فشغبوا عليه وقالوا ما أرادوا (١)

وَألف الرمانى النحوى المتوفى عام ٣٨٥ للهجرة — وهو عالم بالكلام والفقه والنحو والمغة تفسيرا للقرآن الكريم .

أما النوع الثانى من التفسير — وهو التفسير بالرأى — فقد اهتم به المعتزليون والباطنية ولجأت المعتزلة إلى التأويل إذا عترضتهم من الآيات القرآنية ما يخاف مبدأ نفي الصفات عندهم ومن أشهر مفسرى المعتزلة أبو بكر الأصم المتوفى عام ٢٤٠ هـ وأبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني المتوفى عام ٣٢٢ هـ وابن جرير الأسدي .

وصنفت كتب أخرى في معانى القرآن الكريم والقراءات وأشهرها كتاب «إعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه ، وكتاب القراءات لابن قتيبة المتوفى عام ٢٧٦ هـ ، وكتاب القراءات الكبير والصغير لابن مجاهد وكتاب

القراءات لعلي بن بحر الدار قطنى المتوفى عام ٢٨٥ هـ وكتاب نظم القرآن  
والمسائل فى القرآن للجاحظ المتوفى عام ٢٥٥ هـ وكتاب المخلوق لابن على  
الجبائى . (١)

ونجد من قرأ بالهجرة لقراءة أبى عمرو بن العلاء يحيى بن المبارك اليزيدى  
وروى عنه أبو عمر حفص بن عمر الدورى المتوفى عام ٢٤٦ هـ ، وأبو شعيب  
صالح بن زياد السوسى المتوفى عام ٢٦١ هـ .

## ٢ - علوم الحديث الشريف

وإذا انتقلنا إلى علوم الحديث الشريف وكان قد دون فى العصر العباسى  
الاول وقبله بقليل ، فقد اختلفت الآراء حينما بين الصحابة فى تدوين الحديث  
واستقر الرأى على تدوينه ولعل أول من خطا فى ذلك خطوة فعلية عمر بن  
عبد العزيز رضى الله عنه ، وفى القرن الثانى بدأ التأليف فى الحديث فنجد فى مكة  
ابن جريح المتوفى عام ١٥٠ هـ بجمع الحديث ، وفى المدينة محمد بن اسحق  
المتوفى عام ١٥١ هـ ومالك بن أنس المتوفى عام ١٧٩ هـ وعمر صاحب الموطأ  
وبابصرة الربيع بن صبيح المتوفى عام ١٦٠ هـ وحامد بن سلمة المتوفى عام ١٧١ هـ  
وبالكوفة سميان الثورى المتوفى عام ١٦١ هـ وبالشام الأوزاعى عام ١٥٦ هـ وبمصر  
الليث ابن سعد المتوفى عام ١٧٥ هـ .

وحدثت خطوة أخرى فى تدوين الحديث على رأس المائتين وهى مراعاة  
الابواب وخرج حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأقوال الصحابة

(١) الفهرست لابن النديم ص ٥٤

(٢) ضحى الاسلام ، لاحد أمين الجزء الثانى ص ١٠٦

وفتاوى التابعين، وجاء القرن الثالث ونشطت حركة الجمع والنقد وتميز الصحيح من الضعيف وتشريح الرجال والحكم لهم أو عليهم وفيه ألف البخارى المتوفى عام ٢٥٦ هـ الجامع الصحيح وألف مسلم المتوفى عام ٢٦١ هـ صحيحه وفيه ألف سنن ابن ماجه المتوفى عام ٢٧٣ هـ وسنن أبى داود المتوفى عام ٢٧٥ هـ وجامع الترمذى المتوفى عام ٢٧٩ هـ وسنن النسائى ٣٠٣ هـ .

أما البخارى وهو محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه وكان أجداده من الفرس على دين المجوس ولد ببخارى عام ٢٩٤ هـ وكان أبوه محدثا ولما بلغ عشر سنين بدأ فى حفظ الحديث ولما بلغ ست عشرة سنة حفظ كتب ابن المبارك ووكيع وخطا خطوة جديدة فى جمع الحديث فلم يقصر جمع الحديث على ناحيته فقط كما كان متبعاً من قبل فارنحل يطلب الحديث وكانت رحلاته إلى بلخ و مرو ونيسابور والرى وبغداد والبصرة والكوفة وغيرها من المدن وقضى فى هذه الرحلات ستة عشر عاماً كما أن البخارى فرق فى جامعه بين الحديث الصحيح وغيره ولم تكن الكتب السابقة تعنى بذلك ، وكان يحتاج فى ذلك إلى معرفة تاريخية برجال الحديث وتاريخ حياتهم ووفاتهم كما أنه يحتاج إلى مقارنه الأحاديث التى ترويهـ الامصار المختلفة ويحتاج أيضا إلى معرفة مذاهب الرجال من معتزلى وخارجى وشيعى وغير ذلك وكان البخارى حافظا له ذاكرة قوية .

يقول السبكي « أنه كان يحفظ فى صباه سبعين ألف حديث وأكثر ولا يحىء بحديث عن الصحابة والتابعين إلا ويعرف مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم ، (١)

وكان البخارى ما رآ فى تعريف الرجال ونقدهم واقدر وضع كتابه التاريخ  
لتمييز الرجال أما كتابه الجامع الصحيح فإن البخارى يقتصر فيه على الحديث  
الصحيح وهو فى اصطلاح المحدثين الحديث المسند الذى يتصل اسناده عن الرارى  
إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - وجمع فيه نحو ٧٣٩٧ حديثا ، ويدخل فى هذا  
العدد الاحاديث المكررة ، وقد اشترط البخارى فى جماعة شروطا سماها شروط  
البخارى فاشترط فى الحديث أن يكون اسناده متصلا وأن يكون كل راو من  
رواته مسلما صادقا غير مدلس ولا مختلط متصفا بصفات العدالة ، ضابطا متحفظا ،  
سليم الزمن قليل الوهم ، سليم الاعتقاد ، (١)

ونرى عند البخارى أنه لم يقتصر على الاحاديث الصحيحة بهذا المعنى بل  
ذكر احاديث موقوفة ومقطوعة ، وقالوا إنه إنما ذكرنا للاستئناس ، ويمكن  
البخارى نفيا أيضا وبغده السبكي شافعيًا - ولقد رتب كتابه الجامع ترتيبا فقهيًا  
كما فعل مالك فى الموطأ فبعد أن بدأ بباب بدء الوحي أتبعه بالايمان والعلوم ثم  
أتبعه بكتاب الطهارة وقسم كل كتاب من هذه الكتب إلى أبواب ، وجملة الكتب  
سبعة وتسعون كتابا فيها ٣٤٥٠ بابا ولقد نقد البخارى بقطع الحديث فيذكر  
بعض الحديث فى باب وبعضه الآخر فى باب آخر ونقد فى بعض احاديث  
بلغت مائة وعشر حديثا ونقد فى أن بعض الرجال الذين روى لهم غير ثقات  
وقد ضعف الحفاظ من رجال البخارى نحو ثمانين رجلا .

أما صحيح مسلم فصاحبه مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري  
وعنه ابن النديم ومن المحدثين العلماء بالحديث والفقه ، (٢)

(١) ضحى الاسلام لاحمد أمين الجزء الثانى ص ١١٣

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٣٣٦

كان مسلم زليذا للبخارى بل انها يقتربان دائماً للرثيق بهما ويختلف الناس في تقديم البخارى على مسلم والجور يقدمون البخارى ، وامتاز مسلم مثل البخارى برحلاته الكبيرة فرحل إلى العراق والشام ومصر والحجاز وأفاد من البخارى أثناء اقامته في نيسابور . ويوازن على حسن عبد القادر بين صحيحى البخارى ومسلم بقوله . « وإذا ما قارناه ( يعنى صحيح مسلم ) بالبخارى ( أى بصحيح البخارى ) بالنسبة لمحتوياتها في مجموعها ، فإننا نرى بينهما اختلافا شكليا فهو مصنف كالبخارى وقد نظمته حسب الابواب مثله ، ولكن الابواب عند مسلم لم يدعون لها ، وقد كان غرضه كزهيله أن يستخدم كتابه في الفقه ، ولكنه ترك للقارى أن يستنتج وحده ما يراه حقا فيما يظهر له ، وأمر آخر - وشكلى جاء عند العلماء المتأخرين فكلاهما كان يروى الحديث بطرق مختلفة زيادة في الاثبات ولكن البخارى كان يروىها في أبواب مختلفة لسبب استعمال الحديث لهذه الابواب ، أما مسلم فكان يروى ذلك كرها ، (١)

أما مسند أحمد بن حنبل المتوفى عام ٢٤١ هـ وهو الامام الصادق الذى صمد أمام فتنة خلق القرآن وجلد وسجن حتى رفع الخليفة المتوكل المحنة عنه . وقد ترك الإمام أحمد مسنده ويحتوى على زيف وأربعين ألف حديث منها عشرة آلاف مكررة وقد لاحظ بعض المستشرقين أنه جمع « فى مسنده أحاديث تمدح العلويين والامويين ولم يخش بذلك بطش العباسيين » (٢)

وصنفت كتب أخرى وأطلق عليها اسم الصحاح مثل منن أبى داود السجستانى

(١) نظرة عامة فى تاريخ الفقه الاسلامى ، دكتور على عيد القادر

(٢) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع ، آدم مئز ترجمة محمد أبو ريده - ٢

المتوفى عام ٢٧٥ هـ وابن ماجه المتوفى عام ٢٧٣ هـ والترمذى المتوفى عام ٣٠٣ هـ ،  
والنسائى المتوفى عام ٣٠٣ هـ

وأكبر محدثى القرن الرابع أبو الحسن على الدار قطنى المتوفى عام ٣٨٥ هـ  
والعالم النيسابورى المتوفى عام ٤٠٥ هـ ، ولقد ألف الكرابيى المتوفى عام ٢٧٨ هـ  
كتابا فى أسماء الرواة وألقابهم ولقد وضعت الاصول التى ينبى عليها فقه الحديث  
وتكامل بناؤه فى القرن الرابع وقد رتب ابن أبى حاتم المتوفى عام ٣٢٧ هـ ألفاظ  
الجرح والتمديد .

#### الفقه

كان العصر العباسى الاول عصر أئمة مذاهب السنة الأربعة ونستطيع  
أن نعد الإمام ابن حنبل فى عداد العصر العباسى الثانى فقد توفى عام ٢٤٢ هـ  
وظهرت مذاهب فى الفقه — فى العصر العباسى الثانى — غير المذاهب الأربعة  
لكنها لم تنتشر انتشارها ، وأولها مذهب أبى سليمان داود بن على بن داود  
وقد أخذ فقه الشافعى عن بعض تلاميذه ويقال أنه « أول من استعمل قول الظاهر  
وأخذ بالكتاب والسنة ، وألغى ماسوى ذلك من الرأى والقياس » (١) ، عرف  
مذهبه بالظاهرى ، وقد خرج على الاصول والقواعد الفقهية عند الشافعية أنفسهم  
وكان أساس مذهبه العمل بظاهر الكتاب والسنة ما لم يكن هناك دليل منها أو من  
الاجماع على أنه يراد به غير الظاهر فانه لم يجد نص عمل بالاجماع ورفض  
القياس رفضا بانا وقال أن فى عمومات النصوص من الكتاب والسنة ما يعطى كل  
جواب وقد سار ابنه محمد بن داود على شاكلته ومن متبعى داود ابن المغلس

(١) الفهرست لابن النديم ص ٢٨٠

المتوفى عام ٢٢٤ هـ والمنصري والرقى وابن الحلال ، واستمر نذب داود  
الظاهري إلى منتصف القرن الخامس وأشهر اتباعه ابن حزم الذي عرف بابن  
حزم الظاهري ثم اضمحل مذهبه .

ومن أصحاب المذاهب الفقهية ابن جرير الطبري صاحب كتاب الرسل  
والملوك وصاحب التفسير المشهور ، وكان مفسراً ومؤرخاً وفقهاً وكان شافعيًا  
أول الأمر ومذهبه لا يختلف عن مذهب الشافعي وكان قد تلقى مذهب الشافعية  
على الربيع بن سليمان بمصر ، ولقد أداه اجتهاده إلى ما اختاره من كتبه الفقهية  
ألزمها لطيف القول وهو بما اختاره وجوده ، وكتاب الخفيف ألفه بناء على  
طلب وزير المكتفى ، (١)

ومن أصحاب ابن جرير الطبري الدولابي ومنهم أبو الحسن أحمد بن يحيى  
المتكلم وله كتاب المدخل إلى مذهب الطبري .

وقد ظهر مذهب اسحاق بن راهويه المتوفى عام ٢٤٠ هـ لكنه لم يستمر  
واستمرت المذاهب الأربعة في انتشارها وحمل لواء علماء فمّن الحنفية الكرخي  
المتوفى عام ٣٤٠ هـ وأبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص وله كتاب في أصول  
الفقه والمتوفى عام ٣٧٠ هـ وأبو الليث السمرقندي المتوفى عام ٣٧٣ هـ وابن سماعه  
المتوفى عام ٢٢٣ هـ .

ومن المالكية محمد بن يحيى بن إسماعيل الاندلسي المتوفى عام ٣٢٦ هـ  
والمعيطي الاندلسي المتوفى عام ٣٦٧ هـ

ومن الشافعية المروزي المتوفى عام ٣٤٠ هـ وهالك مروزي آخر من فقهاء

---

(١) تاريخ التشريح الاسلامي للشيخ محمد الحضري ص ٢٥٤

الشافعية وهو القاضي أبو حامد بن بشر المروزي وله كتاب الجامع في الأصول والفروع وتوفي عام ٣٦٢ هـ وابن أبي هريرة المتوفى عام ٣٤٥ هـ .

## الحركات والذاهب الإسلامية الأخرى ويتصل أغلبها باللاهوت

### الداخلية والخارجية للدولة

ظهرت في هذا العصر مذاهب أو فرق كان لها علاقة بسياسة الدولة إما مناوئة لها أو مساندة لحركتها وأغلبها كانت معارضة لها منها :

#### ١ - المعتزلة :

وقد نشأت المعتزلة أول أمرها بعيداً عن السياسة لكنها لم تلبث أن دخلت ميدان السياسة، لقد كانوا يدعون أول الأمر إلى الدفاع عن الإسلام ومهاجمة من يخالفهم، لكنهم عندما استولوا على مناصب عليا وصاروا وزراء، وأطلق المأمون والمعتصم والواثق أيديهم في السياسة أذاقوا الناس العذاب في محنة خلق القرآن التي أطفأها المتوكل ولذا نجد شأنهم يضعف في عهد المتوكل .

ويسمى هذه الحركة أحد المستشرقين حركة المفكرين الأحرار في الإسلام ويرجع ظهورها إلى أنها كانت تدل على نزعة التحرر من القيود الثقيلة المتبعة، وعلى القضاء على الفهم السني الصارم للحياة وأنهم رفعوا العقل فوق كل شيء ، (١)

وتقوم عقيدة المعتزلة على التوحيد ونفوا أن يكون لله صفات أزلية من

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام للمستشرق اجناس جولد تسيهر ، ترجمة

محمد يوسف موسى وعلى عبد القادر وآخر ص ١٠١



علم وقدرة وحياه وسمع وبصر ، غير ذاته بل هو عالم قدير حتى سميع بصير بذاته واعتبروا مسألة نفى الصفات أساسا من أسس التوحيد وأصولهم الخمس « التوحيد والعدل ، الوعد والوعيد ، القول بالمنزلة بين المنزاتين ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » (١)

ويرى كثير من الباحثين إلى أن مذهب المعتزلة انتشر تحت تأثير أرسطو وأنهم أكثر الفرق الإسلامية أخذوا بلباب الفلسفة اليونانية والانتفاع بها (٢) . وذكر تأثير الفلسفة اليونانية في آراء المعتزلة من المستشرقين جولدميسهر (٣) ومن المحدثين عثمان دواني في كتابه التيارات الأجنبية في الشعر العربي منذ العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري (٤) .

ومن أعلام المعتزلة في ذلك العصر أبو الهذيل العلاف المتوفى عام ٢٣٥ هـ وكان مشهورا بالجدل وعرف أتباعه بالهذلية ومنهم أيضا النظام المتوفى عام ٢٢١ هـ وفرقة تسمى النظامية وكان النظام عميقا في تعبيره وله اتجاه شيعي . ثم جاء الجاحظ « وكان لسان المعتزلة في عصره ورد على المشبهه وتكلم في اعجاز القرآن وألف في الاحتجاج للنبوة ونصرة الرسالة » (٥) .

وفي القرن الرابع نرى من المعتزلة أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي

- 
- (١) ضحى الإسلام لاحمد أمين - ٣ ص ٢١
  - (٢) اسلام بلا مذاهب للدكتور مصطفى الشكعة ص ٤٢٩
  - (٣) العقيدة والشرعية في الإسلام لجولدسميسهر ص ١٠٣
  - (٤) التيارات الأجنبية في الشعر العربي دكتور عثمان دواني ص ٩٨
  - (٥) ظهر الاسلام لاحمد أمين - ٤ ص ٥

المتوفى عام ٢٠٢ هـ وأبو القاسم عبد الله البلخي المتوفى عام ٣١٩ هـ وأبو هاشم الجبائي المعتزلي المتوفى عام ٣٢١ هـ .

ولقد جا أبو الحسن الأشعري وكان ربيب المعتزلة ولكنه تحول عن مذهب المعتزلة وناظرهم وكان تلميذاً لأبي هاشم الجبائي وقد ولد أوالحسن عام ٢٢٠ هـ ومات عام ٣٢٤ هـ واستطاع أن يصدر أحكاماً في قضايا العقائد في جو من الاعتدال بعيداً عن تهور وبالرغم من أن بعض الفقهاء ارتابوا في عقيدته ورموه الخنابلة بالكفر لكن لم يقدّم دليل على زيغ بل نصره كبار العلماء مثل أبي بكر الباقلاني والاسفرائيني واستطاع الأشعري أن يتحدث في قضية القرآن محدثاً معقولا وتحدث في رؤية الله في الآخرة ، ثم اتسعت دائرة السنة فأطلق على المدايب والفقهاء من أمثال الشافعي ومالك وأبي حنيفة وابن حنبل والاوزاعي مذاهب رسمية للدولة الإسلامية .

### ب - الإسماعيلية

وهي إحدى فرق الشيعة الغالية ، وتنسب إلى اسماعيل بن جعفر الصادق وقد لعبت دوراً سياسياً خطيراً في العالم الإسلامي آنذاك ولكنها لم تظهر كفرقة لمعب دوراً سياسياً إلا بعد موت اسماعيل زعيمها بمائة عام وكان لها دوران ، دور السر ودور الظهور ولم تعرف كفرقة دينية أو سياسية إلا في أواخر القرن الثالث الهجري إذا لم تظهر إلا بظهور القرامطة في البحرين والشام وكان معنى ذلك ظهور الإسماعيلية على مسرح السياسة بصورة سافرة بعد أن ظلت مخفية قرناً من الزمان .

أما القرامطة وهي إحدى الفرق الفرعية الإسماعيلية وتنسب إلى رجل يدعى حمدان قرمط وكان أكارا بسيطاً وكان يريد أن يعبد الله بن ميمرن القداح

وكان أبوه ميمون القداح من أشهر نواب الأئمة الإسماعيلية وقد وضع دعاة المذهب الإسماعيلي حتى اعتقد بعضهم أنه هو محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق نفسه ولقد هدد الطريق لابنه عبد الله الذي أقام في سلبية واختبر دعوة قسمها إلى سبع مراتب ، ودعا حمدان القرمطي إلى طريقته هذه وانبجها كثيرون وفرض الضرائب على أتباعه لبوزعها على الفقراء حتى لم يبق فيهم فقير ويقال إنه صك نقوداً باسم الإسماعيلية وهو يظن نفسه زعيماً للجمهورية وربما كان ذلك مسبباً قوياً لما رآه بعض الباحثين المحدثين « أن القرامطة من أول الجمعيات الاشتراكية وكان دعائهم يدعون إلى «وإخاء الناس على اختلاف دياناتهم وطبقاتهم وأجناسهم» (١)، وذكر مصطفى الشكعة أن القرامطة مالبثوا أن شقوا عصا الطاعة على الإمام الإسماعيلي نفسه وكان مقره سلبية في سرورية ونهبوا أمواله ومتاعه فاضطر إلى الفرار خوفاً من بطشهم » (٢)

وكان للقرامطة مذهب متطرف فقد زعموا أن محمد بن اسماعيل رسول وأن الرسالة انقطعت عن النبي — صلى الله عليه وسلم — وآلت النبوة والرسالة إلى علي بن أبي طالب وأصبح النبي مأموراً لعلهم وقالوا أن الله جعل لمحمد بن اسماعيل جنة آدم (٣) ، وهم بذلك يبيحون له المحارم وتمادى القرامطة في الغلو والنمواحش وسفك الدماء ولذلك فإن بعض الشيوعيين المحدثين يفتنون بها ويعتبرون حركته من حركات الباطنية .

(١) ظهر الاسلام ، أحمد أمين - ج ٤ ص ٢٠

(٢) اسلام بلا مذاهب : مصطفى الشكعة ص ٢٢٨

(٣) فرق الشيعة ، التزبختي ، طبعة استانبول ص ٦١

بدأ حمدان بن الأشعث القرمطي يدعـ وينجح في دعوته وكان له دعاة أيضا مثل صهره عبدان الذي نجح نجاحا كبيرا في دعوته وانتشرت الدعوة في البحرين على يد رجل يسمى أبو سعيد الجنابي واتبع الدعوة قوم سراً ووصل إلى بلاط الخليفة في بغداد وأرسل المعتضد بالله جيشا لمحاربة القرامطة «في عام ٢٨٧ هـ خرج العباس بن عمرو من البصرة في جيش عظيم و معه خلق من المطوعة نحو هجره ، فالتقى هو وأبو سعيد الجنابي فكانت بينهم وقائع انهزم فيها أصحاب العباس ، (١) ، وعندما أرسل المعتضد جيشا لمحاربة القرامطة في البحرين هزم الجيش واستولى القرامطة على هجر عاصمة البحرين واستولوا على اليمامة وعمان .

واستطاع ذكرويه أحد دعاة القرامطة في الشام أن ينشر دعوته فيها بمساعدة أبنائه وحاصر ابنه يحيى دمشق عام ٢٨٩ هـ لكنه قتل وانتقلت رئاسة الدعوة إلى أخيه الحسين لكن محمد بن سليمان الكاتب قائد المكنتى قضى عليه عام ٢٩٠ هـ وخرج ذكرويه من مخبئه ليشارك لولديه لكنه يقتل عام ٢٥٤ هـ . وقاد القرامطة أبو طاهر سلمان ووسع نفوذه وزحف على البصرة وبغداد مرة أخرى والحجاز أيضا وكان يتممر في أغلب غزواته ودخل أبو طاهر هدا مكة وسلب الكعبة وقتل الحجاج ويقال أن عدد القتلى من الحجاج بلغ ثلاثة آلاف غير الذين ماتوا جوعا ومن أسر وكان من بين الأسرى الأزهرى صاحب معجم التهذيب وزحف القرامطة على البصرة ونهبوها عام ٣١٥ هـ وهاجوا مكة مرة أخرى وقتلوا أهلها ومن كان من الحجاج فيها حتى من تعلق فيها بأستار الكعبة وهدم زمزم وفرش القتلى بالمسجد وأقاوا أياها في مكة يقتلون ونهبوا من مكة الحجر الأسود

---

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، على بن الحسين المسعودى ج٤ ص ٢٦٧ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد .

المقدس وبقي هذا الحبر في الاحساء مجورا حتى عام ٣٢٩ هـ حيث رده القرامطة بأمر من المنصور الناطمي .

ولم تستطع الخلافة أن تعمل أن تفعل شيئا أمام انتصار القرامطة وبعد زحفهم على الكوفة واحتلالها ، وعمدت معهم الخلافة هدنة ويؤدي لزعيم القرامطة ١٢٠ ألف دينار كل سنة وتوفي أبو طاهر زعيمهم عام ٣٨٢ هـ فاكتفى خفاؤه بما فتحوه من البلاد .

أما الاسماعيلية الاصلية إذ اعتبرنا القرامطة إسماعيلية منحرفة فقد ظهرت في اليمن على يد ابن حوشب وابن فضل الجرنى وقد أقام الحصون والقلاع في اليمن وانتصر على عمال العباسيين هناك وبمث الدعوة إلى كل بلاد اليمن والبحرين واليمنامة ومصر والمغرب وقد سار ابن حوشب إلى مكة وعهد بالدعوة إلى أبي عبد الله الشيعي فنشر الدعوة في بلاد المغرب وفي عام ٢٩١ هـ وقع في يد داعي الشيعة كثير من مدن المغرب وقد استطاع أبو عبد الله الشيعي أن يجهر بالدعوة لعلى وفاطمة ، فأمر بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الحسين وفاطمة ونجحت جهود الاسماعيلية في السمر وقامت الدولة الناطمية .

### ج - الخوارج :

ظهر الخوارج مرة أخرى في العصر العباسي الثاني ونرى ثورتهم تظهر عام ٢٥٢ هـ وكان زعيمهم مساور بن عبد الحميد بن مساور الشاري البجلي الخارجي وحارب والى الموصل وهزم الجيوش العباسية لكر ما لبث أن تفرق كلمة الخوارج إذ خرج على مساور رجل يدعى عبيده وقامت بين الرجلين حرب قرب الموصل عام ٢٥٧ هـ وتنهز المعتمد هذه الفرصة وأرسل إليه جيشا فانتصر

عليه وأخرجه من الموصل لكنه لم يلبث أن قرى أمره وعاد مرة أخرى إلى الموصل  
والمدينة وعندما مات مساور الشاري خلفه أيوب بن صالح الوراق لكن لم يلبث  
أن دب النزاع بينه وبين رجل يدعى محمد خرذار وقل أيوب في المعمارك بينه  
وبين ابن خرذار وآلت الزعامة إلى رجل يدعى محمد بن عبد الله الوراق لكنه  
قتل أيضا وبريع هارون بن عبد الله البجلي الذي انتصر على ابن خرذار واستولى  
على الموصل واستقر بها . وضعف الخوارج اذن كان سببه الخلافات بينهم على  
الزعامة وقامت خلافات بين هارون ورجل آخر من الخوارج واستطاع المعتضد  
أن يقبض على هارون وأن يسوقه إلى العاصمة واصلب ، وبموت هارون بن عبد  
الله البجلي الشاري ضعف أمر الخوارج في الموصل لكنهم ظلوا يقاتلون العباسيين في  
اليمن وعمان بخاصة .

### د - المتصوفة

شغلت الصوفية المسلمين فترة طويلة ويختلف كثير من الباحثين حول اعتبار  
الصوفية ، فرقة من الفرق ، ولم يذكرها بعضهم مع الفرق مثل الرازي ومع ذلك  
فقد نشأ التصوف اعلاميا وعاش مسلما رغم معارضة بعض الفقهاء له وبخاصة  
المغالين من المتصوفة الذين أشكل على الفقهاء تفسير كلامهم وبخاصة الحسين  
بن منصور الحلاج المصنوب على يد خليفة عباسي

ظهر التصوف عندما تقدم الزمن بالمسلمين وصار الترف واللهو والبذخ وحافظ  
بعض المسلمين على سنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - والخلفاء في الملبس واحتجوا  
احتجاجا صاخبا على البذخ واللهو فأطاع عليهم المتصوفة - هذا هو أصح الآراء  
التي قيلت في نشأته غير أن نسبة البعض في ترجع في اختلاف الآراء إلى :

تنسب الصوفية إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقد نسب لبس الصوف إلى

الرسول صلى الله عليه وسلم في عدة أقرال منها قول أنس فيما رواه ابن ماجه أن  
 ﷺ «أكل خشنا ولبس خشنا ، لبس الصوف واحتوى الخصب» .

ويقول المسعودي أن عمر بن الخطاب «كان يلبس الصوف ويقال هذا أيضا  
 عن أبي عبيدة بن الجراح الذي كان يظهر للناس وعليه الصوف» (١)

وينسب الصوفي إلى الصفة وهم القراء الزهاد من المهاجرين وكانوا يسكنون  
 صفة المسجد في المدينة . ولكن نسبة الصفة صغى وليست صوفي ، وينسب الصوفي  
 إلى الصفا أو الصفر وينسب إلى أول من تسمى بالصوفي وهو أبو هاشم الصوفي  
 الذي ولد في الكوفة ومضى جل حياته بها وتوفي بها عام ١٦٠ هـ .

وينفرق بعض الباحثين المعاصرين (٢) بين الزهد الذي نشأ عنه التصوف  
 والزهد الإسلامي الذي ظهر في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ، ويرى أن النوع  
 الأول لم يختلط بمؤثرات أجنبية ومما بجانب التصوف كصورة أصيلة من صور  
 الإسلام أما النوع الثاني فقد كان زهداً منظماً ، جاء به زهاد الكوفة والبصرة  
 واليمن واختلط ببعض المؤثرات الأجنبية وتحول إلى التصوف . وبذلك يرجع  
 بعض الباحثين المحدثين التصوف إما إلى تأثير أجنبي أو تأثره بالمؤثرات الأجنبية  
 فيقسم بعضهم التصوف إلى قسمين : سني وفلسفي ، ويرى أن النوع الأول كان  
 صادراً عن القرآن والسنة ، أما النوع الثاني الفلسفي ، فقد دخلته كثير من  
 المؤثرات الأجنبية (٣) .

(١) مروج الذهب ومعادن الجواهر لعلي بن الحسين المسعودي ١٥ ص ٤١٧

(٢) نيكلسون : في تصوف الإسلام وتاريخه ص ٢ ترجمة أبو العلا عفيفي

(٣) علي سامي المشار : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ١٥ ص ٢٢١

أما رأى المستشرقين فأغلبهم ينسب الصوفية إلى كلمة صوفيا أو سوفس ويقابلها بالعربية فيلسوف ولم يعارض ذلك منهم سوى براون وهو مستشرق فرنسي وبذلك حاولوا أن يرجعوا التصوف إلى أصل أجنبي أو لأنه قد تأثر بتأثيرات أجنبية .

فهذا هو إجناس جولد تسيهر يرى « أن تعاليم الافلاطونية الحديثة دخلت إلى نطاق الحياة العقلية في الإسلام ويعد هذا الحادث ذا أهمية حاسمة من جهة التصوف الاسلامي (١) » ويرى أيضا جولد تسيهر تأثير الافكار الهندية في التصوف الإسلامي وبخاصة البوذية .

وهذا آدم متز يقول « أن دلالة معرفة الله تعالى هو مذهب الغوصيين القديم يعود إلى الظهور في موطنه الأول ، (٢) »

ونخرج من ذلك إلى أن كلمة الصوفي أو الصوفية كانت تعني الزاهد في الدنيا الفانية فإذا كان ابن الصوف دليل على الخشونة والبعد عن ترف الدنيا بأهم مظهر لها وهو الملابس فايس معنى ذلك إننا نقص من قدرهم ورغم ما يدعيه بعض الباحثين وخاعة المستشرقين من تأثير الافكار الفلسفية والديانات القديمة في افكارهم فإن أراءهم أغلبها تحامل وتحييز لا ترقى إلى الصواب .

يرى آدم متزان أول ظهور طوائف الصوفية كان هو ٢٠٠ هـ عصر مهله الرهبنة المسيحية وكانوا يعارضون السلطان في أمره وكان على رأسهم أبو عبد

(١) إجناس جولد تسيهر « العقيدة ، الشريعة في الاسلام » ترجمة محمد يوسف

موسى وآخرين ص ١٦٧

(٢) الحصار الاسلامية في القرن الرابع الهجري ص ٢ لآدم متز ترجمة محمد

أبو زيد ه ص ١٨



## الرحمن الصوفي (١)

وهذا رأى خاطئ. أيضا فقد ظهر التصوف قبل ذلك بقليل فقد أثر عن الحسن البصري قوله « رأيت صوفياً في الطواف فأعطيته شيئاً فلم يأخذه وقال معي أربعة دراهم فيمكنني مامعى والحسن توفي عام ١١٠ هـ .

وقيل أول من تسمى بالصوفي أبو داود الصوفي وأول من حدد نظريات التصوف وشرحها ذو النون المصري المتوفى عام ٢٤٦ هـ وهو تلميذ الإمام مالك وأن الذى شرحها وبوبها ونشرها هو الجنيد البغدادي المتوفى عام ٣٣٤ هـ وأول من دعا إليها من فوق المنابر الشبلى المتوفى عام ١٨٧ هـ بمكة .

وهناك متصوفون معتدلون ومتصوفون غلاة ولقد سار المعتدلون على الطريق القويم وكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ . أما الغلاة فكانت لهم سطحات مما حدا بمن هاجهم أن يستنلوا بما يقرلون ولهم نهايات مؤلمة مثل الحسين بن منصور الحلاج المصلوب والشليخان .

ومذهب المتصوفة الزهد في الدنيا وحب الله تعالى والتفانى في هذا الحب والتصوف هو السمو والرياضة والجهادة والبعد عن أسباب الماديات الرخيصة والسعى إلى معرفة الخالق والتقرب والتجيب إلى ذاته (٢)

ونجد من اعلام التصوف في القرن الثالث والرابع وهو عصر ابن دريد ما يتحدث عنهم السلبى منهم ذو النون المصري المتوفى عام ٢٤٥ هـ وبشر الحافى عام ٢٢٧ هـ وسرى النعماني المتوفى عام ٢٥١ هـ والحارث المحاسبي ويقول

(١) المرجع السابق ص ٢٠

(٢) اسلام بلا مذاهب : مصطفى الشكعة ص ٥٩٢

عن الحارث « من علماء مشايخ القرم بعلوم الظاهر وعلوم المعاملات والاشارات وله كتب مشهورة منها لرعاية حقوق الله وهو أستاذ أكثر البغداديين ، (١) »

ومن القرن الرابع محمد بن الفضل البلخي المتوفى عام ٣١٩ هـ وأبو محمد الحريري المتوفى عام ٣١١ هـ وأبو الحسين الوراق المتوفى عام ٣١٩ هـ .

أما المتصوفون الغلاة فأشهرهم أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج ، وقد غلا في تصوفه وقال أنه لا موجود في كل شيء إلا الله ومن هنا نشأ مذهب وحدة الوجود الذي خالف مذهب جمهور المسلمين وكان الحسين بن منصور الحلاج الذي يقال إنه ادعى الألوهية في عهد المقتدر النجاسي . وقد اشتغل في أول أمره بالتصوف وكان كلامه يحمل معنيين أحدهما حسن محمود والآخر قبيح مذموم . وقد قال بشيئين هامين كانا سببا للهجوم عليه . الأول وحدة الوجود وهو المذهب القائل بأنه لا موجود إلا الله ومعناه أنه لا وجود مستغن بذاته إلا وجود الله تعالى ، أما وحدة الشهود فهي حال تستولى على المريد فيفقد فيها التمييز بين نفسه وذات الله تعالى . « والمشايخ في أمره مختلفون رده أكثر المشايخ ونفوه ، وأبو أن يكون له قدم في التصوف وقبله من حمايتهم أبو العباس بن عطاء ، وأبو عبد الله محمد بن خنيف وأبو القاسم إبراهيم بن محمد النضر اباذى ، (٢) ، وقد قتل الحسين بن منصور عام ٣٠٩ هـ في خلافة جعفر بن المعتضد وقبل المقتدر بالله .

ومن كلامه العجيب « من طلب التوحيد في غير لام الف فقد تعرض للخوضان

(١) طبقات الصوفية لعبد الرحمن السلمي تحقيق أحمد الشرباصي ص ٩

(٢) طبقات الصوفية لعبد الرحمن السلمي تحقيق أحمد السرياصي ص ٧٤

في الكنغر ، ومن تعزف هو الهوية في غير خط الإستواء فقد جاس خلال الحرة  
المذمومة التي لاستراحة بـدها « (١)

كان للمتصوفة دور كبير في الدولة العباسية وظهرت بوضوح في عصر  
ابن دريد ونستطيع أن نقول أنهم كانوا أخف ثقلا على الدولة فلم ينشئ أحد  
منهم على الدولة أو يحاربوها بل إنهم احتجوا احتجاجا صارخا على الترف  
واللغو والمجون بالزهد في الدنيا وإعلاء ذاتية الله تعالى .

---

(١) أخبار الحلاج تصحيح عبد الحافظ بن محمد المدني هاشم ص ١٧

## الحياة الادبية

### (١) الشعر واءلام الشعراء :

بدأ عهد جديد فى الشعر العربى خلال القرن الثانى الهجرى كان له أثره فى مختلف نواحيه الفنية فقد قام على صناعة الشعر « أمشاج من العرب والموالى الذين كانوا يعيشون فى المراكز العقلية الكبرى وخاصة البصرة والكوفة فكان طبيعياً أن تتطور صورته وأن تختلف عن صورة الشعر القديم الذى كان يستمد من علاقات البادية وصلاتها الحسية والمعنوية » (١) وظهر ذلك منذ أواخر القرن الثانى الهجرى على أيدي المحدثين وسار الشعر خطوة كبيرة على يد بشار زعيم المحدثين وأبى نواس ومسلم وازدهرت النهضة الفنية حتى نضجت فى القرن الثالث ، غرق الناس فى اللهو والمجون وغرق معهم الشعر أو أغرقهم فى اللهو والمجون وظهرت الزندة والشعوبية فى الشعر .

كان أبو تمام آخر من شهدهم العصر العباسى الاول من الصنعة والانقان ولكن مدرسته ظلت مسيطرة على الشعر طوال العصر العباسى الثانى ، وحدث تغيير واسع فى تنكير الشاعر العباسى وعقله فجاءت دقة التصوير والاستنباط الدقيق والافكار الجديدة واستخدام الشعراء المنطق والفلسفة فى أشعارهم وأكثر الشعراء من الإبداع فى التصوير والخيال والإغراء فيه وتركيب التشبيهات والاستعارات والوصاف وانصرف الشعراء عن المحامى البدوية أو الحضرية المتأثرة بالبادوة إلى معان حضرية . ويرى د . شوقي صيف أنه لانصل إلى القرن الرابع حق

---

(١) النبن ومذاهبه فى العصر العربى : دكتور شوقي صيف ص ٩١

نحس بأن الشعر العربي جامداً لا يتحول عن الموضوعات والمساكن القديمة وقال  
«وأكبر الظن أن من أهم أسباب هذا الجمود ما أشرنا إليه من العرب لم ينحوا في  
شعرهم نحواً فلسفياً أو علمياً» . (١)

لقد تطورت الحياة المادية التي كانت في الجاهلية تفرم على السذاجة وانتشرت  
الشعوبية والزندقة وكان للثقافة الأجنبية والفارسية خاصة أثر كبير في الشعر  
العباسي في القرن الثالث والرابع ، ولم يكن يتمدد الشعراء إلا على تشجيع الخلفاء  
والأمراء وكبار رجال الدولة فتبارى الشعراء في كسب عيشهم في التقرب من  
الخلفاء والمقربين اليهم من العظماء بالقصائد ابتغاء المنح والعطايا .

أما اعلام الشعر في هذا العصر فمنهم .

#### ١ - البحتري : ( م ٢٨١ هـ )

وهو من أكبر الشعراء الذين ظهوروا في القرن الثالث الهجري وهو مجيد فن  
المديح والاعتذار والغزل وكان واعظاً في أسلوبه يحب الصنعة ولكنه يؤثر منها  
ما كان مواتماً للنظرة العربية السلمية والذوق الأدبي الخالص الذي لم تفسده آثار  
الحضارة وألوان الثقافة ومن شعره :

منى وصل ومنك هجر	وفي ذل وفيك كبر
وما سواء إذا التقينا	سهل على مثله ووعر
قد كنت حراً وأنت عبد	فصرت عبداً وأنت حر

ويهمنا من وصف الشعراء ما يتحدثون به عن الإحداث في عصرهم فهذا

البحتري يشيد بالانتصار الساحق الذي حققه اسحق بن ابراهيم على الخرمية  
وجيوشهم الكثيفة التي تجمعت بجمال قران :

وعلى الأمير أبى الحسين سكية	في الروع يسكنها الهزبر الاغلب
ولحربه الاسلام حين يهزها	هلول يراع له النفاق ويرهب
تلك الحرة الذين تهافتوا	فخشرون في غيبه ومنعرب
والخرمية إذ تجمع منهم	بجمال قران الحصى والائلب
جاشوا فذاك الغور منهم سائل	دفعوا وذاك النجد منهم معشب (١)

## ٢ - ابن الرومي

وهو شاعر ثقف بالثقافة الحديثة وكان يتكلم في الفلسفة واسمه على  
بن العباس بن جريج وجده رومي وأمه فارسية ولد عام ٥٢١ هـ وكان مولى عيسى  
بن عبد الله بن جعفر بن المنصور ونراه مسرفاً في طعابه وشهواته متمل الصحة  
محتل الأعصاب ويرى د. شرقى سيف أن ذلك دليله كان ثمن نبوغه ، فلم يشعر  
بشيء من الفرحاة بالحياة ، بل شعر كأنها كأس مر بتجربة فأنقلب ساخطاً على  
كل ما حوله حتى على من أكرمه وفسحوا له في مجالسهم واغلقوا عليه من أمراهم  
فهم جامهم فاحتجبوا عنه ،

واستخدم ابن الرومي الفلسفة والمنطق ومن أمثلة ذلك :

لما تؤذن الدنيا به من صروفها	يسكن بكاء الطفل ساعة يولد
والافسا يبيكه منها وانها	لافسح مما كان فيه وأرغد

إذا أبصر الدنيا استهل كأنه بما سوف يلقى من أذاها يهدد  
وكان ابن الرومي متابها أحداث عصره فهذا هو يقول في فتنه الزنج :

أى نوم من بعد ما حل بالبص - مرة ما حل من صفات عظام  
أى نوم من بعد ما انتهك الزنج - نيج جهارا محارم الاسلام  
أقدم الخائن اللعين عليها وعلى الله أيما أفدام  
لهدف نفسى عليك أيتها البص - مرة لمنا تمثل لب الخرام (١)

ومن جوانب الهجاء الساخر فى شعره ومن أشهر شعره :

وجهك يا عمر وفيه طول - وفى وجوه الكلاب طول  
والكلب واف وفيه غدر - فنيك عن قدره سفول  
وقد يحامى عن الموشى - وما نحامى ولا تصول  
وأنت من أهل بيت سوء - قصتهم قصة تطول

٣ - أبو تمام :

وهو حبيب بن أوس الطائي ولد عام ١٨٢ أو ١٨٨ أو ١٩٠ أو ١٧٢ هـ  
على اختلاف الروايات ، وكان أبو تمام يأخذ نفسه بثقافة واسعة حتى قالوا إنه  
عالم وأثر أبو تمام فى نظم الشعر وتجويد المعنى ودقته وأحب جزالة اللفظ ومثانة  
الاسلوب وبالصفة وقصد البديع وشعره مبين للشعر فى عصره مبينة واضحة  
من حيث تصويره للشعر وشدة أخاه نفسه بتجويد المعنى ووحدة القصيدة وفى  
كلفه برصف الطبيعة وميله إلى المعانى الفلسفية يقول عنه ابن المعتز : « ويقال

أن له ستائة قصيدة وثمانمائة مقطوعة ، وأكثر ماله جيد ، والرديء الذي له إنما هو يستلحق لفظه فقط فأما أن يكون في شعره شيء يخار من المعاني اللطيفة والمحاسن والبدع الكثيرة فلا ، (١)

ومن جميل شعره هذه الأبيات وفيها يخاطب صاحبه وهي تلوم على الارتجال وما يلقى فيه من أوال يقول :

أعاذلتى ما أخشن الليل مركبا      وأخشن منه في الملمات راكبا  
ألم تعلنى أن الزماع على السرى      آخر النجح عند النائبات وهائبه  
ذرينى وأهوال الزمان      فأهواله العظمى تايها رغائبه  
أما أشهر أشعاره التى تبين متابعتها لأحداث عصره ومدحه للقواد والخليفة  
فنها قصيده عمورية وأولها :

السيف أصدق أنباء من الكتب      فى حده الحد بين الجد واللعب  
بيض الصفائح لا سود الصفائف فى      متروهن جلاء الشك والريب  
ويقول لنا فى وصف ذلك اليوم :

يا يوم وقعة عمورية انصرفت      عنك المنى حفلا معسولة الحلاب  
أبقيت جد بنى الإسلام فى صدد      والمشركين وراء الشرك فى صيب  
وقوله مشيدا بالانتصار الساحق على الخرمية يوم أرشق :

يا يوم أرشق كنت رشق منية      للخرمية صائب الآجال  
أسرى بنو الإسلام فيه وأدلجوا      بقلوب أسد فى صدور رجال



قد شمروا عن سيفهم في ساعة      أمرت ازار الحرب بالاسبال  
لما رأهم بابك دون المنسى      هجر الغواية بعد طول وصال  
تخذ الفرار أختا وأيقن أنه      صرعى عزام من أبي سحال (١)

ومن أشهر شعراء هذا العصر عبد الله بن الخليفة الممتز بالله المتوفى في ٢١٦ هـ ،  
والقد اهتم منذ صغره بالأدب واللغة وأخذ عن المبرد وثلث وشعره يدور حول  
ما كان ينعم به من الترف والرفاهة وعنى بالغزل والخريات ومجالس الشراب  
وقد وصف ابن المعتز صاحب الزنج في أرجوزته عن تاريخ الممتز بقوله  
فيها :

شيخ ضلال شر من فرعون      لحيته كذنب البرذون  
أمام كل رافضى كافر      من مظهر مة لة وسائر  
يعن أصحاب النبى المهمة      إلا قليلا عصابة لم تزد  
فكفر الناس سواهم عنده      فلعنة الله عليه وحسده  
ما زال حينما يخدع السودانا      ويدعو الباطل واللاهنا (٢)

ويصور مرة أخرى ما فعله صاحب الزنج في البصرة والاهواز وواسط  
وغيرها من المدن الإسلامية التي امتدت اليها يده بالتدمير والتخريب :

فواحد يصرخ بالعمود      وواحد يدخل في السفود  
وبعضهم مسمط مربوط      وبعضهم في مرجل مسموط

(١) ديوان أبي تمام ج ٣ ص ١٣٥

(٢) ديوان ابن المعتز ص ١٥٥

وجل الأسرى مكتفيننا      أغراض نبيل ومهملينا  
وبعضهم يحرق بالنيران      وبعضهم يلقي من الحيطان  
وبعضهم يصاب قبل الموت      وبعضهم يثن تحت الموت (١)

ومن شعره الجليل ويصف فيه سرعة القلم في الكتابة وجريانه على السطور  
يقلبها في خشوع وتواضع ويتعجب من دقة حجمه وما يأتيه من أفعال :

قلم ما أراه أو قدر يجـ      رى بما شاء قاسم ويشير  
ساجد خاشع ويلثم طوفا      را كما قبل البساط شكور  
وجليل المعنى لطيف نحيف      وكبير الأفعال وهو صغير  
كم منايا وكم عطايا وكم حـ      وعيش نضم تلك السطور (٢)

ومن شعراء القرن الثالث والرابع محمود بن الحسين الوراق المتوفى عام ٥٢٣هـ  
ويخبرنا ابن الممتز في «طبقات الشعراء» بأنه كانت له جارية تسمى «سكن» وشعره  
محمود كثير وأكثره أمثال وحكم ومواعظ وأدب وليس يقصر بهذا الفن عن  
صالح بن عبد القدوس وسابق البربري ومن قوله :

يمثل ذو الحزم في نفسه      معانيه قبل أن تنزلا  
فان نزلت بهتة لم تـ      لما كان في نفسه مثلا  
وان السهم يدمى إلى آخر      فتسـبر آخره أولا  
وذو الجبل يأمن أيامه      وينسى مضارع من قد خلا (٣)

- 
- (١) ديوان ابن المعتز ص ١٠٥ - ١٠٦  
(٢) السمرقاني في كتاب الأوراق ص ٢٦٠ (تقسم أشعار أولاد الخلفاء)  
(٣) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٣١٧ تحقيق عبد الستار فراج

وعلى بن الجهم المتوفى عام ٢٤٩ هـ وكان شاعراً مفلحاً مطبوعاً يضع لسانه  
حيث شاء وكان هجاءاً ، ومن خبيث قوله :

بنو تيم هل تدور ما الخبر وكيف يستر أو ليس يستتر ؟  
حاجيتكم من أبوابكم يا بني عصيب شتى ولكنكما للقاهر الحير (١)

وعبد الصمد بن المعذل المتوفى عام ٢٤٠ هـ وعمارة بن عطيل المتوفى عام  
٢٤٠ هـ ودعبل المتوفى عام ٢٤٦ هـ والحسين بن الضحاك النخيع المتوفى عام  
٥٢٥٠ .

وإذا تجاوزنا القرن الرابع فمستطيع أن نعد المتنبي أشهر شعراء عصره بل  
أشهر شعراء العرب بعد الجاهلية لكننا لانستطيع أن نقول أنه عاصر ابن دريد  
فقد ولد عام ٣٠٢ هـ وقد قيل أنه ادعى السيرة على الرغم من أن الدكتور شوقي  
ضيف ينفى ذلك (٢) ؛ وقد دخل المتنبي السجن عام ٣٢٢ هـ وشعره رائع  
وبديع .

---

(١) المصدر السابق ٣٢٠

(٢) الفن ومذهبه في الشعر العربي : دكتور شوقي ضيف ص ٣٠٥

## النثر والنقد

بلغ النثر في القرن الثالث الهجري أوج اكتماله وامتاز بسهولة العبارة وانتقاء الألفاظ وجودة الأسلوب والمعنى ودقة الاختيار وابتدائها ومال الكتاب إلى الإطراب ولم يحفل بعض الكتاب بالبديع والتأنق الكثير في الأسلوب وحل لواء الهجوم على البديع «الجاحظ» واقتدى به أبو بكر الصولي وابن الزيات والحسن وسليمان ابني وهب وسويد بن حميد وأحمد بن إسرائيل والحسن بن مخلد وابن المدبر غير أن عصر السجع بدأ يظهر في القرن الثالث في الرسائل السياسية وعند كتابها ولعل أقدم نموذج يصور ذلك ذمية طاهر بن الحسين . وكان الكتاب حتى منتصف القرن الثالث يسجعون وأحياناً لا يسجعون (١) ، ويرى الدكتور طه حسين أن الكتاب في القرن الثالث الهجري «قد تقسمنا فنونا مختلفة، ونخصص كل منهم في فرع من هذه العلوم، فمنهم من تخصص في الفلاسفة والكلام ومنهم من تخصص في اللغة والنحو وقليل منهم من جمع من هذه الأشياء كثيراً بل نرى أن هذه الحياة العقلية غلبت العقل العربي على الخيال العربي ، ورفعت شأن النثر على شأن الشعر ، (٢)

أما أعلام النثر في القرن الثالث فترى أمامنا أبا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الخثوني عام ٢٥٥ هـ وهو من كبار المهتزلة واليه تنسب احصاء فرق المهتزلة المقروفة بالجاحظية وكان من خطئه أن يغيش العصر الذهبي للأمة ، عصر الرشيد والمأمون حيث العلوم والآداب يومئذ فنخر بها معاهد العلم وخيفت حركة العلم

(١) المصدر السابق ص ١٩٢ .

(٢) صحيفة الجامعة المصرية أبريل ١٩٢١ ص ٥٥

والتأليف والترجمة تخطيطاً والتشجيع عليها كثير من ذوى السلطان  
والمال (٣) .

وأسلوب الجاحظ يمتاز به ولا ينسب إلا إليه وهو أسلوب يظهر فيه شخصيته  
ظهوراً تاماً وفى أليفه أنيس بتحرر من قيود كثيرة قيد بها علماء عصره واختار  
الجميع والبعد عن التكلف والتعقيد وآثر الوضع وظهور الشخصية واحتال على  
نشاط تقارىءه بالمعاهة ومزح الجدل بالهزل والاستعارة ، وهو متحمس للعرب  
وفى إنشاء الجاحظ كثير من أساليب الخطابة والجدل ، وأمد الجاحظ المكتبة  
العربية بكتب ظلت وستظل منها يستقى منه مناهل المعرفة والآداب ، ومؤلفاته  
تقرب من ثمانمائة وستين مؤلفاً وفنون شتى من المعرفة ، ولكن له كتابان اعتنى  
بهما ويحجى فيهما قضايا البيان والبلاغة ونقد الكلام والشعر وهما ( البيان والتبيين  
والحيوان ) ومن أطرف كتبه أيضاً البخلاء وله أيضاً رسالة التبريع والتدوير  
التي هجا فيها أئمة بن عبد الوهاب وتقع فى نحو ١٥٠ صفحة .

وظهر له فى القرن الثالث كتاب نقاد يتحدثون عن السرقات الشعرية  
وأشهرهم أحمد بن طاهر طينغور المرقى عام ٢٨٠ هـ الذى ينسب إليه كتابان هما  
كتاب سرقات الشعراء . وكتاب سرقات البخترى من أبى تمام .

وبشهادة القرن الرابع الهجرى أمثلة أدبية كثيرة فقد ظهر فيه كثير من أعلام  
البيان بينهم طائفة من الوزراء . وذاع انتشارها التشجيع فى الرسائل ويقول الدكتور  
شوقي ضيف : على أننا لا نصل إلى عصر المقتدر ( ٢٩٥ - ٣٢٠ هـ ) حتى

نجد السجع يصبح عاما في كل ما يصدر عن دواوين فليس هناك وزير ولا كاتب إلا وهو يتخذ السجع في صياغته (١) .

أما أشهر كتاب هذا القرن فيجد ابن العميد ركن شيعيا على مذاهب الإمامية وسمى بالجاحظ الثاني ، وكان مثقفا ثقافة واسعة قربته من ركن الدولة ثم عضد الدولة وكان يقال « بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد » ، وكان ابن العميد يستعمل السجع في كتاباته وكان يدمج وشى السجع في وشى البديع من التصوير والطباق والجناس ، يقول ابن مسكويه في تجارب الأمم : « كان ابن العميد يختص بغرائب من العلوم الغامضة التي لا يدعيها أحد كعلوم الحبل كالميكانيكا التي يحتاج فيها إلى أواخر علوم الهندسة والطبيعة والحركات الخريبة وجر الثقيل ومعرفة مركز الأشكال وإخراج كثير مما امتنع على القدماء من القوة إلى العقل » (٢) .

ومن كتاب هذا القرن أبو اسحاق إبراهيم بن هلال الصابي الحرافى ، المتوفى عام ٣٨٤ هـ وقد تقلد ديوان الرسائل عام ٣٤٩ هـ وكان متمكنا بدينه على الرغم مما بذله الخلفاء والوزراء من جهود لتحويله إلى الاسلام .

ويعد الصاحب بن عباد وزير فخر الدولة بن ركن الدولة البويهى من أشهر رجال عصره والمتوفى عام ٣٨٥ هـ يقول أبو منصور الثعالبي في يتيعة الدهر « هو صدر المشرق ، وتاريخ المجده ، وغرة الزمان ، ويغورح العدل والإحسان ، وكانت أيامه للعلوية والعلماء والأدباء والشعراء وحضرته محط رجال وموسم

(١) الفن ومذاهبه فن النثر العربى : دكتور شوقي ضيف ص ٢٢٠

(٢) تجارب الأمم لابن مسكويه ص ٢٣

فضلائهم ومترح آمالهم وأحر الهم بمصرفهم رسالة كلامه مير الشمس، (١)  
 وكان صاحب علماً فالتف حوله كبار الشعراء مثل السلاهي وأبو بكر الخوارزمي  
 وأبي الحسن البويهى وأبى سعد الرستمي، وصنف لنا صاحب كثيراً من الكتب  
 منها كتاب في سبع مجلدات أسماء المحيط وكتاب الكافي في الرسائل وكتاب  
 الأعيان وفضائل النيز، وكتاب الكشف عن مساوئ شعر المتنبي، (٢)

ولكن ما و دور ابن دريد وهو موسوعة لنوعية أدبية في الكتابة والنثر في  
 ذلك القرن ؟

كان لابن دريد دور كبير في نهضة النثر في ذلك القرن وقد ذكر بعض الباحثين  
 المحققين أنه كان مبتكر فن المقامات بأحاديثه الأربعين المنشورة في كتاب الأمل  
 لأبى على القمالي وأنه فتح الطريق لبديع الزمان الهمزاني المتوفى عام ٣٩٨ هـ للكتابة  
 في المقامات وسيتحدث في ذلك عند حديثنا عن حياته ومؤلفاته. أما بديع الزمان  
 الهمزاني المتوفى عام ٣٩٨ هـ فليس هناك كاتب في القرن الرابع نال من الثناء ما  
 ناله وقد ترك لنا مجموعة من الرسائل بلغت ٢٣٠ رسالة وأكثرها في علاقاته  
 الشخصية ومن رسائله إلى أبى بكر الخوارزمي :

« إنا لقرب الإستاذ أطل الله بقاءه كما طرف النشوان مالت به إلى الخمر ،  
 ومن الارتياح للقائه كما انفض العصور بلبلة الفطر ، ومن الامتزاج بولائه كما  
 التفت الصبيان والبارد العذب ومن الابتهاج بمرآه كما اهتز تحت البارع الغصن

(١) يتيمة الدهر للشعالي ص ٣ ص ١٦٩

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٧٥

الرطب (١) ومن قول بديع الزمان في تعزية : « الموت خطب قد عظم حتى الموت  
أخذ خطر بها وحننت حتى سار الحمام أصغر ذنوبها ، (٢)

وتخصص بديع الزمان بالمقامات وهي نوع من القصص القصيرة بالحركة  
التمثيلية وفيها تدور المحاوراة بين شخصين سمي أحدهما عيسى بن هشام والآخر  
أبا الفتح الاسكندري وهو من الادباء السائلين الناس يستجديهم وهو يشبه  
طائفة الادباتية ( التي سادت عصرنا فترة .

أما حركة « النقد » في القرن الثالث والرابع ، فقد تأثر بالنهضة العلمية  
الادبية التي شهدت القرن الثالث والرابع وتطور كثيرا لامن حيث شكاه ومظهره  
ولامن حيث حقيقة وجوده وذلك بفضل العناصر الاجنبية الثقافية التي بدأت  
تتسرب إليه والروح العلمية التي تحركه وتسيره ، وتباين أمزجة المشتغلين به  
واختلاف ثقافتهم ، (٣)

ورأينا في القرن الثالث من العلماء الادباء من اشتغل بقضايا النقد ومنهم الجاحظ  
المتوفى عام ٢٥٠ هـ وابن قتيبة المتوفى عام ٢٧٣ هـ وكتاباه أدب الكاتب والشعر  
والشعراء من آثاره الخالدة ، وفي كتابه الشعر والشعراء يذكر مقياسه في نقد الشعر  
وهو يختلف كل الاختلاف عن مقياس اللغويين والنحاة ويقبم منهجه القدي على  
أصول استمدتها من آرائه الخاصة ومن معارف سابقة في النقد . ومن النقاد في

(١) رسائل بديع الزمان الهمداني ص ١٢٨

(٢) يتيمة الدهر الثعالبى ج ٤ ص ٢٤٤

(٣) تاريخ النقد الادبي عند العرب : دكتور عبد العزيز عتيق ص ٢١٣



القرن الثالث ابن المعتز الشاعر المتوفى عام ٢٩٦ هـ وكتابة البديع يعد أول بحث منهجي في الشعر والبلاغة والمقدمة

أما القرن الرابع فهو عصر قمة حركة النقد وظهر لنا كتاب الموازنة بين البحتري وأبي تمام الأحمدي وهو تلميذ ابن ديد وحاول الأحمدي أن يقف موقفاً وسطاً بين الشاعرين وأن يقف موقفاً محايداً غير أننا نشعر من كلامه في مقدمة الموازنة أنه يفضل من يلزم طريقة الأوائل ، ولذلك يبنى نقده على تجريح ماخرج على هذا الأصل .

وألف النقاد حول المتنبي الرسالة الخاتمية في مآخذ المتنبي وكتاب المنصف في الدلالات على سرقات المتنبي والوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي عبد العزيز الجرجاني المتوفى عام ٣٦٦ هـ .

### اللغة والنحو والعلوم الأخرى في عصر ابن دريد :

تطوّر علم اللغة في القرن الثالث تطوراً كبيراً وتمت الكتابة في اللغة . وبعد أن ظهر معجم العين وفتح الباب لنمو التأليف في اللغة وكانت المدرستان البصرية والكوفية تتنافسان على جذب كثير من العلماء ويحاولان إذكاء ملكة اللغة والنحو في القرن الثالث هم تلاميذ الأجيال الأولى من علماء العربية . ومن علماء اللغة في القرن الثالث أبو عثمان المازني م ٢٢٩ هـ وابن السكيت المتوفى عام ٢٤٣ هـ وأبو حاتم السجستاني المتوفى عام ٢٥٥ هـ وأبو الفضل الرياشي المتوفى عام ٢٥٧ هـ وكان الأخيران أستاذاً لابن دريد وأبو سعيد السكري النحوي المتوفى عام ٢٧٥ هـ وأبو العباس المبرد المتوفى عام ٢٨٥ هـ . أما أبو يوسف يعقوب بن السكيت المتوفى عام ٢٤٣ هـ فكان من أكابر أهل اللغة ، تعلم النحو من البصريين

والكرفيين فأخذ عن أبي عمر والشيباني والنراء وابن الإعرابي والأثرم وزوى  
عن الأصمعي وأبي عبيدة ، كان رارية ثقة ومن أعلم الناس باللغة والشعر ومن  
كتبه سرفات الشعراء وماتوا دروا عليه وكتاب معاني الشجر الكبير وكتاب معاني  
الشعر الصغير . (١)

أما أبو عثمان المازني المتوفى عام ٢٤٩ هـ ويقال أنه لم يكن بعد سيهويه أعلم  
منه بالنحو وروى عن أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الانصاري وذكر  
ابن النديم له كتابا فقال «وله من الكتب كتاب ما يلحن فيه العامة وكتاب الآل  
واللام وكتبا التصريف وكتاب العروض وكتاب القوافي وكتاب الديباج مع  
قليل من كتاب أبي عبيدة» (٢)

وأبو حاتم السجستاني المتوفى عام ٢٥٥ هـ وكان استاذ ابن دريد ، كان إماما  
في غريب القرآن واللغة والشعر وأخذ عن أبي زيد والأصمعي وأبي عبيدة وغيرهم  
وكان حسن العلم بالعروض وقول الشعر الجيد وله كتاب في الفصاحة ، (٣)

ويذكر ابن النديم أن ابن دريد اعتمد عليه في اللغة (٤)

أما أبو الفضل الرياشي قتيل فتنة الزنج فكل استاذ لابن دريد أيضا وكان  
كثير الرواية للشعر ، أخذ عن الأصمعي وكان يحفظ كتبه وكتب أبي زيد  
الانصاري كلها (٥) ، وتوفى عام ٢٥٧ هـ

(١) معجم الأدباء : يافوت الحمري تحقيق أحمد رفاعي ج ٢٠ ص ٥٥

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٩٠

(٣) معجم الأدباء : لياقوت الحموي تحقيق أحمد رفاعي ج ٧ ص ١٠٧

(٤) الفهرست لابن النديم ج ٩٢

(٥) معجم الأدباء لياقوت الحمري ج ١٢ ص ٤٤

وأبو سعيد السكري المتوفى عام ٢٧٥ هـ أخذ عن السجستاني ، والرياسي  
ومحمد بن حبيب والحارث بن أبي أسامة وهو فقيه معدود وكان في عهده رواية  
البصريين .

ومن رجال القرن الثالث أيضاً أبو العباس المبرد المتوفى عام ٢٨٥ هـ  
وانتهى النحو بعد طبقة الجرمي والمازني إلى العباس محمد بن يزيد الأزدي  
الثمامي ومن مصنفاته الكامل والروضة والمقنضب والاشتقاق وكتاب الأنوار  
والروضة . (١)

ويرى دكتور شوقي ضيف أنه « يتبدى بحق آخر المدرسة البصرية المهتمين (٢)  
ومن رجال القرن الثالث المفضل بن سلمه، وهو من علماء الكوفة واستدرك  
على الخليل في الأمين وأشهر كنيبه كتاب «الناخر» وهو كتاب لغوي وموضوعه  
مايجرى على ألسنة العامة في أمثالهم ومخاوراتهم من كلام العرب وهم لا يردون  
معناه ويأتى بالمثل وشرحه وله أيضاً كتاب النود والملاهي في آلات  
الطرب وهل استعمالها يخالف التقوى وهو يرى أنه جائز وقد أتى بأدلة تؤيد  
كلامه .

وكان ابن دريد من علماء اللغة في القرن الرابع وكان أشهرهم ومن علماء  
القرن الرابع عبد الرحمن الهمزاني المتوفى عام ٣٢٧ هـ وكان كاتباً لبكر بن  
عبد العزيز بن أبي دلف العجلي وله مؤلفات عدة وأشهرها كتاب الألفاظ

(١) الفهرست لابن النديم ص ٦٤

(٢) المدارس النحوية : دكتور شوقي ضيف ص ١٢٤

الكتابية والكتاب عبارة عن ألفاظ يستعان بها في العبارة وزخرفتها  
وضبط معانيها ويختار على مترادفات من الجمل الفصيحة ويتهرب نوعا  
من فقه اللغة ومن السابقين إلى الكتابة في هذا العلم . يقول في مقدمة  
كتابه : فجمعت في كتابي هذا لجميع الطبقات أجناسا من ألفاظ كتاب  
الرسائل والدواوين البعيدة عن الاشتباه والالتباس السليمة من التقدير  
والمحمولة على الاستعارة والتلويح ، (١)

ومن لغويي القرن الرابع أبو علي النالي المتوفى عام ٣٥٦ هـ وهو تلميذ  
ابن دريد وصاحب كتاب البارع في اللغة وكتاب الأمل ، ومهمم صاحب  
ابن عباد وصاحب كتاب المحيط وأبو منصور الأزهرى المتوفى عام ٢٧٠ هـ  
وابن فارس المتوفى عام ٣٦٥ هـ صاحب معجم مقاييس اللغة والصاحبى  
فى فقه اللغة والجملى ومنهم الجوهري صاحب الصحاح المتوفى عام ٣١٢ هـ  
ومن النحريين لزجاج المتوفى عام ٢١٠ هـ وابن السراج والسيرفى المتوفى  
عام ٣٦٨ هـ .

أما من الكوفيين فأشهرهم ثعلب المتوفى عام ٢٩١ هـ ومن مصنفاته فصح  
ثعلب وظهرت المدرسة البغدادية فى القرن الرابع ومنها ابن كيسان المتوفى عام  
٢٩٩ هـ وابن شقير المتوفى عام ٣١٠ هـ وابن النخياط المتوفى عام ٣٢٠ هـ  
وبنضم إليهم ابن جنى وأبو على النمارسى

---

(١) الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمداني ، مطبعة الحماية سنة

ونبع العرب فى علوم أخرى مثل الجغرافيا والتاريخ والطب والفلسفة وقد نضج علم الجغرافيا فى القرن الرابع وكان علماء القرن الثالث قد مهدوا الطريق للتأليف فيه لكثرة أسفارهم ورحلاتهم أو اشتغالهم فى إحصاء خراج الدولة وفى تعيين طرق البريد وأنفوا ما هو عام شامل للمملكة الإسلامية وغيرها وهى الجغرافيا العامة وما يختص ببقية من الأرض وهى الجغرافيا الخاصة . ومن علماء الجغرافيا فى القرن الثالث ابن خردادبه وكان مجوسيا وأسلم على يد البرامكة ويعتبر من أقدم جغرافى المسلمين وسبقه الكندى وكان قد كتب كتابا فى الجغرافيه ، أما ابن خردادبه فخلف لنا كتاب المسالك والممالك وهو دليل المسافرين بهتدون به إلى الطريق البرى الذى يبدأ من مصب نهر دجلة عند الأبله ويعمل إلى الهند والصين وقد ضمنه إحصاء جنباية المملكة العباسية ويقول المسعودى : « إن كتاب ابن خردادبه على الرغم من عيوبه هو أحسن كتاب فى موضوعه » (١) ويذكر آدم متز أن ابن خردادبه يعترف بأنه اعتمد فى بيان حدود الأرض ومساكنها وبما كتبها على ما كتبه بطليموس ، (٢)

ومن جغرافى هذا القرن اليمقوبى المتوفى عام ٢٨٢ هـ صاحب كتاب البلدان وقد دون فيه نتائج رحلاته الطويلة فى أرمينية وإيران والهند ومصر وبلاد المغرب ووجامت كتب المقدسى وابن حوقل فى القرن الرابع الهجرى فكانت مثالا لأعلى درجة بلغها العرب فى وصف البلدان وفى

(١) مروج الذهب لعلى بن الحارث المسعودى ج ٢ ص ٧٠

(٢) الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع ج ٢ ص ١٠ : آدم متز ترجمة عبد

الهادى أبوريك ،

الرابع قويت عزبة الاستطلاع العلي وأخذ أصابعها تمتد متاسة للحقائق في كل ناحية (١) ، وتحدث قدامه بن جعفر المتوفى عام ٣١٠ هـ عن مملكة الاسلام وما جاورها من الممالك في كتابه الخراج أما المقدسى فله كتاب في فن التقاسم في أحسن الأقاليم وألف الاصلبخرى كتباً أهمها كتاب الأقاليم وكتاب المسالك والممالك .

وفي التاريخ نجد اليعقوبى المتوفى عام ٢٨٢ هـ في القرن الثالث وله كتاب تاريخ اليعقوبى ، وفي القرن الثالث أيضاً نجد ابن قتيبة الدينورى المتوفى عام ٢٧١ هـ وله كتاب الامامة والسياسة وعيرن الاخبار ومنهم البلاذرى وكان شاعراً راوية ووسوس آخر أياها فشهد في البيمارستان ومات فيه . (٢)

وفي القرن الرابع نجد من أشهر المؤرخين ابن جرير الطبرى ويعتبر كتابه ( تاريخ الرسل والملوك ) من أهم المصادر التاريخية الموثوق بها وأرخ فيه منذ بدء الخليقة إلى عام ٢٠٢ هـ ، وقد وضع عريب بن سعد المتوفى عام ٢٣٦ هـ ذيلاً لتاريخ الطبرى وسماه « صلة تاريخ الطبرى » وكتب محمد بن عبد الملك الهمذانى المتوفى عام ٥٢١ هـ كتاباً تم حوادثه التاريخية إلى عام ٤٨٧ هـ وسماه تكملة تاريخ الطبرى .

ومن مؤرخى القرن الرابع أيضاً سعيد بن البطريق عام ٢٢٨ هـ وترك

(١) نفس المصدر ص ١١

(٢) الفهرست لابن النديم ص ١٧

لنا كتاب التاريخ المجموع التحقيق والتصديق ومنهم ابن عبد روس المعروف بالجهشياري صاحب كتاب الوزراء والسكرتار ومنهم أبو بكر الصولي وله كتاب الأوراق وهي مجموعة قيمة في الأدب والتاريخ . ويعتبر كتاب مروج الذهب ومبادئ الجوهر لعلي بن الحسين المسعودي من أهم المصادر التاريخية لهذا العصر وخاصة في الحياة الاجتماعية ويتناول الكلام على الحوادث التاريخية حتى عصره .

ونبع العرب في الطب ومن علماء الطب حنين بن اسحاق المتوفى عام ٢١٠ هـ . وكان فاضلا في صناعة الطب فصيحاً باللغة اليونانية والسريانية والعربية (١) . ومنهم يوحنا بن ماسويه أو يحيى بن ماسويه المتوفى عام ٢٤٣ هـ ونبع في عهد الوراق «ابن بختيروز» .

ووصف الأطباء في هذا العصر علاج الفم ولأسنان وجاء أبو يعقوب اسحق بن حنين وكان من أشهر أطباء عصره والمتوفى عام ٢٩٨ هـ وفي القرن الرابع نجد أبو سعيد شخبان بن ثابت بن قرة المتوفى عام ٣٣١ هـ وأبو بكر محمد زكريا الرازي المتوفى عام ٣١١ هـ ويعرف عند الأوربيين باسم RHAZY

ونبع العرب في الفلسفة وإذا كان الكندي من أشهر فلاسفة العرب فإن تلامذته مثل السرخسي المتوفى عام ٢٨٦ هـ وأبو معمر البلخي المتوفى عام ٢٧٢ هـ كانا لهما شهرة في الفلسفة ، ومن أشهر فلاسفة القرن الرابع الفارابي المتوفى عام ٣٣٦ هـ ، ونجد في هذا العصر طائفة ( اخوان الصفا ) وكانت ذات نزعة

شيعية منطرفة حتى قبل انها اسماعيلية وكان اخوان الصفا جماعة سرية وأولوا  
 القرن تأويلا مجازيا وتركوا لنا ( رسائل اخوان الصفا ) ونبغ العرب في ذلك  
 العصر في علم الفلك والنجوم ومن أشهر علماء علم النجوم أبو جعفر بن محمد  
 عمر البلخي وأبو عبد الله محمد بن جابر البنانى الحرانى الصائى المتوفى عام  
 ٣١٩ هـ ومن أشهر كتبه كتاب معرفة مطالع البروج فيما بين أرباع الفلك (١).  
 وفى الرياضيات اشتهر ثابت بن قرة الحرانى المتوفى عام ٢٨٨ هـ ومحمد  
 بن محمد بن اسماعيل بن الصائى .

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ٣٩٠



## الحياة الاجتماعية في عصر ابن دريد

كانت الحياة الاجتماعية في القرن الثالث والرابع تختلف إختلافا كبيرا عن القرن الثاني ، فقد ظهر لما عثره من جديد كان له أثر خطير في السياسة بل في القضاء على الدولة العباسية وهو عنصر الأتراك وكان المعتصم قد جلب عددا كبيرا منهم وكان المعتصم في حياته تركيا - في القوة والشجاعة والاعتداد بقوة الجسم وكان من التزك مسلوب ومنهم مجوس ووثنيون وعرفوا بالشجاعة والصبر على القتال كما عرفوا بخشونة البداوة وحافظ المعتصم على دمايتهم فجلب لهم نساء من جنسهم وزوجهن لهم . تميزاً لدمايتهم ومنعهم أن يتزوجوا من غيرهم وولى الواثق عام ٢٢٨ هـ فاستأثر الترك على السلطنة وكان مما فعله المعتصم لاعتماده على الأتراك أن كتب إلى واليه على مصر ( كيدر ) يأمره بإسقاط من في ادواوين من العرب وقطع أعطياتهم .

وجاء المتوفى عام ٢٣٢ هـ وكان يميل إلى أهل السنة وأحس بالخطر من الترك ففكر في نقل الخلافة إلى دمشق ورحل عام ٢٤٣ - إلى دمشق ولكنه لم يستطع جوها فعاد إلى سامرا وبعد أربع سنوات من عودته قتله الأتراك وكان ابنه المنتصر يشجع الترك على ذلك وأصبح الخليفة بعد المتوكل لعبة في أيدي الأتراك أو أقل من ذلك حتى قنع بالسكّة والخطبة وأمر الترك المنتصر أن يخلع أخويه المعز والمؤيد من الخلافة خوفا من انتقامهما للمتوكل وكان لذلك أثارها . وحاول المهتدي بعد ذلك التخلص من الأتراك لكنه لم ينجح وقتله الأتراك . على أن بعض الخلفاء أدركوا خطر هذا العنصر فاستعانوا بالمغاربة والفراعنة وغيرهم من المرتزقة مثل الأكراد والقرامطة الذين بدأت تستعين بهم الدولة منذ أيام الراضى إلا أن الخلفاء العباسيين لم يسلخوا من خطر هذه العناصر والتي كانت تضم إلى إمراء الإمارات تارة وإلى الخلفاء تارة أخرى .

وإلى جانب الترك كان هناك الفرس وهم وإن كانوا ذوو سطوة في العصر العباسي الأول لكنهم لم يهدأ لهم بال منذ رأوا الترك تحتل مراكزهم في الدولة العباسية وأخذوا ينسرون الدسائس ويدبون المؤتمرات ويحصنون أنفسهم بالرجال والسلاح ويرمون إلى اقتطاع البلاد والاستيلاء عليها ، فاذا سنحت الفرصة فليستولوا على قرى وعلى الخليفة وليتسلطوا عليه ، (١) ونجح الفرس في اقتطاع أجزاء من الدولة والاستيلاء عليها وأصبح الخليفة اسماً فقط لاحقاً ، فاستولى الطاهرية على خراسان (٥٥ - ٢٥٩ هـ) والصفارية على فارس (٢٥١ - ٢٩٠ هـ) والسامانية على فارس وماوراء النهر (٢١١ - ٢٨٩ هـ) والزيادية على جرجان (٢١٦ - ٤١٤ هـ) ثم بنو بويه الفارسية (٢١٠ - ٤٤٧ هـ) وهم أشد خطراً فاستولوا على فارس والرافق وأخضعوا الخليفة لأمرهم وسار معز الدولة من الأهواز إلى بغداد عام ٢٣٤ هـ ودخاها وخضع له المستكفي وقدر المعز الدولة كل يوم ٥٠٠ درهم لثمنته واستطاع معز الدولة أن يقبض على المستكفي وأن يقيم مكانه المطيع لله ثم خلع المطيع نفسه وولى ابنه الطائع ويخضع الطائع لعضد الدولة البريهي واستطاع الطائع أن يتماق عضد الدولة وجرى خلاف بسيط بينهما ولكن عضد الدولة طمع في الخلافة لنفسه فزوج الطائع ابنته ثم خلع الطائع ونزل للبويعيين عن كل شيء .

بجانب ذلك كله هناك النفوذ العربي وكان الخلفاء من عهد المعتصم قد أفصوهم عن النفوذ لكما يجد قبائل مهاجرة إلى الشام والعراق قد استقرت واستطاعت أن تكون دويلات فكونت تغلب دولة الحمدانيين في الموصل وحلب (٣١٧-٣٩٤ هـ) وكونت قبيلة كلاب دولة المرداسيين في حلب (٤٢٤-٤٧٢ هـ) وكون بنو عقيل ،

العقيليون في ديار بكر والجزيرة (سنة ٢٨٦ - ٤٨٩ هـ) لكن العرب رغم سكونهم المدن لم يتخلوا عن بداوتهم واعتزازهم بها واحتقارهم لأهل الحضر وأهم دولة قامت فيها العصبية العربية دولة بنى حمدان التغلبي، التي حاربت العصبية التركية والفارسية حتى أن الخليفة المتقي بالله احتفى بناصر الدولة بن حمدان وقلده إمرة الأمراء هو وأخيه سيف الدولة ودخل ناصر الدولة بغداد في احتفال عظيم.

وكانت طائفة الزنج والسود تذهب دورا كبيرا في الخلافة العباسية وكانوا يحبون من سراحل أفريقيا الشرقية وكان هؤلاء السود قوم أشداء، وكان هناك طائفة من الجند من الزنج وخدم كثير منهم القصر ونبع منهم كافور الاخشيدى الذى ملك مصر والشام وكان من هؤلاء العبيد صنف من الخصيان وحاول آدم متز لمن يطعن على الإسلام عند حديثه عن الخصيان فقال: «وهنا دخل على الإسلام حولى عام ٢٠٠ هـ بسبب تقلص الروح العربية عادات شرقية قديمة رغم ما جاء به النبى - عليه السلام - وشأنها من الإنكار والمنع الصريح وقد احتال المسلمون للإفلات من حرمة منع الخصاء بأن كانوا يشترون الخصيان تاركين لليهود والنصارى أنهم هذا العمل الشنيع» (١).

وينذكر المسعودى الأخبار عن الخصيان فيقول: «وقد أتينا على أخبار الخدم من السودان والصلابة والروم والصين وذلك أن أهل الصين يخصصون كثيرا من أولادهم كفعل الروم بأولادهم، وما اجمع عليه الخصيان من النصارى وذلك لما حدث بهم من قطع هذا العضو» (٢).

وقد أدى كثرة الرقيق إلى قيام ثورة الزنج التى استمرت أكثر من أربع عشرة

(١) الحارة الإسلامية في القرن الرابع، آدم متز ح ٢ ص ١١

(٢) مروج الذهب للمسعودى ج ٤ ص ٢٤٧

مدينة وكثير ثراء الرقيقات اللاتي أصبح منهن مغنيات وارتفع ثمنهن وكان من طبقات الشعب في ذلك العصر أهل الذمة (النصارى واليهود) . وكان الاسلام أكثر الأديان السماوية تسامحا مع المخالفين له في الأديان وبخاصة أهل الكتاب وكانوا يعيشون في أمن واستقرار وقيمون شعائهم الدينية في سلام وكان الخليفة يعين بطريقا لهم بعهود خاص وكان يتمتع بنفوذ كبير من أبناء ملته ، وكان لليهود رئيس خاص يلقب أحيانا بالملك ويدفع له ألى ملته الضرائب فيأخذ نصفها ويرسل النصف الآخر إلى بيت المال ، وانتشرت أديرة النصارى في أنحاء المملكة وكانت غنية بمساكنها وخمورها وفي القرن الرابع اعترفت الدولة العباسية بالمجوس بجانب ذلك كان هناك بعض الروم الذين سبوا بعد الحروب التي انتصر فيها المسلمون وكان في بغداد دار الروم وكان لهم دير يسمى دير الروم وكنيسة على مذهب النسطورية .

وكان مستوى المعيشة زمن بالتقرب من الخليفة أو الوزير أو من هو من عليمة القوم وكانت قصور الخلفاء واسعة كل السعة وكانت دور بغداد وسامرا على مثال دور الفرس والروم وكانت مبنية بالآجر ومغطاة بالكلس وكانت قصور الخلفاء تشتمل على دور واسعة وقباب وأروقة وبساتين وانتشرت الحمامات الساخنة ، وفي القرن الرابع الهجري ظهرت من جديد فيما يتعلق بالمقابر عادة غير إسلامية وهي بناء الكبراء لأنفسهم وفي حياياتهم تريبا ليدفنوا فيها وأول من فعل ذلك المقتدر وكذلك الراضى (م ٣٢٩هـ) وكانت تشق الجيوب وتسمخ الوجوه بمصر على الجنائز رغم نهى الاسلام عن ذلك ، (١)

وكانت أنواع التسلية في ذلك العصر الشطرنج والنرد وذكر لنا المسعودى

---

(١) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ، آدم م ٢٠٠ ص ١٥

آلات الشطرنج فقال: وقد ذكر الناس من سلف وخلف أن جميع آلات الشطرنج على اختلاف هيئاتها ست صور لم يشهر في اللعب غيرها ثم أمه أخرى تسمى الجزارح استحدثت في زماننا هذا وهي سبعة أبيات في ثمانية ، (٢)

وعرف النرد وكان يستعمل في اللعب به ثلاثون حجراً رقتان على رقعة رسم اثنا عشر منزلاً أو أربعة وعشرون منزلاً وكان من أحب أنواع التسلية عند الخلفاء والكبراء سباق الخليل وكانت السباحة والمصارعة من أهم أنواع التسلية عند عباسيين أيضاً يضاف إلى ذلك الصيد وقد ولع به الخلفاء والأمراء .

هذه هي الحالة السياسية والثقافية والاجتماعية في عصر ابن دريد ونستطيع أن نقول أن الحياة السياسية في العصر الذي نشأ فيه ابن دريد كانت مضطربة تموج بالثورات والفتن ، وقد استولى الترك على معظم السلطات وضعف شأن الخلافة ، وكان أبرز الثورات في ذلك العصر ثورة الزنج والبابكية ولا نستطيع أن نجد لابن دريد دوراً في الحياة السياسية في ذلك العصر بدليل أنه فر من البصرة بعد دخول الزنج البصرة وقتلوا أستاذه الرياشي . ولكننا نجد لابن دريد بعض الانتماءات السياسية في بلاد أخرى فهو يتصل بقومه في عمان ولكنه لا يتصل بمعاركهم بالمشاركة بل يكتفى بحضهم على أخذ الثأر بمن قتل منهم ، وهو يجد في فارس شهرة سياسية واسعة بعد أن ولاه ابنى ميكال ديوان فارس . فكانت الكتب تصدر عن رأيه ، ولا ينفذ أمراً إلا بعد توقيعه . وفي الحياة الثقافية نجد لابن دريد شهرة واسعة فهو شاعر ذو ديوان وإن كان يتميز بنوع خاص من الشعر واشتهر بمقصودته التي ابتدعها وصارت مثلاً لغيره من الشعراء

سابقة لا ننكر له فضله . وفي النثر نجد النثر يتطور في ذلك العصر فقد ظهر  
 الجاحظ وأصبح النثر مدعماً بكتاب وفنون ويدل ابن دريد بدلوه في الدلاء  
 ويشهد له كثير من الباحثين المحدثين مثل دكتور زكي مبارك ودكتور مصطفى  
 الشكعة بأنه يرجع الفضل إليه في التمهيد لفن المقامة التي أرسى دعائمها بديع  
 الزمان الهمداني وعن الحياة الاجتماعية نجد أن ابن دريد كان بينه وبين كثير من  
 الناس عداوة ثم أحس لأنه لم يأخذ مكانته في البصرة فكان يتحدث في كثير من  
 شعره عن الزمن وإخلاص الناس وقد خرج إلينا بكثير من الحكم الرائعة التي  
 إزدان بها شعره .

## الفصل الثاني

حيه \_\_\_\_\_ اته





## ١ - نبيه وأصله :

هو محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهيه بن حنتم بن الحسن ابن حامي بن جرو بن واسع بن سلمة بن جهم بن حاضر بن أسد بن غنم ، وينسب إلى قبيلة الازد ، أما لقبه دريد فهو تصغير أدرد ، والدرد الذي تحاتت أسنانه ، والاثني درداء ومثل من أمثالهم ألين من الوقة الدرداء (١) ، وأما الازد فكانت تسكن مأرب ، فتمزقت فسكن بعضهم عمان منهم مالك بن فهم وكان أول من لحق بعمان من الازد وقد قاتل الفرس وانتصر ثم جاءت قبائل كثيرة من الازد ، (٢)

واقدم صارت العشيرة التي نبغ فيها ابن دريد من رؤساء أهل عمان وذوي اليسار منهم ولما صارت البصرة محمرا وكان لها مكانة سياسية وتجارية وعلمية ارتبط أهل عمان بها وكان أهل ابن دريد من أولئك الذين ارتبطوا بالبصرة بل أنهم جعلوها موطن إقامة لهم .

## ب - ولادته وأماؤه :

ولد ابن دريد في البصرة بسكة صالح عام ثلاث وعشرين ومائتين في خلافة المعتصم ، ولا خلاف بين المؤرخين حول ولادته بالبصرة واختلف أصحاب النراجم في نشأته ، قال ابن خلكان أنه نشأ بالبصرة وتعلم فيها (٣) وقال ابن النديم

(١) الاشتقاق . ابن دريد تحقيق عبد السلام هارون ص ٢٤٢

(٢) تحفة الاعيان في سيرة أهل عمان : للسالمي ج ١ ص ١٣٠

(٣) وفيات الاعيان : لابن خلكان ج ١ ص ٤٩٨

ولد بالبصرة وقرأ على علمائها (١) وقال المرزباني (٢) والسمعاني (٣) والخطيب البغدادي (٤) وابن الأنباري (٥) أنه نشأ بعين .

ونستطيع أن نفرس هذا التناقض بين روايات المؤرخين بأن أله كانوا دائمى الترحال بين البصرة و عمان ، فلعلمهم كانوا فى البصرة حين ولد ابن دريد ثم إرتحلوا إلى عمان وعاش طفولته هناك ولما صار أهلا للعلم أقام بالبصرة مع عمه الحسين ابن دريد ، ولا خلاف فى تعلمه بالبصرة ، إذ كان معلمه لاول أبو عثمان الاشناداني وقد روى ابن دريد عنه كتاب مائة الشعر وكان الاشناداني من جلسة علماء البصرة ؟ من خلال الصدق لعمه .

أما عن طوالة ابن دريد فلا نعرف عنها شيئا غير ما ذكر أنه نشأ برعاية عمه الحسين ولا ندرى لم تولاه برعايته ؟ وهل مات أبوه قبل أن ينضج ؟ أم لم يكن لعمه ابن فستباه ؟ ولذلك رباه ، ونرجح أن عمه تنرم فى ابن دريد مخايل الذكاء وتمثل له مستقبلا وظهر ذلك واضحا فى قصة ابن دريد التى حفظ فيها ديوان الحارث بن حلزة فى مدة غداء معلمه الاشناداني مع عمه كما سيأتى أو أن أباه كان كثير الاولاد ولكن هذا الرأى يبعده أن أباه كان ثريا ومن ذوى اليسار .

(١) الفهرست لابن النديم ص ٩٧

(٢) معجم الشعراء للمرزباني ص ٤٦٩

(٣) الانساب للسمعاني ص ١٢٦

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٣ ص ١٩٥

(٥) نزهة الالباء فى طبقات الادباء : ابن الأنباري ص ٣٢٠

٥ - طلبه العلم ، رحلته ، شيوخه :

نأدب ابن دريد بالبحر ، قرأ على علمائها ، طلب اللغة والأدب والشعر وظهر نبوغه وقوة حفظه مبكراً وكان عمه قد عهد إلى ابن عثمان الأشنانداني بتربيته وقد ذكر ياقوت في معجم الأبناء (١) والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٢) والوزير جمال الدين القفطي في أنباء الرواة (٣) على أنباء النحاة قصة طريقه تبين قوة حفظه وهي « قال ابن دريد كان أبو عثمان الأشنانداني معلماً وكان عمي الحسين بن دريد يتولى تربيتي فإذا أراد الأكل استدعى أبا عثمان يأكل معه فدخل عمي يوماً وأبو عثمان المذلم يروي قصيدة الحارث بن حلزة التي أولها :

أذنتنا بدينها أسماء رب ثاو يمل منه التواء

فقال له عمي : إذا حفظت هذه القصيدة وهبت لك كذا وكذا ثم دعا بالمعلم يأكل معه فدخل إليه فأكلا وتحدثا بعد الأكل ساعة قال فإني أن رجعت المعلم حفظت ديوان الحارث بن حلزة بأسره فخرج المعلم فعرفته بذلك فاستعظمه وأخذ يعتبره على فرجه حتى قد حفظته فدخل الزعمي فأخبره فأعطاني ما كان وعدني به .

كان ابن دريد واسع الحفظ ، قال « أحمد بن يوسف الأزرق أنه لم ير أحفظ

(١) معجم الأبناء : ياقوت الحموي : نشر د . الرفاعي ج ٦ ص ٤٨٥

(٢) تاريخ بغداد : الخطيب البغدادي ج ٢ ص ١١٦

(٣) أنباء الرواة على أنباء النحاة : جمال الدين القفطي وتحقيق محمد أبو الفضل

منه، كان قرأ عليه دواوين العرب كلها أو أكثرها فيسابق إلى إتمامها ويحفظها (١) ويذكر جمال اللفظي . وكان أبو بكر واسع الرواية ما رأى الرواة احفظ منه وكان يقرأ عليه دواوين العرب فيسابق إلى إتمامها بالحفظ لها (٢) ، وقد كتب ابن دريد كتابا سماه ماسئل عنه انظرا فأجاب عنه حفظا ويدل قوة حفظه ما ذكره المؤرخون . إنه أملى ابن دريد الجهره في فارس ثم أملاها بالبصرة وببغداد من حفظه ، (٣) ونراه في شيخوخته وهو ابن أربع وسبعين منه ( يملئ كتاب الجهره من أوله إلى آخره حفظا لا يستعين في شيء من الكتب إلا في باب الهجزة ، فإنه طالع له بعض الكتب ، (٤) ويقال كان ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء (٥) .

#### د - شيوخه : (١) عمه الحسين بن دريد

تولى عمه تربيته منذ الصغر وتعهد للاشتغال به بتعليمه وروى ابن دريد عن عمه كتاب مسالمات الاشراف ولم يصلنا هذا الكتاب . ويظن المستشرق د . كرينكو أن الكتاب إما من مؤلفات المدائني أو ابن الكلبي ، وكان الحسين راوية لابن الكلبي (٦) .

(١) طبقات الشافعية : السبكي ج ٢ ص ١٤٥

(٢) أنباه الرواة على أبناء المحاة جمال الدين القفطي ج ٢ ص ٩٢

(٣) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : جلال الدين السيوطي ص ٣٠

(٤) معجم الادباء : ياقوت الحموي ج ٦ ص ٩٠ والمزهر : جلال الدين

السيوطي ج ١ ص ٥٨

(٥) طبقات الشافعية : السبكي ج ٢ ص ١٤٥

(٦) ديوان ابن دريد هامش ص ٤

ويذكر ابن النديم عمه وسماء الحسن بن محمد وهو خطأ والصواب الحسين بن دريد كما ذكرته معظم كتب الطبقات .

### (٣) أبو عثمان سعيد بن هارون الاشنانداني :

وكان الاشنانداني شيخ ابن دريد الاول وودبه ويذكر ابن النديم الاشنانداني باختصار ويكنيه أبا عثمان ويقول « ومثل الاشنانداني ويكنى أبا عثمان روى عنه أبو بكر ابن دريد ولقيه بالبصرة وله من الكتب معاني الشعر وكتاب الأبيات ، (١) . وذكره ابن النديم في موضع آخر ر في من جمع بين المذهبين (٢) .

أما كتاب معاني الشعر الذي رواه ابن دريد عن أبي عثمان لاشنانداني فهو مجموعة من الاسعار التي ألفها المتقدمون واختيرت من جيد الشعر القديم وهو يشرح هذه المختارات ويظهر الخفي من معانيها . ويسمى اللفظ الغريب تفسيراً رائعاً فالكتاب بداية التأليف في شرح الأبيات وبيان معانيها ، وقد طبع الكتاب طبعات وأهمها طبعة دمشق التي حققها عز الدين التنوخي وجعل لها ذيلاً ، ومن نماذج الكتاب الشاهد الاول قال أبو بكر محمد بن دريد الأزدي أنشدني أبو عثمان الاشنانداني سعيد بن هارون قال

وشعنا غبراء الفروع متينة      بها ترصف الحسناء أو هي أجل  
دعوت بها أبناء ليل كأنهم      وقد أبصروها معطشون قد أنهلوا

(١) الفهرست لابن النديم ص ٩٥

(٢) الفهرست لابن النديم ص ١٣٩

وقال أبو عثمان : يصف ناراً جعلها شعثاء لتفرق أعاليها كأنها شعثاء الرأس وغبراء يعنى غبرة الدخان وقوله (تصف الحسناء) فإن العرب تصف الجارية فتقول : كأنها شجعة نار. وكأنها بيضة في روضة يقول بها توصف الحسناء أو مى أجمل حسناً منها والمنيفة المشرقة والعطش الذى عطشت أبله . وقد دعوت بها أبناء ليل يعنى أحياناً دعاهم ضوئها فلما رأوا كأنهم من السرور بها معطشون قد أوردوا أبلهم (١) ،

ونموذج آخر وهو الشاهد الرابع عشر :

قال أبو بكر محمد بن دريد أنشدنى أبو عثمان الأشنانداني سعيد بن هرون  
قـال :

قاسمت جنان الفلاة ففتهم	بمهجة واستبدوا لصاحبى
ولم احتمل عارا ولاكل نجدة	عذارى شفيق النفس بين السباب

صاحبه يعنى قومه ، يقول قاسمت الجن ففتهم بنفسي وتركت لهم النوم  
وليس بعار تركى النوم كما أنه عار أن أنرك صاحبنى ولكنها نجدة يريد أن النوم  
ليس بفعله . (٢)

(٣) أبو حاتم السجستاني

كان أبو حاتم من علماء اللغة في القرن الثالث وكان كثير الرواية عن أبي زيد  
وأبي عبيدة والأصمعي عالماً بالغة والشعر « واعتمد عليه ابن دريد اعتماداً كبيراً

---

(١) معانى الشعر لأبي عثمان سعيد بن هارون الأشنانداني تحقيق عبد الدين  
التنوخى ص ٤

(٢) نفس المصدر السابق ص ١٠

في تعلمه علوم اللغة وروى عنه كثيراً . وكان كثير التأليف للكتب في اللغة ويتول الشعر صادق الرواية . وكان يتبحر في الكتب ويخرج المعنى حاذق بذلك دقيق النظر فيه ، (١) ، وذكر له ابن السديم حوالي أربعين مؤلفاً في اللغة والقراءات ومنها كتب ما يلحق فيه العامة والمذكور والمؤنث والمقصود والممدود ، وكتب القراءات وكتاب الادغام ، وكتاب اختلاف المصاحف وكتاب الفصاحة . (٢) ويذكر ياقوت عنه « كان إماماً في غريب القرآن واللغة والشعر أخذ عن أبي زيد والاصمعي وأبي عبيدة وغيرهم وكان حسن العلم بالعروض وقرل الشعر الجيد وله كتاب في الفصاحة » (٣)

#### (١) أبو الفضل الصابي بن الفرج الرياشي

كان أبو الفضل مولى محمد بن ساليان بن علي الهاشمي وكان عبداً لرجل يسمى رياش فلما اعتق بقي نسبه إلى رياش ، وأخذ عن الاصمعي وكان يحفظ كتبه وكتب إلى زيد الانصاري كتاباً (١) وقد قتل الرياشي في فتنة الزنج حينما دخلوا البصرة وتوفي عام ٢٥٧ هـ .

#### (٥) عبد الرحمن بن أخى الاصمعي :

يكنى أبا محمد وقيل يكنى أبا الحسن وكان من الثملاء ثقة فيما يرويه عن عمه

(١) الفهرست لابن السديم ص ٨٢

(٢) معجم ياقوت ( معجم الادباء ) ج ٦ ص ٦٨

(٣) معجم الادباء لياقوت ج ١٢ ص ٤٤

(٤) النشر الثماني في القرن الرابع د . زكي مبارك ج ١ ص ٣٠٣

وعن غيره من العلماء ولا من الكتب كتاب معاني الشعر . ويذكر دكتور زكي مبارك أن «دكتور طه حسين» يرتاب في رواية ابن دريد عن ابن أخي الأصمعي وكان يرى في كلمة ابن أخي الأصمعي مثارا لكلامك (١) ولم يذكر دكتور زكي مبارك المصدر الذي استقى منه كلام الدكتور طه حسين ، ويرد على شكه هذا بأن رواه العرب كانوا يستعملون مثل هذا التعبير مثل الأصمعي ينقل «حدثني أبو مسلم عن ابن أخي رزمان وقال ياقوت «قال أبو جيان وكان يختلف إلى مجلس ابن سعد على بن المستنير وكان هذا ابن بنت قطرب» . (٢)

ويذكر الدكتور زكي مبارك (٣) أن هناك رجلا يسمى أحمد بن حاتم يدعى أنه ابن إخت الأصمعي وهو متهم في روايته رغم أن ابن النديم (٤) يذكر عنه أنه روى عن الأصمعي بلا إتهام ومحمل القول فإن ابن أخي الأصمعي متهم ولذلك فإن ابن دريد متهم في روايته عن ابن أخي الأصمعي . .

#### (٦) العنبي :

كان من أفصح الناس وكان شاعراً وله كتب الخيل والأعاريب وأشعار النساء اللاتي أحبين ثم أبغضن وكتاب الأخلاق ونوفى عام ٢٢٨ هـ (٥)

وبالإضافة إلى هؤلاء الشيوخ تتلمذ ابن دريد أيضاً لـ لكن بن سعيد الجرموزي

(١) النثر الفني في القرن الرابع : دكتور زكي مبارك ج ١ ص ٢٠٣

(٢) معجم الأدباء : ياقوت ج ٦ ص ٦٨

(٣) النثر الفني في القرن الرابع الهجري : دكتور زكي مبارك ج ١ ص ٢٠٥

(٤) الفهرست لابن النديم ص ٨٩

(٥) نفس المصدر السابق ص ١٨٢



والفضل أو المنفل بن محمد بن العلاف وحامد بن طرفه والزيادي وأبي جنكان  
المزومي الشاعر والغنوي والحسن بن خنجر والعملي وأبي عمران الكلاف .

### رحلات ابن دريد:

اعتنى المؤرخون بذكر رحلات ابن دريد لأن لها نتائج دامة في حياته .  
وأثرت هذه الرحلات في شخصية ابن دريد وأهم رحلة له رحلته إلى فارس التي  
مكنه مركزا وسلطة لدى ابني ميكال ونجده يواف في هذه الرحلة أهم مؤلفاته  
الجمهرة ويمدح ابني ميكال بمقتصراته المشهورة ولم يتفق أصحاب الطبقات في عدد  
هذه الرحلات . قال المرزباني « نشأ بعمان ثم تنقل في جزائر البحر وفارس ثم  
ورد مدينة السلام (١) ، وقال الخطيب البغدادي : « نشأ بعمان وتنقل في جزائر  
البحر والبصرة وفارس وورد بغداد » (٢) وقال جلال الدين السيوطي « ثم صار  
إلى عمان فأقام بها إلى أن مات » (٣) ، وقال ياقوت الحموي : « ثم صار إلى عمان  
ثم صار إلى جزيرة ابن عمر ثم صار إلى فارس ثم قدم بغداد » (٤) وقال ابن النديم  
وأقام بالبصرة ثم مضى إلى عمان فأقام بها مدة ثم صار إلى جزيرة ابن عمر فسكنها  
مدة ثم صار إلى فارس فمقطنها ثم صار إلى بغداد فنزلها » (٥) ، وقال ابن خلكان  
« ثم انتقل عن البصرة عند ظهور الزنج وسكن عمان ثم صار إلى البصرة وسكنها

(١) معجم الشعراء للمرزباني ص ٤٦١

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٢ ص ١٩٥

(٣) بغية الوعاة لجلال الدين السيوطي ص ٢

(٤) معجم الأدباء لياقوت الحموي ج ٦ ص ٤٦٤

(٥) الفهرست لابن النديم ص ٩٤

زماناً ثم خرج إلى نواحي فارس ثم وصل بغداد ، (١)

اتخذ ابن دريد البصرة مستقراً لأهميتها العلمية فبعد زيارته بعثان يرجع إلى البصرة أن يملك هناك — إلى أن وقعت فتنة الزنج وكانت من أعظم الحوادث الإسلامية في ذلك العصر ، وقد تمردوا عنها في الحياة السياسية — لئلا رأيتهم يغيرون على البلاد الإسلامية ويخربونها ولم تسلم البصرة من تحريضهم فدخلوها عام ٢٥٧ للهجرة فحرقوها وقتلوا الرياشي وكان استاذاً لابن دريد وكان عمر ابن دريد حينذاك أربعاً وثلاثين سنة وكان عمه حياً فأنقلا إلى وطنها عمان وأقام بها ابن دريد اثنتي عشرة سنة وتنقل ابن دريد في جزيرتي البحر وجزيرة ابن عمر ، ولما انتقضت فتنة الزنج رجع اليها وبقي هناك إلى أن قلد المقتدر بالله عبد الله بن محمد بن ميكال الأعمال بكرر الأهواز فغنم إليه ابنه اسماعيل أبا العباس الميكالي وطلب ابن دريد لتأديبه فدخل ابن دريد إلى الأهواز لتأديبه ، وهذه أهم الفترات في حياة ابن دريد ، فقد نال المنزلة العلمية في فارس وقلدة الميكالي ديوان فارس وعمل لها كتاب الجهرة وقلده ديوان فارس فكانت تصدر كتب فارس عن رأيه ولا ينفذ أمراً إلا بعد توقيعه فأفاد معها أموالاً عظيمة وكان لا يمكس دهما سخاء كرها ومدحها بقصائده المتصورة فوصله بعشرة آلاف درهم ، (٢)

ويتضح من مقام ابن دريد في فارس إنه كان يعامل معاملة العلماء ذوي المكانة العالية ، فقد أصبح عالماً لغوياً له شأنه بين العلماء ونجد ابن دريد يرجع

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٤٩٨

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب : أبو الفلاح عبد الحق بن العباد

الحلبى ج ١ ص ٢٨٩

إلى البصرة وقد مات عبده الله ولم يقبل ابنه اسماعيل العمالة ورجع إلى خراسان ونيسابور فرجع ابن دريد إلى بغداد عام ثمان وثلاثمائة ولما وصل إلى بغداد أنزله على بن محمد الخوارى في جواره وأفضل عليه وعرف الإمام المقتدر بالله خبره ومكانه من العلم فأمر بأن يجرى عليه خمسون ديناراً كل شهر ولم تنزل جارية عليه إلى حين وفاته .

### شخصيته العلمية

شارك ابن دريد مشاركة فعالة في ارساء علوم اللغة في البصرة وكانت النهضة اللغوية قد أنت ثمارها فمال ابن دريد شهرة عريضة بين المعاصرين والمتأخرين . اشترك ابن دريد بعد أن تضحج عليهما في التأليف المبكر للغة والمعاجم فألف في الرسائل التي مهدت لظهور فن المعاجم ، مثل غريب الحديث ، وغريب القرآن ، ولغات القرآن ، والخيل الصغير والخيل الكبير وقد وصلتنا من تأليفه المبكرة كتاباً صفة السرج واللجام ومنه السحاب والغيث وله مؤلف مخطوط هو اخبار ابن دريد كتبه النقيطة بخطه ، وكانت شخصيته العلمية تتميز بقوة الحفظ وكان منهجه العلمي يقوم على الرواية تارة وعلى التعاليم تارة كان يكتب روايته عن أسيادته أو يكتب ليتعلم شباب العرب لغتهم ورغم ذلك فقد اتهمه كثيرون بأنه كان يتسامح في الرواية ( وقيل أنه كان يتسامح في الرواية عن المشايخ فيستند إلى كل واحد ما يخطر له ) (١)

وكان الازهرى من أولئك الذين هاجموا ابن دريد في شخصيته العلمية

---

(١) أنباء الرواه على أنباء النجاء . جمال الدين القفطى تحقيق محمد أبو الفضل

وانتم به بافعال العربية فقال وقد ذكر ابن دريد في طبقة غير الثقات . « ومن ألف في عصرنا مكتب فوسم بافعال العربية وتوليد الالفاظ التي ايس لها أصول وإدخال ما ليس من كلام العرب في كلامهم أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي صاحب كتاب الجهرة وكتاب اشتقاق الأسماء وكتاب الملاحن » (١) . وسنحاول أن نناقش هذه التهمة عند حديثنا عن كتاب الجهرة .

وكال لابن دريد مجالس علمية أدبية تجمع الأدباء والعلماء . ومن هذه المجالس ما حكى عن الرصافي عن بعض أصحابه قال حضرت مجلس ابن دريد وقد سأله بنض الناس عن معنى قول الشاعر :

هجرتك لا قلى منى ولكن	رأيت بقاء ودك في الصدود
كهمجر الحائمت الورد لما	رأت أن الميعة الورد
تفيض نفوسها ظمأ وتخشى	حماما فهي تنظر من بعيد

فقال في الحائم الذى يدور حول الماء ولا يصل إليه ، يقال حمام يحوم حياماً ومعنى الشعر أن الإبل تأكل الافاعي في الصيف فتحمى فتلتهب بحرارتها وتطلب الماء فاذا وقعت عليه امتنعت من شربه وحامت حول تنسجه . ولإنها أى شربته في تلك الحال صالفة الماء السم الذى في جوفها فتفت ، فلا تزال تدفع بشرب الماء حتى يطول بها الزمان فيسكن ثوران السم ثم تشربه فلا يضرها ، ويقال فاض الميت وفاضت نفسه وفاضت نفسه أيضاً جائز عند الجميع الأصمعى (٢) ،

---

(١) تهذيب اللغة : أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري تحقيق عبد السلام هارون ص ٣١ المقدمة

(٢) معجم الأدباء : ياقوت الحموي : الجزء السادس ص ٤٩١ و ٤٩٢ طبعة د . الرفاعي

ومنها ما حكى عن السير في قال : حضرت مجلس أبي بكر بن دريد ولم يكن يعرفني قبل ذلك فجلمت فأشدد أحد الحاضرين بيتين يعزيان لسيدنا آدم عليه السلام :

تغيرت البلاد ومن عليها      فوجه الأرض تغير قبيح  
تغير كل ذي حسن وطيب      وقل بشاشة الوجه القبيح

قال ابن دريد أن هذا الشعر قد قيل قديما وجار فيه الاقواء فقلت : أن له وجها يخرج به عن الاقواء . نصب بشاشة وحذف التنوين منها لالتقاء الساكنين فيكون بهذا التقدير فكرة منتصبة على التمييز ، ثم رفع الوجه باسناد وقل اليه فيصير اللفظ « وقل بشاشة الوجه المايح » قال فرقعني حتى أقعدني جنبه ، (١)

وقد تتبع د . زكي مبارك هذه الرواية واعتبرها سذاجة مطبقة وانهم ابن دريد يانه على سوء عليه وقوة ذكائه كان يطمئن إلى بعض الحقائق المزيفة التي يتداولها الناس « وفي سذاجة مطبقة أن يظن أن آدم كان يتكلم العربية حتى يؤخذ عليه أنه أول من وقع في الاقواء » ، (٢)

وقيل في مجامع : (٣)

من يكن للظباء طالب صيد      فغلبه بمجلس ابن دريد  
أن فيه لأوجها فيدتنى      عن طالب العلى بأوثق قيد

- 
- (١) طبقات الشافعية : للسبكي ج ٢ ص ١٤٥ أو ١٤٦  
(٢) النثر الفني في القرن الرابع ج ١ ص ٣٠٤ د . زكي مبارك  
(٢) بقية الرواة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ص ٣٠

وذكر السيوطي أيضا في البغية (١) قال ابن خالويه في شرح المقصورة كان  
بغداد عياد ابن عمر ابن الحائس الكرمانى صاحب لغة وكان يطعن على ابن دريد  
وبنقض عليه الجهرة فجاء غلام لابن دريد فجلس بمحاذاته في الجامع ونقض على  
الكرمانى جميع ما نفضه على ابن دريد فقال اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم قال  
أبو بكر بن دريد أعزه الله تعالى عننت الفرس إذا حبسته بنانته فإن حبسته  
بمقوده فليس بمعن . قال الكرمانى الجاهل إخطأ ابن دريد لأنه إن كان من عننت  
فيجب أن يكون معنونا وإن كان من اعنت فيجب أن يكون معنا وأخطأ لكذا  
وكذا فوقى شاعر على الحلقة فقال اكتبوا :

اذلت كرمان وعرضتها	لجفيل مثل عديد الحصى
وإبن دريد غرة فيهم	في بحره مثلك كم غوصا
جئا على الركبة حتى إذا	أحس نورا قعد القرفصا
والله إن عاد إلى مثلها	لأصفعن هامته بالعصا

فلم يلغنت إلى الكرمانى بعد ذلك .

ويذكر الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٢) وحدثني علي بن محمد بن نصر  
قال سمعت أبا بكر الأهرى المالكي يقول : جلست إلى جنب ابن دريد وهو  
يحدث ومعه جزء فيه ( ١٠ ) قال الأصمعي فكان يقول في واحد حدثنا الرياشي  
وفي آخر حدثنا أبو حاتم وفي آخر حدثنا ابن أخي الأصمعي عن الأصمعي يقول  
كما يجي على قلبه .

(١) المصدر السابق ص ٣١

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٢ ص ١٩٥

أما شخصيته العلمية الرائعة فتظهر بتأليفه معجم الجهرة وهو أهم أعماله العلمية وتظهر فيه شخصيته التي تتميز بقوة الحفظ وملكة اللغة وحب تعلمها فقد أملى الجهرة من حفظه مرات فقد قيل، وله من الكتب كتاب الجهرة في علم اللغة يخلف النسخ كثير الزيادة والنقصان لأنه أملاه بفارس وأملاه ببغداد من حفظه فلما اختلف الأملاء زاد ونقص ولما أملاه بفارس على غلامه تعلم من أول الكتاب، (١) وقيل أيضاً « قال بعضهم أملى ابن دريد الجهرة من حفظه سنة ٢٩٧ هـ فما استعان عليها بالظر في شيء من الكتب إلا في الهزرة واللفيف (٢) » ، وكانت هذه المجالس لها تأثير كبير قيمن التفوا حول ابن دريد ويكفي أن يكون بين تلاميذ ابن دريد مشاهير العلماء مثل أبي على القالي تلميذه الأول وأبي على الفارسي والأصفهاني صاحب الاغانى والآمدى وابن خالويه .

وكان ابن دريد شاعراً وكان شاعراً مكثراً بارعاً ابتكر في شعره ويقال عنه أنه أعلم الشعراء وأشعر العلماء ، يقول المسعودى في مروج الذهب « وكان ممن برع في زماننا هذا في الشعر وانتهى في اللانة وقام مقام الخليل بن أحمد فيها واورد أشياء في اللغة لم توجد في كتب المتقدمين وكان يذهب في الشعر كل مذهب فطوراً يحزل وطوراً يرق وشعره أكثر من أن نحصيه أو يأتي عليه كتابنا هذا (٣) . »

وقال أبو الطيب اللغوى في مراتب الحويين « وكان أحفظ الناس وأوسعهم

(١) الفهرست لابن النديم ص ٩٨

(٢) المزهري للسيوطي تحقيق محمد أبو الفضل وآخرين ج ١ ص ٩٢

(٣) مروج الذهب ومعادن الجواهر لعلي بن الحسين المسعودى ج ٤ ص ٢٢

تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .

علما وأقدرهم على الشعر وما ازدحم العلم والشعر في صدر أحد ازدحامها في صدر  
خلف الأحمر وأبي بكر بن دريد (١)، غير أن الدكتور زكي مبارك يرى «أن  
ابن دريد كان شاعراً مقلداً تحفظ له الأبيات والمقطوعات وبعض القصائد ولكن  
كان يسكب روحه فيها ينظمه من الشعر فتسرى مآثبه قوية سحابة بلا جارية  
ولا ضضاء كما تفعل الجنون النوايس بأبواب الشعراء» (٢)

وقد ترك لنا ابن دريد من آثاره الشعرية ديوانه المطبوع وقصيدته المشهورة  
المقصورة التي اشتملت على أكثر المقصور وهي من أحسن شعره وذكر فيها من  
الحكم والأمثال وحالته مع الزمن واحداً نارينجية تبين مواقف بعض العظماء من  
الزمن. وهناك أشعار أخرى متناثرة في كتب الأدب المختلفة وأهمها كتاب الأمل  
لابي علي القالي الذي يروي أكثر رواياته عن ابن دريد ويذكر كثيراً من شعره  
وكتاب أمالي الزجاجي الذي ذكر له قصيدته وشرحها وكتاب أدب الدنيا والدين  
للهاوردي وغير ذلك من الكتب الأدبية. أما الديوان فقد طبعته لجنة التأليف في  
مصر وحققه محمد بدر الدين العلوي وجمع شعره من الكتب الأدبية ويرى المحقق  
أن ابن دريد لم يكن شاعراً من حيث صناعته بل كان ينظم الشعر كلها بعثته  
باعثة من قريحة الدح أو الهجو أو غير ذلك فكان شعره زينة المصنوع بالمعنى  
الحقيقي» (٣).

وقد نظم ابن دريد الشعر وعمره عشرون عاماً وكان يجمع في شعره كثيراً

(١) مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي تحقيق محمد أبو الفضل ص ٨

(٢) النشر الثماني في القرن الرابع الهجري دكتور زكي مبارك ج ١ ص ٢٧٨

(٣) مقدمة الديوان ص ٢٢ (ديوان ابن دريد)



من أغراضه فنيته النصب والمدح والحماسة والهجاء والوعظ ويستعمل أحيانا  
الاسلوب السهل وأحيانا أخرى يظهر كما له في الدقائق اللغوية .

أما المقصورة والتي مدح بها ابنى ميكال والتي ذاعت على مر الزمن  
وعارضها كثيرون كان آخرهم الشيخ رشيد رضا في مقصوده وأول قصيدة ابن ذريد  
المقصورة في رواية أبي اسحاق ابن مخلد :

ياظبية أشبه شيء بالمها      ترعى الخزامى بين أشجار النقي

وكثير من الروايات تجعل أول المقصورة :

أما ترى رأسى حاكى لونه      طرة صبح تحت أذيال الدجى

ولهذه المقصورة شروح كثيرة « شرحها تلميذه ابن خالويه والتبريزي  
والجواليقي وابن هشام اللخمي والزخشرى وخمست المقصورة ، خمسها سعد بن علي  
الآربلى وعبد الله ابن عمر الآبازى والحسين محمد بن الملا جرجيس وهناك تخمين  
للمقصورة . من نظم مجد الدين اسد بن أحمد بن يعلى الآربلى ، (١)

وعارضه في المقصورة جماعة من الشعراء منهم التنوخي الانطاكي وأول  
مقصوده .

لولا نتهائى ولم أطع نهى النهى      أى مدى يغلب من جاز المدى  
وعارضه أبو الحسن حازم بن محمد بن خلف بن حازم الاندلسى المتوفى عام  
٦٨٤ هـ وآخر من عارضه رشيد رضا وأول مقصوده :

(١) تاريخ الأدب العربى : كارل بروكلمان ترجمة عبد الحلیم النجار ج ٢

تبارك البارء مبدع الرى بالحق والحلم عن ظر غنى

ونستطيع أن نقول أن ابن دريد أول من ابتدع فن المقصورة رغم ما يذكره  
المسعودى فى مروج الذهب حين قال : « وقد سبق إلى المقصورة أبو المقاتل نصر  
بن نصير الحلوانى بن زيد انداعى الحسنى بطهرستان بقوله :

فقا خلى على تلك الرى وسائلاها أبى هاتيك الرى (١)

ونزد على رأى المسعودى ونقول أن نصيدة الحلوانى لم تكن مقصورة كاملة  
ولم يسر بها الركبان مثلما سارت مقصورة ابن دريد .

ويقال أن أول شعر له (٢) :

ثوب الشباب على اليوم بهجته وسوف تنزعه عنى يد الكبر  
أنا ابن عشرين مازادت ولا نقصت أنا ابن عشرين من شيب على خمار

ومن شعره الجمل الذى يتضح فيه التصوير الجمل والخيال الرقيق وقد خرج  
يريد عمان فنزل تحت نخلة فإذا فاختان ترقوان فى فرعها فقال (٣) :

أقول لورقاوبن فى فرع نخلة وقد لفل الامساء أو جنح العصر  
وقد بسطت هاتا لتلك جناحها ومال على هاتيك من هذه النهر  
ليهنكما أن لم تراعا بفرقة وما دب فى تسميت شملكما الدهر  
فلم أر مثلى قطع الشرق قابله على أنه يحكى قساوته الصخر

(١) مروج الذهب للمسعودى ج٤ ص ٣٢٠

(٢) ديوان ابن دريد ١٦٨ وانظر أيضا معجم الادباء لياقوت ج٨ ص ٤٨٤

وتاريخ بغداد ج٢ ص ١٩٦

(٣) ديوان ابن دريد ٩٦

وهي أبيات تفيض بالرفق والحنان ، وتمثل اختلاف الطير ارق تمثيل  
ولا يعرف قيمتها إلا من ألف صناعة الطير في صحوات الربيع ، ومن شعر  
ابن دريد هذان البيتان (١) .

عائقت منه وقد مال النعاس به      والكأس تقسم سكرًا بين جلاس  
ريحانه ضمنت بالمسك ناضرة      تملج بدر الندى في حر انفاس

وفي هذين البيتين صورة شعرية جذابة ويعتبر البيت الثاني وثبة من وثبات  
الخيال .

وتحدث ابن دريد في شعره عن قومه من أهل عمان ، وكانت عاطفته تنزع  
إلى موطنه الأول ونجد من شعره قصيدتين تتعلق بسياسة عمان الداخلية وهما  
يتحدثان عن وقعة الروضة وهي الوقعة التي قتل فيها رجال من ولد مالك بن فهم  
ومو أحد أجداد ابن دريد وقد تحدث عنها السلمي في تحفة الأعيان (٢) ، وهي  
بإيجاز أن جماعة من اليمن أرادوا عزل راشد بن النضر منهم فهم بن واث الكلابي  
ومصعب وأبو خالد ابنهما سليمان الكلابي وكاتبًا مسلما واحمد بن عيسى بن سلمة  
وسألهم أن يبايعا لهما في الباطنية من العتيك بن بنى عمران ومن كان على رأسهم  
من ولد مالك بن فهم وخرجوا جميعا وأخذوا طريق الجبل يريدان عزل راشد  
بن النضر وكان الخبر قد اتصل به فلما صاروا بالروضة بالقرب من تنوف من  
حدود الجوف وجه إليهم راشد السرايا والجيوش فكبسهم بالروضة من تنوف  
فوقعت عليهم وقعة شديدة .

(١) ديوان ابن دريد ٧٠

(٢) تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان للسلمي ج ١

يقول ابن دريد في القصيدة الأولى (١) يعير قومه من ولد مالك بن فهم  
ويحرضهم على أخذ ثار من قتل منهم بالروضة :

وله ناب وخطب جليل	بل رزايا لمن عيبه ثقیل
بل غرام مباده بل دهاير	س عظام وقوعهن وبيل
أن بالقاع سن تنوف محلا	ليس للمكرمات عنه حويل

ويقول فيها :

أفليل عـديدكم فتقولوا	إننا في الوغى نفير قليل
أم ضماف عند ثأركم فتلدوا	مشرب الذل والضعيف ذليل
أم نساء ينعمى لمن بعول	إن ستر المحصنات البعول

ويخاطب جماعة من قومه فيقول :

يا سليمان حرد العزم قدما	تدرك الوتر منجدا وهو نول
يا فراheid أنت نجم المساعى	انتم العدة الحياة النصول

أما القصيدة الثانية (٢) فقال يرثى من قتل من قومه في وقعة الروضة بتنوف  
من اليمن وغيرهم .

انما ثارت قداح المنايا	يوم حازت خصاهـا بتنوفا
يوم قالت للردى استقص حظى	يوم لم تعطف إلا الشريفا

---

(١) ديوان ابن دريد ١٠١ وتحدث عنها السالمى في تحفة الأعيان ج ١ وذكر  
أنها محرقة في أغلب المصادر .

(٢) الديوان ٨٢

ومن اغراض الشعر التي اشترك فيها ابن دريد الرثاء والهجوم فمن الرثاء  
قصيدةتان يرثى في الاولى الإمام الشافعي وفي الثانية يؤنبه ، قال يرثى الإمام  
الشافعي (١)

بما فتية للأييب طوالع ذوائد عن ورد التصابي روادع  
تعرفته طوع العنان وربما دعاه الصبا فافتاده وهو طالع  
ويقول فيها :

لرأى ابن ادريس بن عم محمد ضياء اذا . أظلم الخطب ساطع  
إذا المعضلات المشكلات تشابها سما منه نور في دجائن لامع  
أبى الله إلا رفعه وعلوه ولبس لما يعليه ذو العرش واسع  
وأبن الإمام الشافعي فقال : (٢)

واذا قرأت كلامه قدرته سحبات أو يوفى على سحبان  
لو كان شاعده معد خاطبا وذو النصيحة من بنى قحطان

ومن فترن شعره ما قاله في اخلاق ناس (٣) وقد أجاد :

أرى الناس قد أغروا بهجى وريبة وغى اذا ما بين الناس عاقل  
وقد لزموا بهجى الخلاف فكلامهم إلى نحو ما عاب الخليفة ما نل  
إذا ما رأوا خيراً رموه بظمة وان عاينوا شراً فكل مناضل

وقد هجا ابن دريد من عاداه فقال يعرض بالباهلى اللغوى وهى قصيدة

(١) الديوان ٧٧

(٢) ديوان ابن دريد ١٩ وطبقات الشافعية للسبكي ج ٢ ص ١٤٦

(٣) الديوان ٩٩

تمتلىء بالغريب (١) يقول فيها :

ديار الحمى بالرس      إلى العمرين ، فالابرق  
كرجع النقش في الطرس      إذا نمتق لم ينمق

ويقول فيها :

وما الكهدل في الخيـ      عل والكافر في اليملق  
وما الاسناخ في الارعا      ظ ولارصاف إذ يلزق  
وما النعو وما البغو      وما المعو إذا يغرق  
وما البعل وما الجعل      وما الجبار إذ نتق  
وما الجامور والساجو      ر في السكة فالزردق

ونظرة واحدة إلى ألفاظ هذه القصيدة مثل الكهدل والننو والجامور... الخ نجد أنها كلمات غريبة تحتاج إلى شرح مطول .

ومن حكمه ما ذكره البلوى في كتابه ألف باء (٢) « ومن أمثالهم من جهل شيئاً عاداه ، وفي ذلك يقول ابن دريد :

جهلت فعاديت العلوم وأعلمها      كذلك يعارض العلم من هو جاهله  
ومن كان يهوى أن يرى متصوراً      ويكره لا أدري أصيبت مقاتله

وقد ذكر الزجاجي في أماليه (٣) هذه القصيدة الجيلة فيقول :

(١) ديوان ابن دريد ٨٧

(٢) ألف باء : أبو الحجاج يوسف بن محمد البلوى ص ١٩

(٣) أمالي الزجاجي : عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي تحقيق عبد السلام هارون

أعن الشمس عشاء      كشفت تلك السجوف  
أم عن البدر تمرى      موهنا ذلك النصف

والزجاجي تدليق على العصيدة وذكر شرح مفرداتها .

ومن شعره أيضا في الوصف الرائع (١) :

غراء لو جلت الخدود شعاعها      للشمس عند طلوعها لم تشرق  
غمصن على دغص تأود فرفه      قمر تالق تحت ليل مطبق  
لو قيل للحسن اعتكم لم عدها      أو قيل خاطب غير ما لم ينطق

وقال في وصف الخمر (٢) :

وحمراء قبل المزج صمغراء بعده      أتت بين ثربي فرجس وشقائق  
حكمت وجنة المعشوق قبل مزاجها      فلما مزجتها حكمت خد عاشق

ورغم أن بعض المصادر لا تذكر دذين البيتين لابن دريد فمجم الأدباء (٣) ينسبهما لأبي ناجية كذلك ابن خلكان في وفيات الأعيان (٤) ينسبهما إلى أبي ناجية ولكننا نعتقد أنها لابن دريد وخاصة أنه كان يشرب الخمر أو كان متها بشربها . أما أبو علي القالي فيذكر في أماليه نماذج من شعر ابن دريد وكتاب الأمالي لأبي علي القالي مصدر أساسي لاختبار ابن دريد وأثير روايات القالي عن ابن دريد

(١) نهاية الإرب : للسوري ج ٢ ص ٩٩

(٢) ديوان ابن دريد ٨٦

(٣) مجمع الأدباء : ياقوت ٤٨٧ ج ٦

(٤) الوفيات ج ١ ص ٤٩٩

وذكر أبو علي القالي من شعر ابن دريد في أماليه : (١)

قلب تقطع فاستحال نجيباً      فجرى نضار مع الدموع دموعاً  
ردت إلى أحشائه زفراته      فغضضت منه جوارحها وضلوعاً  
عجبا لنار ضمرت في صدره      فاستبطت من جفنه ينبوعاً

وقال أيضاً وانشدنا أبو بكر لنفسه (٢) :

إن الذي أبقيت من جسده      يا متلف الصب ولم يشعر  
صباية لو أنها دمة      تجرل في جفنه لم تنظر

ومن الأمالي أيضاً (٣) قال : وقرأت على أبي بكر بن دريد لنفسه في قصيدة  
له أولها هذه الأبيات :

ليس المفسر دانيلاً كالمفسر      حكم المعذر غير حكم الماعذر  
لو كنت أعلم أن لحظك موبق      لحذرت من عينيك ما لم أحذر  
لا تحسبي دمعى تحذر لأنها      نفسى جرت في دمعى المتحذر

وإذا كان ابن دريد شاعراً في عصره فقد استترك في نهضة النثر في ذلك العصر  
وقد أثار الدكتور زكي مبارك قضية هامة تتعلق بنثر ابن دريد فقد اكتشف  
أن ابن دريد هو مخترع فن المقامات في الأدب العربي وكان من المعروف أن  
بديع الزمان الهمذاني هو أول من أنشأ فن المقامات وكان الحريري هو الذي  
نشر أن بديع الزمان هو مخترع فن المقامات حتى اكتشف الدكتور زكي مبارك

(١) الأمالي ج ١ ص ٧٩

(٢) الأمالي لأبي علي القالي ج ١ ص ٢٢٣

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ١١٥



نصا ذكره أبو إسحاق الحمصى حيث عرض للكلام عن بديع الزمان فقال :  
 «كلامه عض المكاسر أنيق الجواهر ، يكاد الهواء يسرقه لطننا والهوى يعشقه  
 ظرفا ، ولما رأى أبا بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي أغرب بأربعين حديثا  
 وذكر أنه استنبطها من ينباع صدره واستنخبها من محاذق فكره وأبداه للإبصار  
 والبصائر وأهداها للأفكار والضماير ، في معارض عجيبة وألفاظ حوشية ، فجاء  
 أكثر ما أظهر تنبؤ عن تبرله الطباع ولا ترفع له حجبتها الاسماع ، وتوسع فيها ،  
 إذ صرف الأنظارا ومعانيها في وجوه مختلفة وضروب منصرفه ، عارضها  
 بأربعائة مقامة في الكدية تذيب حسنا لامناسبة بين المقامتين لفظا ولا معنى (١)» .

ويعتبر الدكتور زكى مبارك أن هذا النص دليل على أن ابن دريد هو  
 مخترع فن المقامات ولكن ماهى المقامة ، وما هى أحاديث ابن دريد التى كانت  
 مقدمة لتطور فن المقامات فى رأى الدكتور زكى مبارك ، فالمقام فى اللغة المجلس  
 أو اسم الموضع بالفتح والضم قال تعالى «أى النريتين خير مقاما وأحسن نديا» (٢)  
 وعرف العرب كلمة المقامة فى الجاهلية ، يقول زهير بن أبى سلمى عنها بمعنى  
 مجلس القبيلة :

وفيهما مقامات حسان وجرهما وأندية ينتابها الغول والعفل

وتوسع العرب بعد ذلك فى معنى الكلمة فأصبحوا يطلقونها على خطبهم ،  
 وأحاديثهم التى يقولونها فى مجالسهم وتتطور الدلالة فى العصر الإسلامى وتدل على  
 الموقف الذى كان يقفه الواعظ بين يدى الخليفة أو غيره متحدثا فى الوعظ ثم

(١) زهر الآداب وثمر الالباء : أبو إسحاق الحمصى ج ١ ص ٣٠٨

(٢) سورة مريم : آية ٧٢

يمضي التطور عليها حتى نصل على المحاضرة الى تلى. ثم نظرت المقامة فأصبحت  
تعنى القصص الذى وضع قصداً والذى أراد أصحابه أن يدونوا به بعض الأوصاف  
عن طريق الحكايات الصغيرة أو يذنبوا بعض النوادر والفكاهات أو يعطوا بعض  
الجوانب التاريخية صورة مغرضة يخدمون بها بعض الأحزاب، أو يشرحوا  
بعض النظريات الفلسفية والأدبية أو يصنوا بعض الحوادث الغرامية (١)، وقد  
تطور هذا الفن من القصص فى القرن الرابع الهجرى ويقال أن بديع الزمان قد ألف  
مقاماته عام ٣٨٢ هـ وجعلها شخصيتين خياليتين هما أبو الفتح الاسكندرى  
وعيسى بن هشام، ولئن الآن أحاديث ابن دريد انتهى يدعى زكى مبارك أنها  
كانت أساس المقامات. ونرى هذه الأحاديث قد نقلها أبو على القالى عن ابن دريد  
فى كتاب الأمالى وتشتمل على طائفة من القصص المسجودة وكانت هذه الأحاديث  
قد رويت على السنة أناس بمجهر لين فأحيانا عن الأعراب ونارة أخرى عن أقبال  
اليمن الذين لا يعرف لهم اسم ولا يحتفظ لهم بتاريخ وتتناول هذه الأحاديث  
فى جملتها جانباً من الدعاية والفن من ذلك الرجل الخليع وأتم ابن دريد بتصوير  
الشمال العربية وشغف بنوع خاص بتقديم طائفة من الصور المختلفة من أحلام  
النساء فى فهم الرجال وإعجاب البنات بأعمال الآباء ويتحدث ابن دريد عن  
شجعان العرب وفرسانهم وكرامهم. وهذه نماذج من أحاديث ابن دريد، ذكر  
أبو على القالى فى الأمالى (٢) : « وحدثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد قال  
أخبرنى عمى عن أبيه عن ابن الكلبى قال قالت عجزز من العرب لثلاث بنات لها  
صنن مانحين من الأزواج : فقالت الكبرى أريد أروع بساما أحذ جنداما

(١) البشر الفنى فى القرن الرابع الهجرى : دكتور زكى مبارك ج ١ ص ٢٤٢

(٢) الأمالى لأبى على القالى ج ١ ص ١٧ طبعة بولاق

سيد ناديه وثمان عافيه ومحب راجيه فإوزه رجب وفياده صعب ، وقالت الوسطى  
أريده على السناء معهم المضاء ، عظيم ثار متمم أيسار ، يقيد ويبيد ويبدى  
ويعيد ، .. الخ ، وذكر أبو على القالى من حديث أوس بن حارثة (١) لابنه مالك  
قوله : « يا مالك المنية ولا الدنية والعقاب قبل العقاب والتجلد لا التبذل ، واعلم  
أن القبر خير من الفقر وشر شارب المشتف وأقبح طاعم المثقف وذاب البصر  
خير من كثير من النظر » وذكر أبو على القالى حديثاً آخر لخنافر الحميرى وخوله  
الإسلام مروياً عن ابن دريد فقال (٢) : « وحدثنا أبو بكر قال حدثنى عمى  
عن أبيه عن ابن الكلبى عن أبيه قال كان خنافر ابن التوام الحميرى كاهنا وكان  
قد أدنى بسطة فى الجسم وسعة فى المال وكان عاباً فلما وفدت وفود اليمن على  
النبي ( صلى الله عليه وسلم ) وظهر الإسلام أغار على أبل المراد فأكتسحها ثم  
يستطرد فى هذا الحديث ويقول ما همنا فقال خنافر فقلت شصار فقال أسمع  
أقل قلت قل أسمع فقال عنه تخنم لكل مدة نهاية ولكل ذى أمد غاية قلت أجل فقال  
كل ديلة إلى أجل ثم يتاح لها حول انتدفت النحل ورجعت إلى حفائنها الملل ،  
وهناك حديث النسوة اللاتى أشرن على بنت الملك بالزوج - وذكره أبو على  
القالى عن ابن دريد « كان قيل من أفيال حمير منع الولد دهرأ ثم ولدت له بنت  
فبنى لها قصرأ منيفاً بعيداً عن الناس ، ويستطرد فيقول « فقلن لها يوما يا بنت  
الكرام لو تزوجت لثم لك الملك فقالت وما الزوج فقالت لإحداهن الزوج عز فى  
الشدائد وفى الخطوب مساعد إن غنبت عطف وإن مرضت لطف ، وذكر القالى

---

(١) نفس المرجع ج ١ ص ١٢

(٢) نفس المرجع ج ٢ ص ١٣

بحاسا في صفة الأسد فقال راوينا عن ابن دريد (١) : اجتمع عند يزيد بن معاوية أبو زيد الطائي وجميل بن معمر العذري والأخطل التميمي فقال لهم أيكم يصف الأسد في غير شعر يقال أبو زيد أنا يا أمير المؤمنين لونه وزد وزئيره رعد وقال مرة أخرى زغد ووثبه شد وأخذه جسد وهرله شديد وشره عيد ونابه حديد وأنه أخثم وخده أروم ومثفره أولم وكناه عراضتان ووجنتاه نائنتان .. الخ ، وذكر أبو علي حديث (٢) الجراري الخمس الآتي وصنن خيل أبائهن فقال : « قالت الأولى فرس أبي ورده ذات كفل مزحلق ودمن أخلق وجوف أخوق ونفس مروح وعين طروح وقالت الثانية : فرس أبي اللعاب وما اللعاب غبية سماه واضطرام غاب » .

أ.١ مقابلات بديع الزمان الهمذاني والتي عزاها إلى أبي الفتح الاسكندر في أنها وإلى عيسى ابن هشام في روايتها وكلاهما مجهول فن مقاماته المقامة الخيرية التي وضعت قصدا لوصف الصهباء فيحدثنا عيسى بن هشام « أنه كان في عنفوان شبابه عدل ميزان عمله وعدل بين جده وهزله فجعل النهار للناس والليل للكأس وأنه اجتمع في بعض لياليه مع أكران الخلوة فزالوا يتعاطون نجوم الأقداح حتى أنفذ ما معهم من الراح ثم دعتهم دواعي الشطارة إلى حان الخمارة ، والليل أخضر الدباج معتم الأمواج .. الخ وقول بديع الزمان في المقامة الاسدية : « إلى أن اتفقت لي حاجة بمحمص فشحن الحرس في صحبة أفراد كنجوم الليل أحلى من ظهور الخيل وأخذنا الطريق تنهب مسافته ونستأصل شأفته ولم نزل اسنمة النجاد بتلك حتى صارت كالعمى ورجعت كالقسي » .

(١) ذيل الامالي والنوادر ص ٢٢

(٢) الامالي لابن علي الفاي ج ١ ص ١٩٠

وإذا قارنا بين أحاديث ابن دريد ومقامات بديع الزمان الهمذاني فهناك آراء حول نشأة المقامة وحول الاختلاف بين ابن دريد وبديع الزمان، فأما الدكتور زكي مبارك فيرى أن ابن دريد منشىء فن المقامات وأن الحريري هو الذى أذاع الخطأ وهو أن بديع الزمان منشىء المقامة (١) ، أما الدكتور شوقي ضيف فيرى أن أحاديث ابن دريد (٢) : « كانت تمتلىء باللفظ الغريب فهى أحاديث ألقت لغرض تعليم الناشئة اللغة وأن ابن دريد أثر في الهمذاني من ناحية الشكل ورأى آخر ذكره باحث حديث تبين التساويه بين المقامة الاسدية لبديع الزمان وحديث صفة الأسد الذى ذكره أبو على في ذيل الأملى ولكن بديع الزمان كان هدفه من المقامات يدور حول الكدية وهو سرال الناس وهو ما نطلى عليه في عصرنا ( بالادبانية ) التى كادت تنقرض .

وهناك رأى آخر ذكره الدكتور عبد الرحمن ياغى (٣) « إن رأى الدكتور زكي مبارك غير صائب وأن بديع الزمان هو مبتكر فن المقامات فى الأدب العربى . .

**شخصيته انماجية وتهمته شرب الخمر : لقي رماه بها المؤرخون :**

كان ابن دريد جامعا لخلال الخير وخيرها العلم وقد ذكر المؤرخون حادثة طويفة تبين حله فقد ذكر ياقوت فى معجم الادباء « حكى عن أبى هلال العسكري

(١) النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى : دكتور زكي مبارك ج ١ ص ٢٤١

(٢) الفن ومذاهبه فى النثر العربى دكتور شوقي ضيف ص ٢٤٨ وأيضا

المقامة فى فنون الأدب العربى : دكتور شوقي ضيف

(٣) رأى فى المقامات : دكتور عبد الرحمن طبع بيروت ص ١٨

قال أخبرنا أبو أحمد قال كنا في مجلس ابن دريد وكان يتضجر من يخطئ في قراءته  
فحضر غلام وضىء فبعل يقرأ ويكثر الخطأ وابن دريد صابر عليه فتعجب أهل  
المجلس فقال رجل منهم لا تعجبوا فإن في وجهه غمران ذنوبه فسمعها ابن دريد  
فلما أراد أن يقرأ قال له مات يامن ليس في وجهه غمران ذنوبه (١) وذكر يافوت  
في معجم الأدباء قال قال السمعاني سمعت الأمير أبا نصر بن أحمد بن الحسين بن  
أحمد بن عميد الله بن أحمد الميكالي يقول : تذاكرنا المتنزهات يما وابن دريد  
حاضر فقال بعضهم أنزه الأماكن غرطة دمشق وقال آخرون بل نهر الابله وقال  
آخرون بل سندر قند وقال بعضهم نهر وان ينداد وقال بعضهم شعب بوان  
بأرض فارس وقال بعضهم نوبهار بلخ و و بنساء للبرامكة فقال ابن دريد هذه  
فتنزهاات العيون فإن أنتم عن متنزهات القلوب قلنا وماهى يا أبا بكر قال عيون  
الاخبار للقتبي والزهره لابن داود وقلق المشتاق لابن أبي طاهر ثم أنشأ يقول :

ومن تلك نزهته قينة وكأس تحث وكأس تحب

فينمتنا واستراحتنا تلاقى العيون ودرس الكتب

وهذا حوار جميل كانت لفظة ابن دريد فيه لفظة الشاعر الفيلسوف إذ يقول :  
هذه متنزهات العيون فإن أنتم من متنزهات القلوب ، وفي البيتين اللذين أنشدتهما  
لفظة أيضا في قوله تلاقى العيون التي قدمها في متعة القلب على درس الكتب وهو  
رجل يرى الجمال في الطبيعة الناطقة — طبيعة الإنسان الجذاب التي يؤثرها على  
جمال الأهار والبحار والمروج الفيحاء والرياض الغناء .

وكان ابن دريد سمحا جرأدا لا يسك درهما ويحكى أن سائلا سأله شيئا فلم

(١) معجم الأدباء : يافوت الحموى ص ١٢٨ ج ١٨ طبعة أحمد فريد رفاعى

يكن عنده غير دن من نبيذ فزهبه له فأنكر عليه أحد غلمانه وقال تتصدق بالبيذ فقال لم يكن عندي شيء سواه ثم أهدى له بعد ذلك عشرة دنان من النبيذ فقال اغلامه أخرجنا دنا فجاءها عشرة ، وهي روح فكاهية لابن دريد ولكنها تلمص به تهمة خطيرة وهي أنه كان يشرب الخمر وقد اتخذ أعداء ابن دريد هذه التهمة ذريعة لليل منه وبخاصة الازهرى في مقدمة التهذيب فبالإضافة إلى أن الازهرى اتهمه بافتعال العربية وتوليد الالفاظ وإدخال ما ليس من كلام العرب في كلامها يقول : « وألفيته أنا على كبر منه سكران لا يكاد يهتمر لسانه على الكلام من سكره (١) » ، وهذه أقوال تنسب إليه شرب الخمر صراحة أيضا ، قال عنه تلميذه أبو حنص عمر بن شاهين كما تدخل على ابن دريد وتستحي لما نرى من العيذان المتعلقة والشراب المصفى (٢) ، وقال أبو ذر الحارثي « سمعت أبا منصور الازهرى يقول : دخلت على ابن دريد فرأيت سكران فلم أجد إليه » وسئل عنه الدارقطني قال تكلموا فيه . فابن دريد متهم بشرب الخمر ولكن هل كان يشرب الخمر فسقاً أم كان يشربها على مذهب أهل العراق من النبيذ وذلك كله يحتاج إلى تفصيل .

كان العرب في الجاهلية يشربون الخمر على اختلاف طبقاتهم دون تخرج وكانوا يصفونها في شعرهم باعتبارها مظهرا من مظاهر الفتوة والكرم وسماحة النفس ومن أشهر شعرائهم الذين وصفوا الخمر الاعشى وغيره من الذين فصلوا القول في الخمر بعض التفصيل حسبان بن ثابت وعدى بن زيد وعائمة بن عبدة (٣) ،

(١) مقدمة التهذيب : أبو منصور الازهرى تحقيق عبد السلام هارون ٣٦

(٢) تاريخ بغداد : الخطيب البغدادي ج ٢ ص ٢٠٢

(٣) الاتجاهات في الشعر في القرن الثاني الهجري : دكتور محمد مصطفى هدارة

ثم جاء الإسلام وتدرج في تشريعه لتحريم الخمر إذ كان العرب قبل الإسلام يكثرون من شربها ويتغنون بها في أشعارهم ويتفننون في وصفها وكانت عادة متأصلة عندهم ولم يكن من السهل تحريمها عليهم في وقت واحد ولذلك سلك الشارع الإسلامى مسلك التدرىج في التشريع حتى لا يشق الأمر على الناس فكان التحريم على مراحل مختلفة ، المرحلة الأولى: نزل قوله تعالى « ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقا حسنا إن في ذلك لآية لآقرم يعقلون » (١) ، المرحلة الثانية نزل قوله تعالى « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما أثم كبير ومنافع للناس وأثمها أكبر من نفعها » (٢) ، المرحلة الثالثة نزل قوله تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ) (٣) ، المرحلة الرابعة : نزل قوله تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله فهل أنتم متهون ) (٤) وبذلك كان تحريم الإسلام للخمر تحريما تاما بعد نزول هذه الآية الكريمة ووضعت السنة النبوية الشريفة حدا لها واستمر تمسك المسلمين بمنع شرب الخمر حتى حتى جاء الخلفاء الأمويون وشربوا الخمر وجاء العصر العباسى ووصف الشعراء الخمر وصفا رائعا مثل أبي نواس وأبي الهندي وغيرهما وقد اتخذ بعض الباحثين المحنثين مجون بعض الخلفاء ذريعة للشك في العلماء وكبار القوم وهى الدكتور

(١) سورة النمل الآية ٦٧

(٢) سورة البقرة الآية ٢١٩

(٣) سورة النساء الآية ٤٣

(٤) سورة المائدة الآية ٩٠ و ٩١



طه حسين فذكر ( أن هذا العصر كان عصر شك ومجون وكان عصر رياء وزناق فكان لكثير من الناس مظهران مختلفان أحدهما للعمامة والجمهور وهو مظهر الجسد والتقوى والآخر للخاصة ولأنفسهم وهو مظهر اللهو والمجون ألف يخلع فيه المذاق وتترك فيه للشهوات حريتها المطلقة ، ومن ذلك أنهم تحدثوا أن الرشيد كان يصلي كل يوم مائة ركعة وأنه أمضى خلافته بين الحج والغرز ) . هكذا يتحدث ابن خلدون ولكن هذا لا يكفي لتبرئة الرشيد مما أضيف إليه من أنه كان يلهو ويسكر وكذلك ذكروا عن المأمون خلافا لقيمة وخصالا طاهرة ربما صحت كلها ولكنها لم تمنع المأمون من أن ياهو ويشرب الخمر (١) . ولكن رأى د. طه حسين مشكوك في صحته فلا نستطيع أن نحكم على عصره بأكمله لأن بعض الخلفاء أو الشعراء أو العلماء كانوا ياهون أو يشربون الخمر وثمة دليل آخر وهو أن كثيراً من الشعراء كانوا يصفرن الخمر في شعرهم ولا يشربونها .

وكان موضوع الخمر من أثير الموضوعات جدلاً عند الفقهاء لعدم وجود نص قاطع بالتحريم وقد أشار المستشرق أجناس جولدتسمير (٢) إلى هذه الناحية فذكر أن الحربة العربية ترد أن تتخلص من الخمر من أجل الحد الشرعي (وأضاف جولدتسمير أنه ) من وقت مبكر اعتبرت في هذه المسألة وجهتان للنظر مختلفتان متنافضتان فقد استدل أحد أنصار الصحابة وهو أبو جندل بآية من القرآن على تحطيه وهي قوله تعالى ( ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح فيما طمروا إذا ما اتقوا وآمنوا ) . وذكر جولدتسمير (٣) أن بعض الصالحين كانوا يشربون

(١) حديث الأربعاء ج ٢ د . ط . حسين ص ١٢٠

(٢) العقيدة والشرعة في الإسلام : أجناس جولدتسمير ترجمة محمد موسى

وآخرين ص ١١٢

(٣) المرجع السابق ص ١١١

الخمر أو يجيزونها » وقد صرح الخليفة عمر بن عبد العزيز نفسه بجواز النبيذ ،  
مثل وكيع بن الجراح أحد الفقهاء الكوفيين المشهورين بالزهد (١٢٩ - ١٩٧ هـ)  
كان يداوم على شرب نبيذ الكوفيين وخلف بن هشام أحد قراء الكوفة المشهورين  
(١٢٩ هـ) كان يشرب الشراب وشريك قاضى الكوفة فى عصر الخليفة المهدي كان  
يحدث بحديث الرسول ويشتم من فقه رائيحة النبيذ .

ولكن أكثر ما ذكره جواد تبريزى لا يرقى إلى الصحة فهى محاولة للتشكيك فى  
التاريخ الإسلامى وفى فقه الكوفة برجه خاص . أما اختلاف الفقهاء فى موضوع  
الخمر وتحريمها فنستطيع أن نقسمه كما رأوه - فهم يتفقون فى أمور بالنسبة  
لأنهم ويختلفون فى أمور : أما الأمور المتفق عليها فهى :

(١) الخمر المستخرجة من العنب محرمة اتفاقا

(٢) يحل لمكره والمضطرب أن يشربها

أما الأمور المختلف عليها فهى :

(١) يحل شرب القليل الذى لا يذكر من النبيذ المستخرج من غير العنب .

(٢) الحكم فى المخدرات التى لا ينطبق عليها تعريف الخمر ولكنها تعمل عملها

وأشدد .

أما الأمور المتفق عليها وهى :

(١) الخمر المستخرجة من العنب محرمة اتفاقا فانفق فقهاء المسلمين أن المحرم :

أ - الخمر التى من ماء العنب إذا غلى واشتد .

ب - الطلاء وهو ماء عنب طيب فذهب أقل من ثلثيه .

ج - السكر وعو النبيذ من ماء الرطب

د - نقيع الزبيب نيئاً أو أغلى

(٢) المكروه على شرب الخمر والمضطر ، إن أكره شخص على شرب الخمر باكره تام سواء أكره بالنوعيداً والضرب أو ألجىء إلى شربها بأن يفتح ففهو يصب فيه فلا يحد أو المضطر إلى شرب الخمر لا يعاقب إن كان ذلك لدفع غصة ما يقف في الحلق من عظم ونحوه .

والأمور المختلف عليها وهي :

أولاً : شرب القليل الذي لا يسكر من النبيذ المستخرج من غير العنب . اتفق الفقهاء على أن شرب الخمر دين إكراه أو اضطرار محرم . قليلاً أو كثيراً واختلّفوا في المسكرات من غير الخمر فقال الأئمة الثلاثة مالك وأحمد والشافعي حكمها حكم الخمر في تحريم الخمر وفي تحريم القليل والكثير سواء أسكر أم لم يسكر وقال فقهاء العراق وأبو حنيفة وأصحابه المحرم منها هو السكر واحتج أهل الحجاز بمجيئ منها ما أخرج مسلم عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كل مسكر خمر وكل خمر حرام . وما روى مالك عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البتع ، فقال : كل شراب أسكر فهو حرام . واحتج أهل الحجاز باللغة أيضاً فقالوا معلوم في اللغة أن الخمر إنما سميت خمرًا لمخامرتها العقل فوجب لذلك أن يتألف اسم الخمر لغة على كل ما خامر العقل وقالوا إن لم يسلم النظر لغة على كل الانبذة تسمى خمرًا شرعاً واحتجوا بحديث ابن عمر المتقدم وبما روى أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الخمر من هاتين الشجرتين النخلة والعنب وما روى أيضاً عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن من الدنّب خمرًا وإن من العسل خمرًا ومن الزبيب خمرًا وأما أنها كم عن كل مسكر .

وأما أهل العراق فيحتملون بحجج أهمها أنهم يستدلون على رأيهم بالآية الكرسي  
والأحاديث الشريفة الآتية :

أ — استدلوا بظاهر قوله تعالى (ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه  
سكرا ورزقا حسنا ) وقالوا السكر هو المسكر ولو كان محرم العين لما سماه الله  
رزقا حسنا .

ب — وحديث ابن عرون الثقفي عن عبد الله بن شداد عن ابن عباس عن  
النبي صلى الله عليه وسلم قال ، حرمت الخمر لعينها والسكر من غيرها ، وقالوا  
هذا نص لا يحتمل التأويل فمنعوه أهل الحجاز لأن بعض رواه روى والمسكر  
من غيرها .

ج — .اروى عن ابن م عرد إنه قال شهدت تحريم النبيذ كما شهدت ثم شهدت  
عليكم فحفظت وروى عن أبي مرسى قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم  
أنا ومعاذ إلى اليمن فقلت يا رسول الله إن بها شرابين يصنعان من البر والنخيل  
أحدهما يقال له المزر والآخر يقال له البتع فما نشرب فقال عليه الصلاة والسلام  
اشربا ولا تسكرا .

ومن الحجج اللغوية قالوا : إن الخمر اسم للنبيذ من ماء العنب المسكر ، اتفاق  
أهل اللغة وتسمية غيرها خمرا مجازا وعليه يعمل الحديث (كل مسكر خمر وكل  
مسكر حرام) وإنما سميت خمرا لاختارتها بحقل بل لتخمرها ، كما يقولون : نص  
القرآن أن عاة التحريم في الخمر إنما هي الصد عن ذكر الله ووقوع العداوة والبغضاء  
وهذه العاة توجد في القدر المسكر لا فيما دون ذلك فوجب أن يكون ذلك القدر  
هو الحرام إلا ما انعقد عليه الإجماع في تحريم قليل الخمر وغيرها ومع هذا فقد  
قال أبو حنيفة ( لو أعطيت الدنيا بحذافيرها لا أفتي بحرمته لأن فيه تفسيق

بعض الصحابة ، لو أعطيت الدنيا بخذا فبرها ما شربته لانه لا ضرورة فيه (١) .

وقد كان تحليل أبي حنيفة لشرب البيذ أثر كبير في جميع الاوساط ويحكى أن رجلا بالكوفة وضع على باب المسجد نبذا بين يديه وجعل ينادى من يشترى رطلا بدرهم بتحليل أبي حنيفة فقال أبو حنيفة يا رجل إنك فعلت قبيحا فقال الست حملت قال صدقت ومن الحلال أن تجامع امرأتك ولو استشهدتها الجامع وجاعتها لاستقبج ذلك (٢) .

### عقوبة شارب الخمر :

روى البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى عن أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم ضرب فى الخمر بالجريد والعمال وجلد أبو بكر أربعين وفى موطأ مالك (٣) عن ثور بن زيد أن عمر بن الخطاب استشار فى الخمر يشربها الرجل فقال له على بن أبى طالب نرى أن يجلد ثمانين فإنه إذا شرب سكر وإذا سكر هذى وإذا هذى افتري فجلد عمر فى الخمر ثمانين . ورأى الامام مالك نراه مثلاما ذكره الامام محمد بن أبى زيد القيروانى فى رسالته عن فقه الامام مالك ( ومن شرب خمرا أو نبذا مسكرا حد ثمانين سكر أو لم يسكر ولا سجن عليه ويجرد المحدود ولا تجرد المرأة إلا بما يقبها الضرب ويجلدان قاعدین ولا تحد حامل حتى تضع ولا مريض منقل حتى يبرأ ) (٤) .

(١) الحدود فى الإسلام أحمد بهنسى ص ٣٤

(٢) الاتجاهات الشعرية فى القرن الثانى الهجرى د. محمد مصطفى هدارة ص ٧٦

(٣) موطأ مالك الجزء الاول طبعة الشعب ص ٢٤

(٤) شرح رسالة الامام محمد بن أبى زيد القيروانى للشرنوبى ص ١٩٢

أما الإمام الشافعي فيذكر ابن الحسين بن أحمد الاصفهاني الشافعي في متن  
الغاية والتقريب رأيه ومن « شرب خمرأ أو شراباً مسكراً يحد أربعين ويجوز  
أن يبلغ به ثمانين على وجه التعزير ويجب عليه أحد امرين بالبينة أو الاقرار  
ولا يحد بالقيء والاستنكاه » . (١)

بعد هذا التفصيل هل كان ابن دريد يشرب الخمر على مذهب أهل العراق  
أم إنها كانت تهمة ملفقة ضده وهل يسقط من قدره وينقص من علمه إذا لصقت  
به تهمة شرب الخمر ؟

إن عالماً قديراً مثل هذا الرجل لا يجوز أن ننقص من قدره لهذه التهمة التي  
اختل فيها قبل عصره بوقت طويل وكان كثيراً ما يتمثل :

فواحزني أن لالحياة لذينة ولاعمل يرضى به الله صالح

وثمة أدلة تشفع له وتسقط عنه التهمة فقد ذكر السيوطي (٢) في بغية الوعاة  
أنه تاب عن شرب الخمر في آخر أيام حياته ودليل آخر وهو أن الدارقطني  
وهو الذي قال عن ابن دريد ( تكلبوا فيه ) قريب العهد جداً من ابن دريد فقد  
توفي عام ٣٨٥ هـ فكيف يجوز له أن يقول « تكلبوا فيه » وهذا الرجل العالم ( ابن  
دريد ) الذي أخرج لنا جمهرة اللغة والاشتقاق والمقصورة وجمع لنا تراثاً عربياً  
الا يشفع له علمه وقوة حفظه من إسقاط تلك التهمة .

رجوعه إلى بغداد وإقامته بها :

كان ابن دريد في البصرة يتلقى العلم بها وعام ٢٥٧ هـ دخل الزنج البصرة

(١) متن الغاية والتقريب لابن الحسين الاصفهاني الشافعي ص ٣٤

(٢) بغية الوعاة للسيوطي ص ٣٠

فانتقل ابن دريد إلى عمان وطلبه عبد الله بن ميثكال لتأريخ ابنه أبو العباس وصنع  
لها كتاب الجهرة ومدحها بالمقصورة وقلده ديوان فارس وكانت تصدر الكتب  
عن رأيه ولا ينفذ أمر إلا بعد توقيعه . وجلب له ذلك أموالا كثيرة وانتقل ابن  
دريد من فارس إلى بغداد ووصلها عام ثمان وثلاثمائة ولما وصلها أنزله على بن  
محمد الجرازي في جواره وأفضل عليه وعرف الأمام المقتدر بالله خبره ومكانته  
في العلم فأمر أن يجري عليه خمسين دينارا كل شهر ولم تزل جارية حتى مات فمضى  
عمره الباقي في السعة والخفض .

#### مرضه :

أصاب ابن دريد الفالج وهو في التسعين من عمره وسقى له الترياق فبرئ منه  
وشفي وعاد إلى حياته العلمية يملئ على تلاميذه ويسمع منهم ثم عاوده النالج بئس  
عام الغذاء ضار تناوله وكان يحرك يديه حركة ضعيفة وكان إذا دخل عليه  
أحد خرج وتألم لدخوله .

قال تلميذه أبو على الفاي « وكان يصيح لذلك صياح من يمشى عليه أو يسأل  
بالمسأل والداخل بعيد عنه وكان مع هذه الحال ثابت الذهن كامل العقل يرد فيما  
يسأل عنه ردا صحيحا وعاش بعد ذلك عامين وكنت أسأله عن شكوكي في اللغة  
بهذه الحال فيرد بأسرع من النفس بالصدر .. (١)

#### موته ودفنه :

يتفق المؤرخون على سنة وفاته وهي عام ٣٢١ هـ ولكنهم يختلفون في الشهر

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٤٩٩

الذى مات فيه والمقبرة التى دفن فيها . فبينما نجد ابن خلكان (١) وابن الأنبارى (٢) وأبو الفداء (٣) يتفقون أنه مات فى شعبان عام ٥٣٢١ هـ — نجد ياقوت الحموى يقرر أنه مات لثنتى عشرة ليلة بقيت من رمضان ، ويختلفون فى المقبرة التى دفن فيها . يتفق معظم المؤرخين على أنه دفن فى مقبرة الخيزران واختار ابن خلكان (٤) والمرزبانى (٥) أنه دفن فى المقبرة المعروفة بالعباسية من الجانب الشرقى فى ظهر سوق السلاح بالقرب من الشارع الأعظم ، وينفرد جلال الدين السيوطى فى المزهر (٦) بقوله أنه مات بعين وما جاء أيضا فيه أنه مات عام ٣١١ فخطأ ومات ابن دريد ومات فى نفس اليوم أبو هاشم الجبائى وكان من المعتزلة فقال الناس « اليوم مات علم اللغة والكلام ، بموت ابن دريد والجبائى .

ورأيه :

رئى ابن دريد جعظه (٧) البرمكى بقوله :

فقدت بابن دريد كل منفعة      لما غدا ثالث الاحجار والشرب  
قد كنت أبكى لفقد الجود آونة      فصرت أبكى لفقد الجود والادب

(١) نفس المصدر السابق ج ١ ص ٥١

(٢) أبناء الرواة على أنباء النجاء للقفطى ج ٣ ص ٩٣

(٣) تاريخ أبو الفداء الجزء الاول ص ٢٥

(٤) وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٥٠٢

(٥) معجم الشعراء المرزبانى ص ٤٦٢

(٦) المزهر للسيوطى ج ٢ ص ٢٨١

(٧) بغية الوعاة للسيوطى ص ٣٠



وذكر أبو علي القالي في نهاية ذيل الامالي والنوادر (١) قصيدة طويلة بلغت  
(٤٢) بيتا لبعض البغداديين يرثى بها ابن دريد أولها :

يلرم على فرط الاسى ويفقد  
ويكبر أن ينهل دمع أراقه  
ومنها :

عليك (أبا بكر) سلام ورحمة  
وجاز ثرى ضمنت كل وابل  
ويقول فيها أيضا

تسير يسر الانجم الزمر كلها  
لانشرت بالعلم الخليل فخلتنا  
وجالستنا بالاصمعي ومعدر  
ويختمها بقوله

مضى (ابن دريد) ثم خلد بعده  
بدائع من نظم ونثر كأنها  
عقود زهاها درها حين نعصد

الامراء :

اصطاع ابن دريد بمجالسه العلمية الرائعة أن يكون مدرسة أثرت المكتبة  
العربية بمصنفاتها وكان له تلاميذ لهم شأن كبير في اللغة والنحو والادب وكان  
منهم أسراء ووزراء مثل أبي العباس اسماعيل بن محمد بن ميكال المتوفى عام

٣٦٣ هـ. وأبى على ابن مقلة الكاتب الوزير واليرافى وابن على الفارسي نحويان  
وكان منهم نقاد مثل الادمي وأدباء مثل أبي على القالي وأبي الفرج الاصفهاني  
ومؤرخون مثل المسعودي .

أما تلميذه (١) أبو العباس اسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال فهو تلميذ  
من نوع خاص فقد كان ابن دريد مؤدياً له فقد استدعاه والده عبد الله بن محمد  
وكان الخليفة المقتدر بالله قد قلده الأعمال بكونه الامواز واستطاع ابن دريد أن  
يكون ذائع الصيت بين ابني ميكال . وقد صنع لها كتاب الجهرة ومدحها  
بالمقصورة فوصله بعشرة آلاف درهم وقلده ديوان فارس ومن مدحه لابني ميكال  
في المقصورة .

ان العراق لم أفارق أهله      عن شئ أصدني ولا قل  
ان كنت أصبحت لهم من بعدهم      مثلاً فأغضيت على وخز السفا  
حاشا الاميرين اللذين أوفدا      على ظلا من نعيم قد ضفا  
ذكر ابن الانباري في أنباء الرواة عن اسماعيل بن ميكال ذكره الحافظ  
أبو عبد الله في تاريخ نيسابور فقال : أبو العباس الأديب الشريف شيخ خراسان  
ووجهها وعينها في عمره ، (١) وذكره ياقوت في عدة مواضع منها (٢) ، وكان  
شيخ خراسان ووجهها في عمره سمع في نيسابور من ابن خزيمة ومحمد بن اسحق السراج  
وأبا العباس أحمد بن محمد الماسرجسي ، وذكره في التاريخ فقال ، ولد أبو العباس  
بنيسابور ، فلما قلده أمير المؤمنين بالمقتدر بالله أباه عبد الله بن محمد للأعمال بكونه  
الاهراز حمل إلى حضرة أبيه فاستدعى أبا بكر محمد بن الحسن بن دريد لتأديبه  
فأجيب إليه إيجاباً له . ، (٣)

(١) أنباء النحاه لابن الانباري ص ٢ ص ١٦٠

(٢) و(٣) معجم الادباء لياقوت الحموي ص ٧ ص ٥

ولما مات عبد الله والده لم يقبل إسماعيل أن يكون عاملاً بنارس ورجع إلى خراسان ونيسابور وربما رافق ابن دريد أبو العباس الميكالي في عودته لكن هذا لا تذكره كتب الطبقات وبقي معه مفكراً أين تكون أقامته فانصرف ابن دريد بعد ذلك إلى بغداد وسار أبو العباس إلى أحمد ابن إسماعيل الساماني ومات عام ٦٢ هـ بنو ابور وهو ابن اثنتان وتسعين عاماً .

#### (٢) أبو علي القالي :

وهو إسماعيل بن القاسم بن عبدون بن هارون القالي البغدادي ولد في أرمينية عام ٢٨٨ هـ ورحل إلى بغداد طلباً للعلم عام ٣٠٥ هـ وأقام بها عام ٣٢٨ هـ ورحل عنها إلى الأندلس عام ٣٣٠ هـ ودخل قرطبة واستوطنها وأملى كتابه الأمالى بها وسبب شهرته بالتالي راجع إلى إنجداره إلى بغداد مع رفقة من قالي قلا وقد اشتهر في الأندلس بالبغدادى وتلميذ لأبي بكر بن دريد وقد روى أكثر كتابه البديع (الأمالى) عن ابن دريد وهو مصدر هام للأخبار ابن دريد وأحاديثه وشعره وتلميذ أيضاً لأبي بكر بن الأبنباري ونفطويه والزجاج والأخفش وابن درستويه ويقال عنه أنه كان أحفظ أهل زمانه للغة الشعر ونحو لبصريين ومن تلاميذ أبي علي القالي أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي والأندلسي صاحب مختصر العين . ولأبي علي القالي مؤلفات مشهورة أهمها الأمالى التي ذكرنا أنه كان مصدراً لأخبار وأحاديث وشعر ابن دريد وقد جمع فيه مجموعة من القصص والأخبار العربية واليمنية وطرائف لغوية وشعرية . وله معجم (البارع) ولم يسر فيه على طريقة ابن دريد وإنما سار على طريق الخليل وهي الأبجدية الصوتية .

#### (٢) ابن خالويه :

وهو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه وأصله من همدان ولكنه ذهب

إلى بغداد وأدرك العلماء بها ، وأخذ عن جماعة مثل أبي بكر بن الأنباري وأبي  
عمر الزاهد وقرأ على أبي سعيد السيرافي وخلط المذهبين وتوفي بحلب في خدمة  
بنى حمدان في سبعين وثلاثمائة (١) ولابن خالويه كتب أغلبها في النحو منها كتاب  
الاستمناق وكتاب الجمل في النحو وكتاب القراءات وكتاب إعراب ثلاثين سورة  
القرآن وكتاب ليس وقد وصانا هذان المكتبان ولابن خالويه شرح لمقصورة  
ابن دريد ونقل عنه السيوطي في مزهره كثيراً من شرحه للمقصورة .

#### (٤) أبو سعيد السيرافي النحوي :

وهو أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان وكان أبوه مجوسياً يسمى  
بهزاو فأسلم وتسمى بأسم عبد الله ولد بسيراف عام ٥٢٨٠هـ وابتدأ بطلب العلم  
بها وأكسب على دراسة اللغة والعلوم الدينية ببلدته وفي العشرين من عمره خرج  
إلى عمان وتنقل على شيوخها ثم تحول إلى بغداد فدرس اللغة على ابن دريد والنحو  
على ابن السراج والقراءات على أبي بكر ابن مجاهد وتعمق في الفقه وأختير  
قاضياً لبغداد وأجله الناس وكانوا يخاطبونه بإمام المسلمين وشيخ الإسلام وإلى  
جانب ذلك كان يمتنى بالنحو وكان معتزلياً وله مع متى بن يونس - منظر - اظرة  
مشهورة وكان موضوعها « النحو والمنطق أيها أدق في معرفة صحيح الكلام من  
عقيدته وسديده من مدخوله » وألف في مصنفات شرح شواند مجيويه . وترجم  
لنحاة البصرة في كتابه أخبار النحاة البصريين ومن مؤلفاته أيضاً كتاب  
الوقف والابتداء وكتاب صناعة النحر والبلاغة وقد شرح مقصورة ابن دريد .

## (٥) أبو بكر محمد بن أسرى السراج المتوفى عام ٢١٦ هـ :

وكان من تلاميذ المبرد وعكف على دروسه وتزود منه نحواً ولغة وعنى بجانب ذلك بدراسة المنطق والموسيقى وتحول بعد ذلك إلى حلقات الزواج ثم استقل عنه بحلقة كان يؤمها كثيرون وفي مقدمتهم اليراني وأبو علي الفارسي وعليه قرأ كتاب سيبويه وكان يهتم بعمل النحو ومقاييسه وفيها كتب كتاب الأصول الكبير — انزعه من كتاب سيبويه وأضاف إليه إضافات طيبة ويقال إنه قسمه على طريقة المنطق. وضم في كتابه هذا آراء الأرخش الأوسط والكوفيين موازناً ومقارناً وكان ينظم الشعر ويحسنه وله من الكتب أيضاً كتاب مجمل الأصول وكتاب الاشتقاق وكتاب احتجاج الفراء وله آراء نحوية وصرفية كثيرة تداولتها كتب النحو التي جاءت بعده ، فجمهور النحويين يرون أن ليس فعل نافع لإتمامها بالضمائر مثل است ولستم ولستن — وذهب ابن السراج إلى أنها لا تعرف مثل عسى وماء عام ٣٠٦ هـ .

## (٦) أبو علي الفارسي :

وهو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي أبا — أما أمه مغربية. ولد في أرض فارس بالقرب من شيراز عام ٢٨٨ هـ ، وفي عام ٣٠٧ رحل إلى بغداد وعكف على حلقة — ات البصريين مثل ابن السراج والأرخش الصغير والزجاج وابن هريث ونفطويه كما عكف على حلقات البغداديين الأولين وخاصة حلقات ابن الخياط وشيخ حلقة أبي بكر بن مجاهد تلميذ ثعلب ويقال إنه كان يعتنق مذهب المعتزلة وتفرع بعد للتدريس والإملاء في مساجد بغداد مبكراً وكان يعلم الطلاب في عسكر مكرم وبعض مدن الموصل ويصل حلب عام ٢٤١ هـ ومعه ابن جنى تلميذه الذي شغف به حباً — ولكنه يتحول إلى بعض مدن الشام

ويعود إلى بغداد عام ٣٤٦ ويستدعيه إلى شيراز عضد الدولة البويهى ليأخذ عنه وبعض أفراد أسرته وينتخر عضد الدولة بذلك حتى لا يقول أنه غلامه ويظل عنده حتى يعود إلى بغداد وظل بها إلى وفاته عام ٣٧٧ هـ .

هؤلاء هم أم التلاميذ للخوئين والنحويين ، ومن النقاد برز من تلاميذ ابن دريد :

#### (٧) أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدى المتوفى عام ٤٢٠ هـ .

ولد بالبصرة ولكنه قدم إلى بغداد يحمل عن الأخفش والحامض والزجاج وابن دريد وغيرهم اللغة والنحو وروى الاخبار في آخر عمره وكان الامدى شاعراً أيضاً وله شعر جميل . وكان أدبياً أيضاً يحيط بالادب العربى احاطة تكاد تكون تامة ومن أشهر كتبه النقدية كتابه الموازنة بين البحرى وأبى تمام واختار لنفسه الإنصاف فهو لا يقبل شيئاً بغير بينة ولا يقيم حكماً بغير دليل وأما وسائله المعرفة ثم الذوق وكان يعلم شيئاً من العلوم الفلسفية المستحدثة .

ومن مشاهير تلاميذ ابن دريد أبو الفرج الاصفهاني صاحب كتاب الاغانى وكان شاعراً مصنفاً أدبياً ( وله رواية يسيرة وأكثر تعويله كان في تصنيفه على الكتب المنسوبة الخطوط أو غيرها من الاصول الجياد ) (١) ، وأشهر كتبه كتاب الاغانى وهو من أفضل الكتب التى تتحدث عن أشعار العرب وأخبار الشعراء رغم ما يتهمة بعض الباحثين في روايته (٢)

(١) الفهرست لابن النديم ص ١٧٢

(٢) النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى دكتور زكى مبارك ج ٢ ص ١٢٣

ومن تلاميذه ابن دريد بن المؤرخين أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي وكتابه العنايم مروج الذهب ومعادن الجوهر ، من أهم الكتب التي تؤرخ للخلافة العباسية بطريقة السنين ويمتاز بوصف للحياة الاجتماعية في ذلك العصر وله كتب أخرى أهمها كتاب ذخائر العلوم وكتاب الامتدكار

ومن تلاميذه ابن دريد الوزير أبو علي محمد بن علي بن عقلة المتوفى عام ٣٢٨ هـ وكان وزيراً لأمارة بالله استوزاه عام ٣٢١ هـ ثم عزله وكان وزيراً للرازي وكان كاتباً جراداً وينسب إليه أنه الذي عرب الخط الكوفي إلى الطريقة العربية وكانت الكتابة العربية أولاً حميرية متداولة في اليمن وغيرها ثم نقلت إلى الكوفة واستعملها الناس فلما بعث النبي ﷺ استمر الناس يكتبون بهذا القلم ، وهو طريقة كتابة المصحف العثماني وفي القرن الثاني الهجري استعصى الناس الطريقة العربية بسوءاتها وحادوا عنها عن الخط الكوفي وبعد ذلك ظهر ابن مقلة فنقل الخط إلى العربية ولم يترك منه شيئاً يشابه الكوفي .

وكان ابن مقلة قد اتفق مع الجند واجتمعوا فجاءوا إلى دار الخليفة القاهر وجمعوا عليه من سائر الابواب فهرب إلى سطح حمام فاستتر فيه فأثروا بابه وقبضوا عليه وحبسوه وخلعوه بن الخلافة وسمروا عيذه بمسار محمى حتى سالت على خديه وهو أول خليفة سمرت عياه وذلك في جمادى الآخرة عام ٣٢٢ هـ .

ويضاف إلى تلاميذه ابن دريد غلام ابن دريد وكان يداوم على خدمته وملازمته طابه وهو أبو الحسين علي بن أحمد وكان لشعلب غلام أيضاً وكان لابن دريد وراقين منهم أبو الحسن علي بن أحمد الدريدي واليه صارت كتبه بعد موته وأبو يعقوب اسحاق إبراهيم ابن الجنيد وقد روى عن ابن دريد أبو القاسم عمر بن محمد معيوف كتاب النبات للاصمعي ، ويضاف إلى تلاميذه ابن دريد

المرزبانى صاحب معجم الشعراء وأبو الفتح عبد الله بن أحمد بن محمد المعروف  
بمجنج ويقال أن نسخة الجمهرة التى احتلتها أصح النسخ .

### مصنفاته :

- ١ - جمهرة اللغة : وأملها حفظا وكتبا لابنى ميكال ويعتبر ابن دريد بهذا  
المعجم ذا سبق عظيم فى الترتيب الابدعى وقد خصصنا له فصلا بخاصا .
- ٢ - كتاب الاشتقاق : وسماه ياقوت والسيوطى اشتقاق أسماء القبائل
- ٣ - كتاب المجتبى : وهى مجموعة مختارة من كلام النبى صلى الله عليه وسلم  
المأثورة حكما وأقوالا ومن كلام أبى بكر - رضى الله عنه - وعمر وعثمان وعلى  
ويمتاز الكتاب باختيار مجموعة كبيرة من كلام فخر عشرىين فيلسوفا من فلاسفة  
اليونان من أمثال مقراط وأرمسطاليس .
- ٤ - كتاب الملاحن : وهو كتاب يبين فيه طريقة استعمال اللفظ بمعنى آخر
- ٥ - كتاب صفة السرج واللجام وصفة السحاب والغيث : وهو من الرسائل  
اللغوية السابقة والممهدة لتطور المعاجم وقد طبعه وايم زايت ضمن مجموعة  
جزرة الحاطب وتحفة الطالب .
- ٦ - كتاب اخبار ابن دريد : وهو مخطوط - كتب مخطوطه المرحوم  
الشنقى - ويوجد بمكتبة كلية الآداب جامعة الاسكندرية تحت رقم ١٠ م
- ٧ - كتاب أدب الكاتب وام يجرده من المسودة
- ٨ - كتاب الامالى : ونقل عنه السيوطى فى المزهى
- ٩ - كتاب الانباز وقد فقد
- ١٠ - البنين والبنات »



- ١١ - تقويم اللسان وقد فقد
- ١٢ - التوسط » »
- ١٣ - الخيل الصغير والخيول الكبير وقد فقد
- ١٤ - السلاح وقد فقد
- ١٥ - غريب الفران واجمعت المراجع على أن ابن دريد لم يتمه
- ١٦ - كتاب فعلت وأفعلت
- ١٧ - كتاب اللغات في القرآن - وربما كان هو كتاب غريب القرآن
- ١٨ - كتاب ماسئل عنه لفظا فأجاب عنه حفصا
- ١٩ - كتاب المتناهى في اللغة
- ٢٠ - كتاب المطر
- ٢١ - كتاب المقتبس ، وكتاب المقتنى ، وكتاب الوشاح

ونقل عنه السيوطى ومحمود بن عمر البغدادى فى خزانة الآدب ويضاف إلى ذلك ديوانه والمقصورة .

هذه هى حياة ابن دريد ، ولد بالبصرة وبها تعلم على أساتذة اللغة فى عمره مثل الأشنادانى وقد روى عنه كتاب معانى الشعر والرياشى والتوزى وأبو حاتم السجستانى ، وكانت أسرته من عمان وينسب إلى قبيلة الازد . وكانت عاطفته طوال حياته مع قوم فى عمان نشهد هذا فى شعره وفى أحاديثه التى رواها عنه تلميذه الخاص أبو على التامى . وفى البصرة أصبح لابن دريد حلقة وتلاميذ وأعداء وأحباء وفى شخصيته المللية نراه يتحرى الدقة فى الروايات اللغوية ويهاجمه د . زكى مبارك فى عدم تحرى الدقة فى الأحاديث التى يروىها عن الأعراب أو أقبال اليمن . ونراه يشتهر بشدة الحفظ . وقد لاحظنا ذلك على شخصه مبكرا وفى حادثة حفظه ديوان

الحارث بن حلزة - ساعة غداة - وما مجده في أملائه الجمهرة من حفظه عدة مرات  
ومن عنوان كتابه مسائل عنه انظروا فأجاب عنه حفظاً ، وفي شعره نجد لمحات تعبر  
عن خبرة بالحياة وانصراف عن ملذاتها ، ويتلى شعره وخاصة مقصوده بحكم  
الحياة مع شيء من الفخر ، ويستطيع شعره أن يحدد لنا انفسية ابن دريد التي  
لم تستطع أن تحقق ما نصبو اليه ، ولكنه لم يتقضى من قدر العلماء ولم يكن بادئاً  
بالعدوان فقد رد على نظويه بعد أن هاجمه وانترف للخليل بن أحمد بفضل السبق  
عليه في ( العين ) . وفي شخصيته 'عاديته' نجده كريماً سخياً طريفاً ولكنه يهتم بشرب  
الخمر ويحاول أعداؤه أن يتخذوا من هذه التهمة وسيلة للنيل من علمه والاستهانة  
به لكنهم لم يجدوا إلى ذلك سبيلاً وقد توفي ابن دريد وترك مدرسة من تلاميذه  
المخلصين تنوعت فصولها فمنها العالم اللغوي مثل أبي علي القالي الذي قدم اليه  
( البارع ) ومنهم الراوية الأديب مثل الأصفهاني صاحب الأغاني ومنهم النافذ  
مثل الآمدي والمؤرخ مثل المسعودي وغير ذلك مما يجعلنا نهتم بشخصيته العلمية  
التي أثرت المكتبة العربية بكنوز اللغة العربية .

# البَابُ الثَّانِي

## الفصل الأول

آء\_\_\_\_\_اره



## مقدمة

ترك لنا ابن دريد مؤلفات عدا على بعضها الزمن ففقدت وبقي بعضها وكان ذخيرة لطالب العلم فن الكتب التي وصلنانا جهرة اللغة وقد خصصنا فصلا له وكتاب الاشتقاق ، والمجتمى والملاحن ، ومن شعره الذي وصلنا ديوانه المطبوع ومقصودته الشهيرة وشروحها الكثيرة ، وشعر متناثر هنا وهناك في بعض كتب الأدب والامالي وقد حاولت أن أجمع بعضا من نصوص الكتب المفقودة التي جمعها لنا السيوطي في «المزهر» من كتاب الامالي لابن دريد وكتاب الوشاح لابن دريد . وهناك كتب لم يتمها مثل غريب القرآن وقد أجمعت المصادر التاريخية أنه لم يتمه .

وهناك كتاب اختلفت المصادر في اسمه وحرف في بعض كتب الطبقات وهو كتاب «صنعة السرج والملجام» وصنعة السحاب والغيث . فيذكر أحيانا باسم رواية العرب وزوار العرب ورواد العرب والمطر وقد طبع الكتاب في ليدن بأشراف وليم رايت مع مجموعة بأسم «مجموعة جرزة الحاطب وتحفة الطمايب» وقد قسمه الناشر إلى كتابين أحدهما كتاب صنعة السرج والملجام والآخر صنعة السحاب والغيث وأخبار الرواد وما حمدوا من الكلا ، ومعه كتاب تلقيب الفراء في لابن كيسان ومقطعات مرثى لبعض العرب .

ونلاحظ أن المستشرقين اهتموا اهتماما كبيرا بكتب ابن دريد وكان ف . كرنكر قد نشر الجهرة وتحدث عن ابن دريد في مجلة الجمعية الآسيوية الملكية عن بواكير المعاجم العربية ، ونشر فرناند وسنيد كتاب الاشتقاق عام ١٨٥٤م ووليم رايت نشر لنا صنعة السرج والملجام وطبعت أكثر كتب ابن دريد بالهند مثل الجهرة وسنبدأ حديثنا بكتاب الاشتقاق .

## (١) كتاب الاشتقاق :

وهو أهم كتبه بعد الجهرة ويسمى كتاب الاشتقاق عند أغلب كتب الطبقات فيما عدا الأزهرى فى مقدمة التمهيد ويسميه كتاب اشتقاق الأسماء ، وياقوت الحموى يسميه ( كتاب اشتقاق أسماء القبائل ) وقد طبع الكتاب وأهم طبعاته جوتنجن عام ١٨٥٤م التى نشرها المستشرق فردناند وستنفلد وطبعة القاهرة التى حققها وشرحها عبد السلام دارون .

أما الاشتقاق فى اللغة فيطلق على معان . قال فى القاموس ، هو أخذ شق الشيء والأخذ فى الكلام وفى الخصومه يمينا وشمالا وأخذ الكلمة من الكلمة وفى الاصطلاح أخذ كلمة من كلمة أو أكثر مع تناسب بينهما فى اللفظ والمعنى .

ويرى محمد صديق خان أن الاشتقاق فى اللغة يختلف عن الاشتقاق فى الصرف حيث قال : وعلم الاشتقاق هو علم باحث عن كيفية خروج الكلام بعضها عن بعض بسبب مناسبة بين المخرج والمخرج بالاصالة والفرعية باعتبار جوهرها والقييد الآخر يخرج علم الصرف إذ يبحث فيه أيضا عن الاصالة والفرعية بين الكلمة لكن لا بحسب الجوهرية بل بحسب الهيئة (١) .

ويقسم ابن جنى فى الخصائص الاشتقاق نوعين : صغير أو أصغر وكبير أو أكبر ، يسمى كلا منهما قسمين فالصغير كأن تأخذ أسلا من الأصول فتقرأه فتجتمع بين معانيه وإن اختلفت صيغته ومبانيه وذلك أكثر كيب (س ل م) فانك تأخذ منه السلامة فى تصرفه ، فهو سلم ويسلم وسالم ، وسلمان ، وسلى ، والسلامة (٢) .

(١) العلم الخفائى من علم الاشتقاق تأليف محمد صديق خان ص ٣ .

(٢) الخصائص لابن حنى ح ٢ تحقيق محمد النجار ص ٣٣ .

وأما الاشتقاق الأكبر « فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثة فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً تجتمع التراكيب الستة. وما يتصرف من كل واحد منها عليه وإن تباعد شيء من ذلك عنه رد بلطف الصنعة والتأويل إليه ومن ذلك تراكيب (ك ل م) وتقاليبها ك م ل — م ل ك ، م ل — ك — ل ك م — ل م ك — (١).

ويذهب على ذلك الإمام السيوطي في المزمع حيث يقول : « وهذا مما ابتدعه الإمام أبو الفتح ابن جنى » (٢)

واعتقد أن السيوطي يعني أن الفضل في التدقيق ومن ذهب إلى ذلك الدكتور عبده الراجحي في كتابه اللغة في الكتب العربية حيث يقول « ومع أن السيوطي يذكر أن هذا النوع من الاشتقاق مما ابتدعه أبو الفتح فإن مفهوم كلام ابن جنى أنه ليس من ابتداعه وإنما له فضل التدقيق فقط فقد اتتد عايه الخليل كما ذكرنا (٣).

وكتب آدم متز عن الاشتقاق فقال « وكذلك ظهرت في القرن الرابع دراسة جدية للاشتقاق اللغوي وبقيت عصراً طويلاً وكان أستاذ هذه الدراسة ابن جنى الموصل ، وهو الذي ينسب إليه ابتداء بحث جديد في علم اللغة ، وهو المسمى الاشتقاق الأكبر ودو البحث الذي لا يزال يؤتى ثمره إلى اليوم (٤).

(١) المرجع السابق ج ١ ص ١٣٣

(٢) المزمع للسيوطي ج ١ ص ٣٤٧

(٣) فقه اللغة في الكتب العربية د . عبده الراجحي ص ١٦٥

(٤) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع : آدم متز ص ٢٣٠

ونجد اختلاطا بين المصادر في تعريف الاشتقاق الصغير أو الأصغر والكبير أو الأكبر فهذا هو السيوطي يقول عن الاشتقاق الأكبر في المزهرة نقل عما ذكره الزجاج في كتابه « قال قولهم شجرت فلانا بالرمح - فأويله جعلته كالغصن في الشجرة وقولهم للحلقة وما يتصل به شجر لأن مع ما يتصل به أغصان الشجرة وتشاجر القوم ، إنما تأويله اختلفوا كاختلاف أغصان الشجرة وكل ما تنزع من هذا الباب فأصله الشجر ، (١)

ويسمى عبده القادر بن مصطلحي المغربي الاشتقاق الكبير القلب فقال « وهو أن يكون بين اللغتين تناسب في اللفظ والمعنى دين الترتيب مثل فعل جند الماتق من مادة الجندب ، ويسمى الاشتقاق الأكبر بالإبدال « وهو أن يكون بين اللغتين تناسب في المعنى والمخرج نحو نطق ونطق (٢) . وقد كتب عبده الله أدين عن الاشتقاق وقسمه إلى أربعة أقسام :

الأول : الصغير وهو انتزاع كلمة من كلمة أخرى بتغيير في الصيغة مع تشابه بينهما في المعنى واتفاق في الحروف الأصلية وفي ترتيبها مثل الجرد والمزيد من الأفعال والأسماء والجل والاشتقاق في الأفعال واشتقاق المشتقات السبعة المشهورة .

الثاني : الكبير ويقصد به انتزاع كلمة من أخرى بتغيير في بعض أحرفها مع تشابه بينهما في المعنى وذلك نحو جفا وجذا وبعثر وبجثر .

الثالث : الكبار وهو عند ابن جنى الكبير أو الأكبر .

(١) المزهرة للسيوطي ج ١ ص ٢٤٦ .

(٢) الاشتقاق والتعريب عبده القادر المغربي ص ١٠



الرابع : الكبار وهو المعروف عند اللغويين بالنحت كالمعزة من دام عزك (١).

وكتب ج فندريس في كتابها « اللغة » عن الاشتقاق فقال : « وتختصر في أخذ ألفاظ القاموس كلمة كلمة وتزويد كل واحدة منها بما يشبه أن يكون بطاقة شخصية يذكر فيها من أين جاءت ومتى وكيف صيغت والتعليقات التي مرت بها ، ثم يرى رأيا في الاشتقاق فيقول « ولكن الاشتقاق يعطى فكرة زائفة عن طبيعة المفردات لأن كل ما يعنى به هو أن يبين كيف تكونت المفردات » . (٢)

وقد اقترح باحث حديث هـ (حامد عبدالقادر) تسمية الاشتقاق بأنواع : قال « قد يكون من الممكن أن نسمى قد من قط مثلا اشتقاقا أول أوليا وأن نسمى اشتقاق قطع من قط اشتقاقا كبيرا كما يرى ابن جنى ومن تبعه وإن نسمى اشتقاق قطع مثلا من قطع اشتقاقا صغيرا . وأن نسمى اشتقاق نحو مقطوع من قطع اشتقاقا أصغر » . (٣)

وقد كتب عن الاشتقاق جملة من اللغويين والنحويين ذكر السيوطي معظمهم وابن النديم في الفهرست ، منهم الفضل الضبي المتوفى عام ١٦٨ هـ وقطرب المتوفى عام ٢٠٦ هـ والاصمعي المتوفى عام ٢١٥ هـ والاختفش الأوسط المتوفى عام ٢١٥ هـ وأبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي المتوفى عام ٢٣١ هـ والمبرد المتوفى عام ٢٨٥ هـ والزجاج المتوفى عام ٣١٦ هـ وابن النحاس المتوفى عام ٣٣٨ هـ وابن درستريه

(١) الاشتقاق : عبد الله أمين - مقدمة الكتاب - ص ٣ ، ٤ .

(٢) اللغة : ج . فندريس ترجمة الدواخلي والاصمعي ص ٢٢٦ .

(٣) مجلة مجمع اللغة العربية ١١٠ ص ١١٤ (سنة ١٩٥٩ م) .

المتوفى عام ٣٤٧ هـ وابن خالويه المتوفى عام ٣٧٠ هـ والرماني المتوفى عام ٣٨٤ هـ ،  
والزجاجي المتوفى عام ٤١٥ هـ .

ونستطيع أن نضيف كتاب مقاييس اللغة لابن فارس إلى كتب الاشتقاق وهو  
معجم يتناول معظم مواد تلك اللغة في ضوء الاشتقاق . وكتاب معجم البلدان  
ليافوت الحموي المتوفى عام ٦٢١ هـ . وأما كتب الاشتقاق المستحدثة فأهمها العلم  
الخفائي من علم الاشتقاق لمحمد صديق خان المتوفى عام ١٣٠٧ هـ ، والاشتقاق  
والتعريب لعبد القادر بن مصطفى المخزومي عام ١٢٧٦ هـ وكتاب الاشتقاق لعبد  
الله أمين .

وكتاب الاشتقاق لابن دريد لا يبحث في الاشتقاق بعامة ولكنه يبحث في  
الاعلام واشتقاقها وأسماء القبائل واشتقاقها ولا نعد به يهتم بقبائل من اليمن —  
أبناء جلده — وهو يبسط القول في المادة اللغوية التي اشتقت منها الأسماء ويفسر  
الآثار الدينية والأدبية التي تشمل بمراها . ويبين أنساب قبائل العرب وبطونها  
وأفخاذها وقد عده محمد عبد المنعم خفاجي « أول كتاب من نوعه في متن اللغة  
يحلل الاعلام ويشرح أصول اشتقاقها وأسماء المتشابه منها (١) غير أن وستنفلد  
في مقدمة الاشتقاق يقول « الفكرة الرئيسية عند ابن دريد كما ذكر هي اشتقاق  
الاعلام لمعرفة الأنساب ومن المعروف أن علم الاشتقاق من نقط الضعف في  
تاريخ الثقافة العربية لان الاشتقاق يتطلب الاطلاع على مختلف اللغات المتعاربة  
حتى تفهم مكانة الكلمة لغويا وعلاقتها بغيرها ومع ذلك لم تهتم أمة انعام العرب  
بلمخترها لذلك نرى أن بعض الشرح وتفسير الاعلام لا يظمن إليه » (٢)

(١) فصيح ثعلب والشروح التي عليه نشر محمد عبد المنعم خفاجي ص ٢١١

(٢) مقدمة الاشتقاق طبعة جرنجن نشر وستنفلد ١٨٥٤ م

### سبب تأليف الكتاب :

دفعت الغيرة العربية أن يرد على الشعوبية ونحوهم بعض مطاعهم على العرب  
 وترك ابن دريد يتحدث عن سبب تأليف الكتاب يقول في المقدمة : ( وكان  
 الذى حدانا على إنشاء هذا الكتاب أن قوما ممن يطعن على اللسان العربى وينسب  
 أهله إلى التسمية بما لأصل له فى لغتهم وإلى ادعاء ما لم تقع عليه اصطلاح من  
 ولدتهم وعدوا أسماء جهلوا اشتقاقها ولم ينفذ عليهم فى الفحص عنها فعارضوا  
 بالإنكار ) . ويقول أيضا : ( كان الاميون من العرب الذين نسخ الله عز وجل  
 بدينه الذى اختصهم به السجل وختم بملكهم الدنيا إلى انقضاء الاجل وهداهم لأفضل  
 الدل فى جاهليتهم الجهلاء وضلالتهم العمياء لهم مذاهب فى أسماء أبنائهم وعبيدهم  
 واتلاذهم فاستشنع قوم إما جهلا وإما تجـاهلا تسميتهم كلبا وكلبيا وأكلب ،  
 وخنزيرا وقردا ، وما أشبه ذلك مما لم يستفيض ذكره نطعنوا من حيث لا يجب  
 الطعن وعابوا من حيث لا يستنبط عيب ) (١) فابن دريد يرى أن يبين لهؤلاء  
 اقوم مذهب العرب فى هذه التسمية مبينا أسبابها معرجا فى ذلك على الاشتقاق .  
 وذكر ابن دريد أن السجستاني قال : قيل للعتبي ما بال العرب سميت أبناءها  
 بالأسماء المستشعبة وسميت عبيدها بالأسماء المستحسنة فقال لأنها سميت أبناءها  
 لأعدائها وسميت عبيدها لأنفسها ويرى ابن دريد أن أجابة العتبي تحتاج إلى شرح  
 يوضحها الاشتقاق .

وكانت الشعوبية قد ظهرت فى العصر الأموى — وقد أرق الأمويون الموالى  
 بكثرة الضرائب ولم يسووا بينهم وبين العرب فى الحقوق — وكانت النصبيات  
 القبلية قد ظهرت بعد حرب صفين ، وأخذ فريق منهم يفخر بحضارته الاسمية

(١) مقدمة كتاب الاشتقاق نشر عبد السلام هارون ص ٣٠ .

نارة ويمثلهم إسماعيل بن يسار النسائي (١) ، وكان يفاخر العرب بحضارة أمته  
 الفارسية وملوكها الساسانيين الذين غلبوا على الأرض ، والتف هؤلاء حول أبي  
 مسلم الخراساني الذي مال بث أن استولى على الخلافة وقامت الدولة العباسية واستطاع  
 الفرس أن تكون لهم مكانة في الدولة العباسية وخاصة حين استولى البرامكة على  
 زمام الحكم في عهد الرشيد وبنو سهل في عهد المأمون ، وكانت نزعة الشعوبية تقوم  
 على مناصرة تلك الشعوب وخاصة الفارسي للعرب مناصرة مستمدة من الحضارة  
 وما كان العرب فيه من بداوة وحياة خشنة غليظة ، وقد حاول المغالون منهم  
 الإضرار من العرب وجعلوهم أدنى مرتبة وهؤلاء هم الشعوبيون الحقيقيون وبرز  
 من الشعوبيين رجال سيااسة وشعراء مجان خلداء اعجببتهم الحضارات الأجنبية  
 وما اقترن بها من خمر واستمتاع بالحياة . وقد طعنوا على العرب أنهم كانوا  
 بدوا رعاة أغنام وإبل ولم يكن لهم ملك ولا حضارة ولا مدنية ولا معرفة بالعلوم  
 وقد مضوا يزرون على خطاياهم واعتمادهم فيها على العصي وإشارتهم بها واتكائهم  
 على أطراف القسي كما أزرروا على أسلحتهم الساذجة وأطعمتهم الخشنة (٢) ، وحاول  
 الشعوبيون تقييح تسميتهم الرائجة مثل الكرم ، وحاول البرامكة وآل سهل وآل  
 طاهر بن الحسن أن يشعلوا نار هذه الشعوبية ، ونجد من يهتمون بالشعوبية أبا  
 عبيدة اللؤلؤي الأخباري وكان يهوديا فارسيا ، ثم أسلم وقد حاول تسجيل مثالب  
 العرب وبلغ من فساد رأيه أن طعن في بعض أسباب النبي صلى الله عليه وسلم  
 وكان يرى رأى الخوارج وكان ديوان العربية في بيته وكان مع ذلك وسخا مدخول

(١) الأغاني للأصفهاني ج٤ ص ٤١٠

(٢) العصر العباسي الأول : دكتور شوقي ضيف ص ٧٦

الدين مدخول النسب ، (١) .

وأهم شاعر أوقد نيران الشعوبية بشار بن برد ولجده ينسب نفسه من جهة أمه إلى الروم إذ يقول :

وقيصر خالي إذا عددت يوما نسبي (٢)

ونجده بعد قيام الدولة الباسية يتبرأ من العرب وولائهم ناسبا ولاءه إلى الله ذى الجلال يقول :

أصبحت مولى ذى الجلال وبعضهم مولى للعريب فنخذ بفضلك فافخر  
ورغم ذلك فقد ظلت الروح العربية عالية خفاقة ذلك لأن الخلفاء والولاة  
والفقهاء والمحدثين وعلماء اللغة ورواة الشعر وقفوا لها بالمرصاد ، وقد رد بعض  
شعراء العرب على الشعوبية وأصحابها . مثل أبي الأصبع الأموي في قصيدته لعبيد  
الله بن طاهر حين افتخر في قصيدة له بنسبه من الفرس وقد رد بعض الموالى أنفسهم  
على الشعوبية مثل الجاحظ في البيان والتبيين وابن قتيبة في رسالته التي سماها كتاب  
العرب .

كتب ابن دريد إذن كتاب الاشتقاق لشرح أسماء الرجال والقبائل العربية  
مبتدئا باسم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ليرد على الشعوبية التي تقاصمها العرب .

منهج الكتاب :

يختلف منهج ابن دريد عن سبقه في كتابته عن الاشتقاق فقد ابتدأ كتابه باشتقاق  
اسم النبي صلى الله عليه وسلم أغريا ومن سموا باسم محمد في الجاهلية واشتقاق أسماء  
آبائه - ﷺ - وقد سبق ابن دريد في الحديث عن الأنساب وبخاصة نسب قريش المصعب  
الزبيري الذي وصل كتابه إلينا ونشره بر وفنسال لكنه لا يتحدث عن اشتقاق الأسماء

(١) الفهرست لابن النديم ص ٨٦

(٢) ديوان بشار ج ١ ص ٢٧٧

والاعلا وقد بدأ كتابه بولد معد بن عدنان ، ولذا فاننا نعتبر غيرة ابن دريد على العربية وحرصه على الحفاظ على الإسلام دفعه أن يبدأ الحديث باسم النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم هو يستعرض كل ما لديه من قوة لغوية ليكشف لنا عن ملكة لغوية بارعة وقد كتب الزبير بن بكار المتوفى عام ٢٥٦ هـ جمهرة نسب قريش وإخبارها الذي شرحه وحققه محمد شاكر عام ١٣٨١ هـ وهو لا يسير على نظام دقيق في اتباعه لنسب قريش لذا كان ابن دريد أول من كتب اشتعاباً الاعلام مع شرحها لغوياً ويضاف إلى ذلك ما تحتاج اليه المادة اللغوية من تفسير ديني من قرآن كريم وحديث نبوي شريف لهذا بدأ ابن دريد كتابه بذكر اشتقاق اسم النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم اشتقاق أسماء آبائه إلى معد بن عدنان ، حيث انتهى ، صلى الله عليه وسلم - بنسبه ثم قال « كذب النسابون » ولكن ماذا يعني ابن دريد بقوله « كذب النسابون » أيتهمهم بالكذب في نسبهم العمودي للرسول صلى الله عليه وسلم إلى اسماعيل أم ماذا يعني بقوله كذب النسابون وهذه قضية تحتاج إلى تحليل فقد اتفق النسابون على نسب النبي صلى الله عليه وسلم - إلى عدنان وفيما بعد عدنان اسماعيل عليه السلام فيه خلاف كبير ، ذكر ذلك ابن اسحاق صاحب السيرة وتابعه ابن هشام أيضا وقد منع بعضهم الرفع في النسب إلى عدنان . وقد كتب العلامة شندى عن هذا الموضوع وعزا قول ابن دريد « كذب النسابون » إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى عبد الله بن مسعود - وقال وهو الصحيح . يقول العلامة شندى في نهاية الأرب في معرفة انساب العرب ، وقد منع بعضهم الرفع في النسب إلى عدنان تمسكاً بأنه ليس في ما وراء عدنان إلى آدم طريق صحيح قال الفضاعي في عيون المعارف في اخبار الخلفاء - وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ولانجاوزا معد بن عدنان كذب النسابون ثم قرأ وقرونا بين

ذلك كثيراً ولو شاء أن يعلم عليه ، والصحيح أنه قول ابن مسعود . (١)

ويتحدث القامعشندی فی موضع آخر من كتابه عن بنی عدنان فيذكر أنها قبيلة من ولد اسماعيل وإنه اختلف في نسبهم إلى ابراهيم اختلافاً كثيراً ، فابن اسحق يرى نسبهم عدنان بن أود بن حقوم بن ناخور بن يترح بن يعرب بن يعجب بن ثابت بن اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام - ووافقه عليه البيهقي ؛ ونقل الطبري عن هشام بن محمد فيما بين عدنان وفيدار نحو أربعين أباً ومن النسابين من يعد بين اسماعيل وعدنان عشرين أباً وخمسة عشر أباً ونحو ذلك . (٢)

ويتحدث ابن دريد في كتابه عن أنساب العرب العدنانية والاقحطانية ويبين اشتقاق هذه الأنساب ورجال هذه القبائل في شرح كامل ويجمع المادة اللغوية المتعلقة بكل اسم وعلم أو قبيلة وأواد التي يحملها العلم المشتق في الرجوع به إلى سواء العربية ويوضح ذلك بتفسير كثير من آي القرآن الكريم .

فكتاب الاشتقاق اذن لاغنى عنه لمن يريد أن يضبط الاعلام العربية ويتبين هذا الضبط بشرح صرفي ومدلول لغوي ، ويعتقد الاستاذ عبد السلام هارون أن ابن دريد كتب الاشتقاق والجمهرة في وقت واحد ذلك اقرب الشبه بين التأليف فيها وأن ابن دريد كان يزوج بينهما ويصل ما بين المؤلفين بالإشارة في كل منها إلى الآخر .

(١) نهارة الارب في معرفة أنساب العرب للقامعشندی مطبعة الرياض :

بغداد ج ٢١ ص ٥

(٢) المصدر السابق ص ٢٨٥

## مواد الكتاب

ينقسم الكتاب إلى جزأين يتحدث في الجزء الأول مبتدئاً باشتقاق اسم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وآباء الرسول الكريم وأمهاته وأعمامه ثم ينتقل إلى اشتقاق أسماء العشرة المبشرين بالجنة ويبتدئ بعد ذلك باشتقاق أسماء القبائل فيحدث عن بنى هاشم وعبد شمس وعبد الدار ومضر وقبائل تميم بن مر وهشل وعبد شمس ، وفي الجزء الثاني يتحدث عن قبائل قيس بن غيلان وربيعه وينتقل إلى الحديث عن قبائل اليمن من قحطان مثل طيء والازد .... والأوس والخزرج ونسب تميم . ويختتم الكتاب باشتقاق أسماء يشتمل عليها الكتاب وما اشتق من أسماء الشجر وما نسمى وهو مشتق من أسماء الأرضين . وهو لا يعتمد أحياناً على نقل صريح للروايات مثل ما فعل عند حديثه عن اشتقاق اسم النبي صلى الله عليه وسلم « روى بعض نقلة العلم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما ولد أمر عبد المطلب بجزور فنحرت ودعا رجال قريش وكانت سنتهم في المولود إذا ولد في استقبال الليل كنوا عليه قدراً حتى يصبح كما فعلوا ذلك بالنبي - صلى الله عليه وسلم - فأصبحوا وقد اكتشفت عنه القدر وهو شاخص إلى السماء » (١) وهو يتخرج صراحه عن الدخول في بحث اشتقاق لفظ الجلالة فيقول « فإما اشتقاق اسم الله عز وجل فقد أقدم قمر على تفسيره ولا أحب أن أقول فيه شيئاً » ، (٢)

وهو يستعين في شرحه الأسماء بآيات القرآن الكريم وقد يفسر بعض ألفاظها



وقد استشهد بآيات من القرآن الكريم فيما يقرب من مائة وثلاثين آية ولكنه قد  
 يفسر الآية بوجه واحد بما يقارب تفسير العلم . قال مثلاً ،، في اشتقاق اسم  
 عبد الله أبي النبي صلى الله عليه وسلم : ،، وقد سمت العرب عبداً وعبيداً ومعبدأ  
 وعبيداً ويمكن أن يكون اشتقاق عبیده ومعبد من العبد وهو الانف من قول الله  
 عز وجل ،، فأنا أول العابدين أى الآنفين الجاحدين ،، (١) مع أن الآية الكريمة  
 ولفظ العابدين الذى اعتمد عليها ابن دريد له شروح عدة . وقد استعان ابن دريد  
 فى شرحه لاشتقاق الاسماء والتبائيل بالحديث الشريف وقد بلغ جملة ما استشهد  
 به من الحديث الشريف ما يقرب من واحد وتسعين حديثاً شريفاً وهو لا يذكر  
 فى الحديث السند أو الراوى واعلمنا نلتمس له النذر إذ أنه يتحدث بأدلة فى محل  
 الاستئذان لا دراسة الحديث نفسه ، ومن أمثلة ما استشهد به ابن دريد من  
 الأحاديث النبوية المشهورة ،، الثيب تعرب عن نفسها (٢) ولكنه يأتى به ناقصاً  
 فتمام الحديث ما رواه ابن احمه فى السنن ،، الثيب تعرب عن نفسها والبكر رضاها  
 صمتها ،، وقد ذكر هذا الحديث عينه بصيغة أخرى حين تحدث عن يعرب ..  
 ولد قحطان مع اليمن وفى الحديث ،، والایم تعرب عن نفسها ،، (٣) ولم يكن  
 ابن دريد ذا طول فى علم الحديث وكان يقول الحديث مرة ناقصاً ويروايتين دون  
 الرجوع فى ذلك إلى الروايات وهذا ما نجده أيضاً فى كتابه المجتنبى الذى سنتحدث  
 عنه . وقد استعان فى شرحه بالأمثال العربية أيضاً وذكر ستة وسبعين مثلاً فى  
 كتابه مثل عسى الغير أبوسا ، ولا يقبل لقير رأى ، وشب عمرو عن الطوق

---

 ١ - الاشتقاق ص ١٣٥

٢ - نفس المصدر ص ٣٢٤

٣ - نفس المصدر ص ٣٢٢

وأمثال أخرى تكشف عن قوة حفظه وسعة علمه وحرصه على إظهار الروح الدربة في كتابه ونجد ما يؤكده هذا أيضا ما يستشهد به من الشعر للحارث بن حلزة وزهير بن أبي سلمى والأعشى وذى الرمة وعبيد بن الأبرص وأمرؤ القيس وغيرهم من الشعراء الجاهلين والإسلاميين . ونجده ينسب بعض الألفاظ الغريبة في اللغة وهذه حال ابن دريد في معظم مصنفاته . يقول مثلاً في اشتقاق الاسماء الانية .

،، شنظير وعطرق ، مازيناه - واشتقاق شنظير من سوء الخلق -  
رحل شنظير والعطرق - الطويل المضطرب الخلق وخزع اسم  
اشتقاقه من الخزعلة - وهو مثل الخذعة وهو الذي إذا مشى سقى  
التراب بإحدى قدميه ، على الأخرى ،، (١)

أية ما يكون الأمر فالكتاب مصدر أساسي لمن يستشير في ضبط الاعلام والقبائل وتراث أدبي حفظه لنا أمثال العرب ونواديرهم وهو إلى جانب ذلك يعتبر فذاً في كتابته عن اشتقاق أسماء القبائل والاعلام بطريقة لغوية وصرفية مستنداً إلى التفسير بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر والأمثال والنوادر . وقد ذكر الأستاذ عبد السلام هارون بعض النقد للكتاب من أخطاء لغوية مثل ،، والعافية تعيف القتل وقال أن صحة العافية اشتقاقها من عفا يعفو وفي قوله من اشتقاق حجوان وإن كان من حج الشئ يحجه والصواب جحا يحجو وقوله مفاس مفعال من قاس يقبس والصواب أنه من مقس . ويذكر أن النبي - صلى الله عليه وسلم - دعا على عتبة بن أبي لهب فقال ،، اللهم ساط عليه كلباً من كلابك فأكله الأسد مع أن عتبة قد أسلم وحسن إسلامه والصواب عتبة بن أبي واسع وقد وافقه على ذلك محمد عبد المنعم خلفاً في شرحه للجزء الذي نشره

## (٢) كتاب المجتني :

وهذا مصنف آخر لابن دريد - صغير الحجم - نشر الكتاب في حيدر أباد بالهند عام ١٣٤٢ هـ بتصحيح السيد هاشم الندوي ونشره قبل ذلك في كرنكو . وروى الكتاب أبو اليمان زيد الحسن بن زيد الكندي المتوفى عام ١١٣ هـ رواه عن أبي محمد عبد الله بن علي المغربي النهري عن أبي منصور محمد بن محمد بن أحمد بن الحسين ابن عبد العزيز عن أبي الطيب محمد بن أحمد بن خاف بن خاقان عن أبي بكر ابن دريد .

والكتاب مختارات من الأقوال المأثورة ، ابتداء الكتاب بأقوال للرسول - صلى الله عليه وسلم - وما سمع عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه فعمر فعثمان فعلى فالحسن فعاوية ثم هدد بابا من كلام التلمذ وكرر الباب مرة أخرى وباب من نوادر الفلاسفة وعيون الشعر المستحسن والامثال المنظومة الحكيمة .

### سبب تأليفه الكتاب :

يتضح من قراءة الكتاب أن ابن دريد كتب المجتني ليزود الباحث بما يختاره من عيون الأقوال المأثورة مبتدئا بالرسول - صلى الله عليه وسلم - وخلفائه الراشدين وطرفا من كلام الحكماء ونوادر الفلاسفة وعيون الشعر المستحسن فهو يريد أن يعرض لنا في كتابه ما اختاره من الكلام المأثور والكلام المستحسن ليكون زادا لكل متعلم ونحن تعلم أن ابن دريد كان ينزع في بعض مؤلفاته إلى التعليم - أو يعلم الباحثين اللغة وعيون الشعر بل إنه كان مؤدبا لابن مكيال وقصيدته المقصورة المشهورة تنبئ عن نزعة التعليمية وأيضا أحاديثه الأربعين

المتناثرة في كتاب الآيات لأبي على القالي تخر أيضا عن نزعة تعليمية واضحة .

يقول ابن دريد في مقدمة الكتاب : « هذا كتاب يشتمل على فنون شتى من الأخبار الموثقة والألفاظ المسترساة والأشعار الرائقة والمعاني الفخمة والحكم المتناهية والأحاديث المنتخبة سميناها كتاب المجتني لاجتنائنا فيه طرائف الآثار كما تجتنى منه طائب الثمار ، (١) »

### منهج الكتاب :

عرض ابن دريد في كتابه لأقرال مختارة للرسول — صلى الله عليه وسلم — بطريقة مختصرة تحتاج إلى تعليق ، وقد صرح في مقدمة الكتاب أنه جرى فيه الاختصار إذا كان الاكثار مقرونا بالسامة وقد قال من قبلنا لنا إذا كان الإيجاز عباً وخير الأمور أوسطها ، .

فهو ينهج في كتابه إلى الاختصار وهذا عهده في جل كتبه ماعدا الجهرة والاشتقاق فنجد في الملاحن وصفه السرج واللجام وصفة السحاب والغيث يميل إلى الاختصار أيضا ويذكر أنه ينهج في كتابه باستغناحه الحديث بما جاء عن نبينا صلى الله عليه وسلم ويقول : « وقد ضمنت هذا الكتاب أخبار أشعار سمعتها فعروتها إلى من سمعتها وأشياء قرأتها فيما قرأت من الكتب على أشياخنا ورحمهم الله إجازة ومنها سماع ، (٢) »

فهو يبين أمانته العلمية في نسب الشيء إلى قائله وحرصه على الحفاظ

(١) المصدر السابق ص ٣

(٢) نفس المصدر السابق ص ٣

تقديمه الدين على أى شىء، فهو يفتح كتابه بأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم  
وقد افتتح كتاب الاشتقاق كما رأينا من قبل باشتقاق اسم الرسول - صلى الله  
عليه وسلم - .

### مواد الكتاب :

ذكر ابن دريد بعد المقدمة عيوناً من أقوال الرسول - صلى الله عليه وسلم -  
ما يقرب من خمسين حديثاً نبيياً شريفاً وقد ذكرها مختصرة لا يذكر رواة ولا مصنفها  
بند وهو يختار جزءاً من الحديث ويذكر بعض الشرح والتعليق عليه . وإنما  
لأنه يجب كيف يذكر ابن دريد أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - دون سند  
ويذكرها مختصرة لا توضيح المعنى المراد وكان الحديث قد دون في عهده واضطلع  
البخارى ومسلم وغيرهما بجمع الحديث الثريف وتدريسه . وهو مأخذ تأخذه  
على ابن دريد فمن الواجب عليه وقد استفتح الكتاب بأحاديث النبى صلى الله عليه  
وسلم أن يذكر الحديث على الأقل مروياً عن صحابي أو يكمل الحديث ليتضح  
المننى . وهو يسهب في شرح بعض الأحاديث ويعرض بعضها دون شرح وأحياناً  
يذكر أنه لا يعرف معناه مثل حديث « وقوله يا خيل الله أركبى » قاله صلى الله  
عليه وسلم في بعض غزاه لا أدري في أيها . ويكرر بعض الأقوال المنسوبة  
إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - مثل الحديث المشهور « الأعمال بالنيات »  
يذكره هكذا ويذكره مرة أخرى قوله صلى الله عليه وسلم « نية المؤمن خير من  
عمله » . وقد جاء هذا الحديث الشريف في صحيح البخارى في باب ما جاء أن الأعمال  
بالنية ولكل امرئ ما نوى حديث عبد الله بن مسleme قال أخبرنا مالك عن يحيى  
ابن سعيد عن محمد بن إبراهيم عن علقمة بن وقاص عن عمر أن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قال « الأعمال بالنية ولكل امرئ ما نوى » فمن كانت هجرته إلى الله

ورسوله فهجرتة إلى الله ورسوله ومن كانت هجرتة إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرتة إلى ما هاجر إليه . (١) وما ذكره في باب « ما سمي من النبي صلى الله عليه وسلم ، يشرح الحديث لغويا مثل قوله صلى الله عليه وسلم حمى الوطيس قال بعد أن ذكر مناسبته ، والوطيس حفيرة تحفر في الأرض شبيهة بالتنور يختزن فيها والجمع وطس فإذا كانت حفيرة أعظم من الوطيس يستوى فيها اللحم فهي أزن والجمع أزن . » وقد ذكر هذا الحديث الشريف ابن عبد البر في كتابه الدرر واختصار المغزى والسير في غزوة حنين « حين حملت هرازن على المسلمين وبأذى الرسول صلى الله عليه المؤمنون ( أما رسول الله يا معشر الانصار يا أصحاب الشجرة أو يا أصحاب الشجرة ، واشتدت الحرب وكثر الطعن والجلا د فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركابته فنظر إلى مجتلد القوم فقال الآن حمى الوطيس وضرب على بن أبي طالب عرقب جل صاحب الراية أو فرسه فنزعه ) (٢) وذكره ابن هشام أيضا صاحب السيرة في غزوة حنين مطولا . (٣)

وقد ذكر ابن دريد بعض أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم دون شرح لغوى أو شرح عام مثل قوله صلى الله عليه وسلم المستشاق مؤمن وحبك الشيء يحمى ويصم ، ويمنى ابن دريد فيذكر ما حفظه من كلام أبي بكر الصديق رضى الله عنه ولكنه يمر سريعا على بعض كلامه دون شرح وهكذا عن كلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه — ولكننا نلاحظ أنه يأتي هنا بالرواية أو السند الذي روى عنه القول وربما كان ابن دريد يتحرج في ناحية الحديث الشريف حرصا منه على

(١) صحيح البخارى ج ١ ص ١١ طبعة الشعب .

(٢) الدرر في اختصار المغازى والسير لابن عبد البر تحقيق شوقي ضيف ص ٣٢٣

(٣) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٨٧ المجامع الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٦٦

عدم الخوض في أشياء قد يحجمها ولم يكن محدثاً أو ذا طول في علوم الحديث ،  
وتلاحظ أيضاً أنه يذكر أقوالاً مخروطة كثيرة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه  
وذكر أقوالاً مختصرة للحسن بن علي رضي الله عنهما ومعاوية بن أبي سفيان أيضاً  
وهو في حديثه في باب من كلام الحكماء يذكر حكماً لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ،  
وللأحنف ولا يذكر أسماء الحكماء الذين ينقل عنهم بقية الأقوال وهو ما تأخذه  
علي ابن دريد من عدم الدقة فهو يقول مثلاً وقال آخر ( نكابة الأحرار في القلوب  
أبلغ في الأجسام من أثر السرور ونقصان الأجساد بالحزن أكثر من زيادتها  
بالفرح ) (١)

ونأتي إلى باب يميز به كتابه وهو من نوادر الفلاسفة وهو يذكر لنا أقوالاً  
مأثورة لسقراط ونيسر جانس والاسكندر وأرسطاطاليس وهما جريس  
وهيبوقريطس وأفلاطون ونعجب كيف استطاع ابن دريد أن ينقل إلينا هذه  
الأقوال من نوادر الفلاسفة وهو الغوى قبح وأغلب الظن أنه حفظها وسمعها من  
شيوخه رغم أنه لم يذكر من روى عنه هذه الأقوال . ولكن لماذا يذكر ابن دريد  
هذه النوادر للفلاسفة وما هدفه منها ؟ وهذه قضية أخرى — ذلك أن العرب كانوا  
قد ترجوا كثيراً من المصنفات اليونانية إلى اللغة السريانية ويذكر المسعودي أن  
المنصور كان أول خليفة قرب الانجمن وهو أول خليفة ترجمت له الكتب من  
اللغات الأجنبية إلى العربية ومنها كتاب كلية ردمنة وكتاب السند والهند وترجمت  
له كتب أرسطاطاليس عن المنطقيات وغيرها وترجم له كتاب الجسطى لبطليموس  
وكتاب الأثرمطيقي وكتاب أوقليدس (٢) . وقد شجع البرامكة الترجمة

(١) المجتقى لابن دريد ص ٨ تحقيق إبراهيم

(٢) مروج الذهب للمسعودي ج ١ ص ٢٤١

وعنوا بإعادة ترجمة بعض الكتب اليونانية التي ترجمت قبل عصرهم بحيث تكون أكثر دقة واتقاناً على نحو ما صنع يحيى بن خالد بكتاب المجسطى لبطليموس (١)، ونشطت الترجمة أيضاً في عهد المأمون ومن أشهر المترجمين ابن مطر وقد اشتهر بتحريره لكتاب الأصول في الهندسة لارقليدس وكتاب المجسطى لبطليموس ويحيى بن البطريق وقد ترجم لافلاطون قصة خيماوس وترجم لارسططاليس مخبراً في المنس وكتبه في الآثار العلوية وفي الخيران وفي العالم. وكتب الدكتور على سامي النشار في انتقال الفلسفة اليونانية إلى العالم الإسلامي وهو يرى أن الفلسفة اليونانية لم تعرف أولاً في عصر المنصور ولكنها كانت معلومة للمسلمين قبل ذلك ويكذب قصة حرق مكتبة الاسكندرية ويرى أيضاً أنه خلال الترجمة من اليونانية إلى العربية حدثت في خلال هذا النقل بعض الأخطاء العلمية والفنية وحرقت بعض المذاهب واختلطت مذاهب بأخرى ونسبت مذاهب بأخرى ونسبت مذاهب لغير أصحابها (٢)، وهو يذكر لنا شيئاً مما عرفه المسلمون من هؤلاء الفلاسفة مثل طاليس الذين عرفوا عنه أول فلاسفة أيونيا وأنه أول من حاول أن يفسر أصل الوجود (٣)، وعرف المسلمون فيثاغورس ويذكرون أن فيثاغورس كان يرى أن المبادئ منها الواحدة وهي الآلهة والخير وأنها من طبيعة الواحد وهي العقل ويذكر الدكتور على النشار المدرسة النحورية الماتالية ويعني بهم سقراط وأفلاطون وأرسطو وأما سقراط فقد احتل مكانة كبرى في العالم الإسلامي. لقد صوروه في صورة نبي أو قديس — يحدث أبناء أثينا عن الوعد والوعيد والثواب

(١) العصر العباسي الأول للدكتور شوقي ضيف ص ١١٢

(٢) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ج ١ ص ١٥٦ دكتور على سامي النشار

(٣) نفس المرجع السابق ص ١٥٦ - ١٥٧



والعقاب والخطيئة والقوة وتظهر أهمية سقراط في تاريخ الأمثال والأحاديث فقد وصل إلى المسلمين كثير من حكمه وانتشرت في كتبه الأمثال والحكم» (١)

إذن فقد نقل ابن دريد حكم سقراط وغيره أيزود القاري بأفوال متنوعة — فجع ذكره أنوال للرسول صلى الله عليه وسلم وخاتمائه الراشدين رضى الله عنهم وكلام الحكماء يذكر نوادر الفلاسفة ، ونجد ابن النديم يعقد بابا عن الفلاسفة فيذكر أفلاطون وكتبه وأرسططاليس ونسبه ويذكر كتبها كثيرة له في المنطقيات والطبيعيات والالهيات والخمقيات فن كتبه المنطقية وهي ثمانية كتب قاطيغورياس معناه المقولات باري أرمانياس معناه العبارة أنالوطيقيا معناه تحليل القياس ، أبو رقيطا وهو أنالوطيقا الثاني ومعناه البرهان ، طوبيقا ومعناه الجدل ، وسنسطيقا ومعناه المناطين ، وبدلوريقا معناه الخطابة ، أبو طيقا ويقال بوطيقا معناه الشعر ، (٢)

ويذكر ابن النديم ترجمة لثاوفرستيس وديوخس برمكس وفلوطرخس . ومن أمثلة نوادر الفلاسفة التي ذكرها ابن دريد قال أرسططاليس إن الحاجة إلى العقل أقبح من الحاجة إلى المال وقيل لبولس أى الحيوان لا يشبع فقال الناجر الذى يربح . وقيل لسقراط وثيمغوس أن غلاما شتمك بالغيب قال لو ضربني بالسياط وأنا غائب لم أبال غير إنا نشك في هذه النواذر لأن بعضها له صورة إسلامية كالقرل السابق ولكن ربما نقلها ابن دريد هكذا أو ما يذكره الدكتور على النشار أن الترجمة من اليونانية إلى العربية قد حدث فيها خلط واضطراب .

(١) نفس المرجع السابق ص ٢٠ - ١

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٣٦١

ونجد الفويرى فى كتابه نهاية الأرب فى فنون الأدب يذكر نفس الأقوال التى ذكرها ابن دريد للنبي صلى الله عليه وسلم ولأبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم وشيئا من كلام الحكماء ولعله نقلها من كتاب المجتنى لابن دريد . ويختتم ابن دريد كتابه بباب من عيون الشعر والمستحسن والأمثال منسوبا إلى أصحابها كما أقر على نفسه فى مقدمة الكتاب فهر يذكروا أنشدنى عبد الرحمن عن عمه الأصمعى ستمضى مع الأيام كل مصيبة وتحدث أحداث تنسى المصائب

وأنشد علقمة بن عبد الله القسرى :

ألا ليت شعرى هل أبيتن لية      أسعد ولما يخل من أهله سعدا  
ودل اقبلن النجو أعتاق أبق      وقد سال مسيا ثم من صاغه النجد

وأنشده :

صديتك حين تستعنى كثير      ومالك عند فرك من صديق  
فلا تغضب على أحد إذا ما      طوى عنك الزيارة عند ضيق

وأكثر الشعر حكم وأمثال عن الزمان والصديق .

وأخيرا وليس آخرا فالكتاب مجموعة نادرة من أقوال النبي — صلى الله عليه وسلم — وخلفائه الراشدين ومتاوية وكلام الحكماء ونوادر الملاسفة وهو يزودنا بثقافة لغوية وثقافة عامة تفيدنا فى تراثنا المعرفى .

### (٣) كتاب الملاحن :

وهذا كتاب من نوع خاص - صغير الحجم - سماه الملاحن - ولم نعرف من علماء اللغة من ألف مثل هذا الكتاب إلا ما ذكره البغدادي في خزائن الأدب (١) ، فهو يذكر كتاب ابن دريد في الملاحن وكتابا المنجم البصري يسمى المنجم وذكر السيوطي في المزهري عن كتاب الملاحن لابن دريد « وقد ألف في ذلك ابن دريد تأليفا لطيفا وقد كانت العرب تعتمد ذلك وتقصد له إذا أرادت التورية أو التعمية » (٢) .

وقد طبع الكتاب مرتين نشر الكتاب في أوروبا ثوربكه في هيدلبرج عام ١٨٨٨ م ونشر الكتاب في مصر وصححه وعلق عليه وذيله بذيل إبراهيم أطفيش الجزائري ، والكتاب مجموعة من العبارات اللغوية يستخدم فيها ابن دريد سمعة أطلاعه اللغوية فيذكر العبارة بمعنى ثم يحرفها إلى معنى آخر وعنوان الكتاب غريب بعض الشيء ولكنه يفسر لنا عنوان الكتاب وسبب تسميته في مقدمة الكتاب فقال : « معنى قولنا الملاحن لأن اللحن عند العرب الفطنة وقيل معاوية أن عبید الله بن زياد يلحن في كلامه فقال أو ليس بطريف ابن أخى يتكلم النارمية فظن معاوية أن الكلام معدولا عن جهته العربية ويستشهد بقول الفزاري

منطق صائب وتلحن أحيا نا وأصح الحديث ما كان لحنا

يريد أنها تعرض في كلامها وحديثها فتزيله عن جهته فجعل ذلك لحنا فسمى اللحن

(١) خزائن الأدب محمود بن عمر البغدادي ج ٢ ص ١١٣

(٢) السيوطي : المزهري في علوم اللغة ج ١ ص ٥٦٧ تحقيق محمد أبي الفضل

لحنا لأنه يخرج عن قصده (١). وقد أخذ ابن دريد هذا المعنى ليتفق مع ما يريد أن يشبهه في كتابه. وقد وردت مادة «لحن» في أغلب المعاجم بمعان مختلفة وكانت كلمة اللحن بمعنى الخطأ في الإعراب، ظاهرة ظلت فترة معينة من تاريخ العربية، وإذا تلبسنا مادة اللحن في المعاجم العربية نجدهم يذكرون معاني مختلفة لها، فهذا ابن منظور يذكر في مادة «لحن»، «...» اللحن من الأصوات المصوغة الموضوعية وجهه ألحان ولحن ولحن في قراءة إذا غرد وطرب فيها بالحن، والمحن واللحن ترك الصواب في القراءة والنشيد بنحو ذلك ولحن له يالحن لحنا قال له قولا ينفهمه عنه ويخفى على غيره لأنه يحيله بالتورية عن الواضح المفهوم ومنه قولهم لحن الرجل فهو لحن إذا فهم وفطن لما يفتن له غيره وقول الطرماح:

وأديت إلى القل عنهن زوله      تلاحن أو تدنو لقول الملاحن

أى تكلم بتمنى كلام لا يفتن له ويخفى على الناس غيرى وألحن فى كلامه أى أخطأ، (٢)  
أما البيت الذى يستشهد به ابن دريد وهو قول مالك بن أسماء بن خازجة النزارى:

منطق صائب وتلحن أحياء      نا وخير الحديث ما كان لحنا

فقد ذكرته معظم المعاجم بمعنى «وخير الحديث من مثل هذه الجارية ما كان لا يعرفه كل أحد وإنما يعرف أو صافه وقيل معنى قوله وتلحن أحياء أنها تخطئ في الإعراب وذلك أنه يستفاد من الجوارى ذلك إذا كان خفيها ويستعمل منهن لزوم حامد الإعراب.

وقد عقد يوهان فك في كتابه العربية ملحفا ذكر فيه مادة لحن وذكر أنه أول قول الشاعر: منطق صائب وتلحن أحياء نا وخير الحديث ما كان لحنا وقال: «ولما اشتهر لفظ اللحن في الاستعمال المتأخر بالمعنيين بالخطأ اللغوى والغناء وهم الجاحظ فظن أن الشاعر أراد أنها تلحن فى الكلام أى تخطئ»

(١) الملاحن لابن دريد تحقيق إبراهيم أطنيش - المقدمة -

(٢) لسان العرب: ابن منظور: المجلد الثالث عشر مادة - لحن -

وأن اللاحن في الكلام كان يستحسن من النساء كما أملى ابن دريد المتوفى عام ٣٢١ هـ على تلاميذه تصحيحاً مدعوماً بالحجة للفسير الذي ذكره الجاحظ وصحح ذلك أيضاً العمري ، (١) رأيت أبا علي القالي وهو تلميذ ابن دريد يذكر رأى ابن دريد في تفسير البيت :

منطق صائب وتلحن أحياءنا وخير الحديث ما كان لحننا

قال : وهذا مذهب أبي بكر بن دريد في تفسير قول الشاعر منطق صائب وتلحن أحياءنا قال يريد يعرض في حديثها فتري له من جهته لتلايفهمه الحاضرون ثم قال وخير الحديث ما كان لحننا أي خير الحديث ما كان لحننا ، أي خير الحديث ما فهمه صاحبك الذي تحب أنهامه ، حده وخفى على غيره ، (٢)

وملخص القول أن مادة لحن لها معان مختلفة وليس ما ذكره ابن دريد من أن معناه عدد الحرف الفطنية وقد ذكرت كتب الأدب أبواباً في الأعراب واللحن بمعنى الخطأ . مثل ابن عبد ربه في العقد الفريد فقال : قال عبد الملك بن مروان ، اللحن في الكلام أفصح من التمتيق في السرب والجدرى في الوجه وقيل له لقد عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين قال شيبني ارتفاع المسابر وتوقع اللحن ، (٣)

ويذكر الجوهري في الصحاح : اللحن الخطأ في الأعراب يقال فلان لحن ولحانة أي كثير الخطأ أو التلحين التخطئة ، واللحن واحد الألحان واللحن ومه

(١) العمري : يوهان فاك : ملحق الكتاب مادة (لحن)

(٢) الأمازي : أبي علي القالي الجزء الأول ص ٦

(٣) العقد الفريد ابن عبد ربه ج : ص ٢٩٥

الحديث « اقرأوا القرآن بلحون العرب » (١)

وقد جمع أبو على القمالي (٢) معنى اللحن في كتابه الامالى فذكر عنها « قال أبو بكر ابن الانباري رحمه الله معنى قوله عز وجل » ولتعرفنهم في لحن القول « وأي في معنى القول وفي مذهب القول ، واللحن بفتح الحاء الفطنة وربما اسكنوا الحاء في الفطنة ورجل لحن أى فطن ، . وذكر أبو على نصوصا في معنى اللحن « منه الحديث الشريف الذي يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلين اختصما اليه في موارد وأشياء قد ورثت فقال عليه السلام لعل أحكم أن يكون لحن بحجته من الآخر فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار فقال كل واحد من الرجلين يا رسول الله حتى هذا لصاحبي فقال لا ولكن اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحال كل واحد منكما صاحبه .

وهو يجمع لنا معنى اللحن بالمعنيين الخطأ والفتنة فيقول (٣) . يقال قد لحن الرجل لحنًا فهو لاحن إذا خطأ ولحن ياحن لحنًا فهو لحن إذا أصاب وفطن وتفهم من قول معاوية حيث قال للناس كيف ابن زياد فيكم قالوا ظريف على أنه يلحن قال فمذاك أظرف له ذهب معاوية إلى اللحن الذي هو الفطنة وذهبوا إلى اللحن الذي هو الخطأ، أن العرب كانوا يدركون أن اللحن إما أن يكون معناه الخطأ أو معناه الفطنة وذكر أبو على القمالي معنى آخر للحن وهو ( اللغة ) وهو رأى الإصمعي وأبي زيد الأنصاري ومنه قول عمر ابن الخطاب رضى الله عنه تعلوا

(١) الصحاح للجوهري ج ٢ باب النون فصل اللام

(٢) كتاب الامالى لابن على القمالي ج ١ ص ٦

(٣) الاعالي لأبي على القمالي ج ١ ص ٧ .

الغرائض والسنن واللحن كما تعلمون القرآن فاللحن اللغة .

وقد وصح ابن الأثير ما نقله عنه صاحب لسان العرب معنى اللحن والفرقة بين معنى الخطأ ومعنى الفطنة في قوله « اللحن الميل عن جهة الامتقانة » واللحن بفتح الحاء الفطنة قال ابن الأعرابي اللحن بالسكون الفطنة والخطأ سواء قال وعامة أهل اللغة في هذا على خلافه قالوا الفطنة بالفتح والخطأ بالسكون (١) .

ونضيف إلى ما ذكره ابن الأثير أن اللحن كان في فترة معينة من تاريخ العربية بمعنى الخطأ وذلك باختلاط المعجم بالعرب فألف العلماء كتباً في لحن العامة وأشعرهم الكسائي وكتاب لحن العوام لأبي بكر محمد بن حسن بن مذهب الزبيدي وقد وصلنا الكتابان وحقق كتاب الزبيدي دكتور رمضان عبد التراب .

هذا هو معنى اللحن فيما معنى الملاحن ؟ ولم سمي ابن دريد كتابه بالملاحن ؟ جاء في ذيل الملاحن من النسخة المصرية « في النسخة الأوربية وهي التي نشرها ( نربكه ) في هيدبرج عام ١٨٨٢م » الملاحن طرق من الكلام كان العرب تتممها إذا أرادت التعمية والتورية وهي من باب إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر « قال الخفاجي في شفاء العليل » ملاحن العرب ألقاها وهي الحاجة لأنها تهر بالحجي ، والمعاياه والرمز والمعمى والمتأخرون من الأدباء إصطلحوا على التفريق بينها وهو ليس بأمر لغوي وقد يعلق على كتاباتهم كفولهم للحن أشعر وللهاء أشهب إلى غير ذلك (٢) .

(١) لسان العرب لابن منظور المجلد الثالث عشر مادة ( لحن ) .

(٢) كتاب الملاحن بتحقيق إبراهيم أطيش الجزائري لابن دريد

(الذيل) .

وهذا الكلام يحتاج إلى توضيح فلا شك أن هناك فرقا بين الالغاز والاحاجى والكناية والتعريض والملاحن وإن كانت تتقارب في الهدف .

أما الكناية فهي « اللفظ الدال على الشيء على غير الوضع الحقيقي بوصف جامع بين الكناية والمكنى عنه كاللس والجماع فإن الجماع اسم موضوع حقيقى لللس كناية عنه ، (٢١) .

وأما التعريض « فكقول كعب بن زهير لرسول الله صلى عليه وسلم :  
في فتية من قريش قال قائلهم بيطن مكة لما أسلوا زولوا  
فعرض بعمر بن الخطاب وقيل بأبى بكر رضى الله عنها وقيل برسول الله  
صلى الله عليه وسلم تعريض مدح ومن أفضل التعريض مما يجمل عن جمع  
الكلام قوله عز وجل ( ذق إنك أنت العزيز الكريم ) (٢٢) ، أى الذى كان يقال له  
هذا أو يقوله وهو أبو جهل ، لأنه قال ما بين جبينها - يعنى مكة - أغرمنى  
ولا أكرم وقيل بل ذلك على معنى الاستهزاء به (٢٣) .

أما الاحاجى وهى الاغاليط من الكلام وتسمى الالغاز وهو الطريق الذى  
يلتوى ويشكل على سالكه ويسمى أيضا بالمعجى ويشبه بالكناية تارة وبالتعريض  
تارة أخرى ويشبه بالمغالطات المعنوية فاللغز والاحجيه كل معنى يستخرج

(١) المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر لابن الاثير ج ١ ص ٢٢٠ .

(٢) العمدة فى محاسن الشعر وادابه ونقده لابی الحسن بن رشيق القيروانى

تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ج ١ ص ٣٠٣ .

(٣) سورة الدخان آية ٤٩ .



بالحدس والفكر . ومن أمثلة اللغز قول بعضهم في الخناخال (١) .

ومغرور بلا جرم      مليح اللون معشوق  
له قد الهلال على      ماييح القيد معشوق  
وأكثر ما يرى أبداً      على الامشاط في السوق

ومن أمثلة المنز قول بعضهم في القلم (٢) :

وأرشق مرهوف الشبابة مهنف      يثبت شمل الخطب وهو جميع  
تدين له ان فاق شرقا وغربا      وتعنو له ملاكها وتطيع  
حمى الملك مقادوعا كما كان تحتمى      به الاسد في الآجام وهو رضيع  
ومن أطرف الالغاز قول مجد الدين أبو الميمر الكناني حيث قال : لمعزاً في  
البراغيث (٣) :

ومعشر يستحل الناس قتلهم      كما استحلوا دم الحجاج في الحزم  
إذا منعك دمائهم فاسنكت      يدأى من دمه المسفوك غير دى

وقد فصل محمود بن عبد القادر البغدادى في خزنة الأدب (٤) . القول في  
هذه الأنواع فقال : « وإذا اعتبرت الكلام من حيث أن قائله لم يصرح بغرضه  
سميته تعريضا وكناية وأكثر أرباب الحياء من الناس مضطراً إلى مثله وإذا  
اعتبرت من حيث أن قائله يوهمك شيئاً ويريد غيره سميته لحناً وسميت  
مسائله الملاحن »

(١) المائل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الاثير ج ١ ص ٢٠ .

(٢) و (٣) حياة الحيوان الكبرى : كمال الدين الدميرى ج ١ ص ١٢٣ و ١٢٢ .

(٤) خزنة الادب محمود بن عبد القادر البغدادى ج ٣ ص ١٧٧ .

أما اللحن والملاحن فذكره ابن رشيق في العمدة فقال : اللحن وهو كلام يعرفه المخاطب بفجواه وأن كان على غير وجهه قال الله تعالى ( ولتبرفهم في لحن القول ) (١) ويذكر «ابن رشيق» أن الملاحن يسميه الناس في عصره المحاجة لدلالته الاجتماعية وكل لغز داخل في الاحاجي .

ومجمل القول أن المصطلحات الكناية والتعريض والمحاجة والنز والملاحن ذكرتها كتب الأدب والبلاغة بزمان مختلفة عن بعضها البعض الآخر لكنها تقترب كلها من معنى الاخفاء والتسمية وعدول اللفظ إلى معنى آخر وهذا هو الذي سار عليه ابن دريد في كتابه الملاحن .

### سبب تأليف الكتاب

ذكر ابن دريد سبب تأليفه الكتاب في مقدمة كتابه فقال : « هذا كتاب الفناء ليفزع اليه المجبر المضطر على اليمين المكره عليها فيعارض بما رسمناه ويضمر خلاف ما يظهر ليسامه من عادته الظالم ويتخلص من حيف الغاشية ومميناها كتاب الملاحن واشتق قسما له هذا الاسم من اللغة العربية النصيحة التي لا يشوبها الكدر ولا يستولى عليها التكلف » ، (٢)

فابن دريد يريد أن يجد مخرجا عن طريق اللينة والفاظها للمضطر على اليمين وهذه تهمة خطيرة نستطيع أن نوجهها إلى ابن دريد فهو يستخدم اللغة للخروج من حلف اليمين فان كانت التهمة تخفف عنه في قوله « المضطر على اليمين المكره عليها والشرع يبيح للمضطر أن يفعل أشياء مخالفة لاضطراره اليها ولكنها

(١) سورة محمد آية ٣٠ .

(٢) كتاب الملاحن لابن دريد تحقيق ابراهيم اطفيش (المقدمة) ص ١

مشروطة بشروط وتثبته تهمة ابن دريد في الملاحن مسألة الحيل الشرعية وقد  
 قوبلت في بعض أوساط النخبة بهجوم شديد - وكانت قد وضعت الحيل الشرعية  
 أساساً للتحايل على قلب طريقة مشروعة وضعت لأمر معين واستعملها في حالة  
 أخرى بقصد التوصل إلى إثبات حق أو منع ظلم أو إلى التبرير بسبب الحاجة وهذا  
 النوع من الحيل الشرعية لا يهدم مصالحة شرعية فهو إذن جائز في جميع المذاهب  
 الإسلامية .

ومجمل القول أن كتاب ابن دريد في الملاحن يشبه مسألة الحيل فهو يتساهل  
 أو يتسامح ويتحايل على اللغة اللبيل إلى معنى آخر ولعل هذه العبارات التي  
 ذكرها في كتابه دفعت من لحقوه إلى اتهامه بتلغيق العربية مثل  
 الأزهرى .

### ذنهج الكتاب

لم يذكر ابن دريد منهجه في مقدمة كتابه (الملاحن) لكنا نستطيع أن نفهم  
 من حديثه في المقدمة أنه يستخدم اللغة ومعاني اللفظة المختلفة داخل العبارة التي  
 تنحول إلى معنى أو يتخلص من معناها التي وضعت له إلى معنى آخر ليخلص  
 المضطر أو المجبر على اليمين المكره عليها ويستخدم في هذا المنهج سعة حفظه  
 للغة ومعرفة استخدام الكلمة وكثرة مرادفاتها ونلاحظ أحياناً أنه أثناء استخدام  
 بعض العبارات يكون المعنى الذي يريده قلماً مثل قوله

«و تقول والله ما الغلان عندي جارية ولا اغتصبته عليها يعنى سفينه قال الله  
 تعالى ( وله الجوارى المنشآت في البحر ) (١) فالجارية بمعنى السفينة لا تستقيم

مع قوله ولا اغتصبته عليها . وقوله « وتقول والله ما رأيت فلانا قط ولا كلمته  
- فعنى ما رأيت أى ما ضربت رثته » . فلو افترضنا أن شخصا يقف أمام قاض  
يحلف يمينا مثل هذا اليدين ثم يقول للقاضى والله إنى لا أقصد أنى ما رأيت فلانا  
بمعنى الرؤية ولكن بمعنى أنى لم اضربه على رثته فإن القاضى لا يسلم بقوله .

وأكثر عبارات ابن دريد فى الملاحة تبنى المعنى ولا بد منه . وهذه أمثلة من  
عباراته يقول

(١) والله ما أملك كلبا وهو المسهار فى قائم السيف ولا فهدا ( وهو  
المسهار فى وسط الرجل ولا شعيرة وهى رأس المسهار من القصبة ولا خوان وهو  
دبس الرطب .

(٢) ويقول ولا ضربت له يدا وهى واحدة لا يادى المصطنعة ولا رجلا وهى  
القطعة العظيمة من الجراد - ولا أخبرته أى ما زعمت له خبرة وهى شاه يشترها  
قوم يقتسمون بينهم .

فى المثال الأول نجد البعد الكبير بين معنى الكلب وهو الحيوان المعروف  
وبين الكلب وهو المـهـار فى قائم السيف وبين الفهد وبين المـهـار فى وسط الرجل  
وأى تقارب فى المعنى نستطيع أن نألفهم بين الصقر وبين دبس الرطب . وبين  
الرجل وبين القطعة العظيمة من الجراد وبين قوله وأخبرته وبين ما زعمت له خبرة  
وهى الشاه يشترها قوم يقتسمون بينهم

وابن دريد يستشهد فى كتابه ببعض الشعر قال مثلا

وتقول « والله ما أخذت من فلان عسلا ولا خلا فالعسل عدو من عدو  
الذئب والخل الطريق فى الرمل ويستشهد بقوله الراجز

إذا الثريا طلعت عشاء فبيع الراعى غنم كساء

وآية ما كان الامر فالكتاب مجموعة من العبارات يستخدم فيها ابن دريد سعة علمه باللغة يكشف لنا عن معاني العبارات بمعان مختلفة وقد أفادنا ابن دريد بهذه المعاني والألفاظ المشتركة والمتضاربة ونستطيع أن نستخدمها في استعمالات أخرى من كناية وتعريض وغير ذلك رغم ما تعيب عليه في بعض عباراته أو بسبب تأليف الكتاب .

والكتاب يمكن أن يعد نوعاً من المعاجم التي نرجع إليها في رصد المعاني غير المألوفة للألفاظ التي يتضمنها وقد نستطيع أن نفيد منه عند بحث تدرج هذه المعاني وظروف استعمالها .

## (٤) كتابا صفة السرج واللجام وصفة السحاب والغيث:

مقدمة :

كتابا صفة السرج واللجام وصفة السحاب والغيث رسالتان صغيرتان لابن دريد وقد ذكر أصحاب التراجم هاتين الرسالتين بأسماء مختلفة فيذكران باسم المطر أو الرواد مرة أو زوار العرب — ورواة العرب وقد ذكرهما ابن النديم في الفهرست تحت عنوان « كتاب السرج واللجام وكتاب صفة السحاب والغيث » (١).

ونشر ولیم رایت الرسالتين مع مجموعة سماها مجموعة «جزرة الحاطب وتحفة الطالب» في لندن عام ١٨٥٩م وتشمل المجموعة رسالتی ابن دريد وكتاب تلقيب القوافي وتلقيب حركاتها لابن كيسان ومقطعات مرات لبعض العرب مروية عن ابن الاعرابي.

الرسالة الاولى — صفة السرج واللجام — صغيرة الحجم والثانية — صفة السحاب والغيث — أكبر منها ويعتمد فيها ابن دريد على ما قاله العرب في وصف السحاب والغيث ، والرسالتان من مجموع الرسائل التي سبقت ظهور فن المعاجم العربية اللغوية وكانت هذه الرسائل مجوداً مبكراً قام به علماء اللغة في عصور مبكرة من تاريخ العربية يحافظون به على اللغة من اللحن واختلاط العجمة بها وكانت الفتوحات الاسلامية قد أوجدت طبقة من الناس لا يحسنون العربية مثل الموالي والزنوج وغيرهم وشاع اللحن حتى تحدث به بعض الخلفاء مثل الوليد

بن عبد الملك فما كان من علماء اللغة إلا أن شمروا عن ساعد الجدد ينهضون بالتأليف في متن اللغة وجمع كلماتها ، وقد اختلف الباحثون المحدثون في هذه الرسائل وأسبقها وأولوية تأليفها فعلى حين يذكر أحمد أمين في ضحى الاسلام (١) ، ثلاث مراحل لجمع اللغة الأولى جمع الكلمات حيثما انفق فالعالم يرحل إلى البادية يسمع كلمة في المطر ويسمع كلمة في أسم السيف وأخرى في الزرع والبات، وغيرهما في وصف الغنى أو الشيخ إلى غير ذلك فيدون ذلك كله حيثما سمع من غير ترتيب إلا ترتيب السماع .

المرحلة الثانية : جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد في موضع واحد كالمحدث بجمع أحاديث الصلاة وأحاديث البيع . الخ توجت هذه المرحلة بكتب تؤلف في الموضوع الواحد ، فألف أبو زيد كتابا في المطر وكتابا في اللبن والاف الاعسمى كتبا كثيرة صغيرة كل كتاب في موضوع فكتاب في النخل والكرم وكتاب في الشاة . الخ .

المرحلة الثالثة : وضع معجم يشمل كل الكلمات العربية على نمط خاص يرجع إليه من أراد البحث عن معنى الكلمة .

ويتفق الدكتور حسين نصار (٢) مع أحمد أمين في تقسيمه لهذه المراحل الثلاث التي نظمت جمع اللغة ولكنه يخالفه في مناقشته لعملية التسلسل الزمني لهذه المؤلفات فقد رأى أحمد أمين أن التحليل راعى الفكرة الثالثة كان أسبق

---

(١) ضحى الاسلام — الجزء الثانى — أحمد أمين ص ٢٦٤ طبعة النهضة المصرية ١٩٦١ .

(٢) المعجم العربى : دكتور حسين نصار الجزء الأول ص ٣٥ .

زمننا من أبي زيد والأصمعي وغيرهم من واضعي الفترة الثانية وهو يرد على هذا السؤال بأن الثلاثة الخليل والأصمعي وأبا زيد تعاصروا زمننا طويلا (١) .

يرد الدكتور حسين نصار بأن التسلسل الزمني معقول نظريا لاعمليا ويرى أن المرحلة الأولى اختلطت فيها عدة دراسات حول "قرآن والحديث ورسائل أخرى ينظم ق عليها وصف هذا الباحث ، وهي كتب النوادر والأمالى وكان أكثر اللغويين القدماء يملكون على تلامذتهم من معارفهم بلا نظام معين (٢)

ويذهب المرحوم الدكتور محمد أبو الفرج إلى أن البداية المعجمية التي ابتدأ بها العرب كانت حول دراسة الكلمة بالنسبة للقرآن الكريم . فقد كانت من الفاظ القرآن ما هو غريب على بعض العرب ليسأل الجاهل منهم عنه النارف فيفسر المعارف بطريقته الخاصة ما استغلق على السائل وكان من أول الذين عرفوا في هذا الشأن عبد الله بن عباس الصحابي المتوفى عام ١٨ هـ وله كتاب يسمى غريب القرآن ولكنه يشك في نسبة الكتاب إليه .

وقد ذهب الدكتور إبراهيم نجا في كتابه " المعاجم اللغوية " (٣) إلى أن تسجيل اللغة قد سلك طرائق مختلفة ويرى أنه قد بدأ أولا بتأليف رسائل خاصة في الالفاظ والمعاني وهذه أسبق المراحل اللغوية وقد تبعها كثير من الثقات مثل

(١) ضحى الاسلام : أحمد أمين : الجزء الثاني ص ٢٦٤ .

(٢) المعجم العربي : نشأته وتطوره : دكتور حسين نصار ج١ ص ٣٥ .

(٣) المعاجم اللغوية : دكتور إبراهيم نجا ص ١ مطبعة الموسكى ١٩٦٨ .



الأصمعي في أسماء الوحوش والغابات والشجر وأبا حنيفة الدينوري في الأنواء والنبات ثم اتجه العلماء إلى إيراد الألفاظ الموضوعة لمختلف المعاني مثل كتاب الألفاظ لابن السكيت المتوفى عام ٢٤٤هـ، والألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمداني المتوفى عام ٣٢٧هـ ومبادئ اللغة للأسكافي المتوفى عام ٤٢١هـ وفتح اللغة للعلابي المتوفى عام ٤٢٩هـ والخصر لابن سيده المتوفى عام ٨٠٥هـ. ثم اتجه العلماء إلى إخراج مؤلفات تجمع الألفاظ بطريقة خاصة وتشرحها شرحا دقيقا مؤيدا بما يدعم وجهتهم من القرآن والحديث وفصيح الشعر، وذكر دكتور إبراهيم نجا أن لفظ معجم لا يعرف على وجه التحديد متى أطلق ومتى شاع ويقال أنه أطلق أولا على معجم الصحابة لابي يعلى وتبعه البغوي في كتابيه الذين ألفهما في أسماء الصحابة وأطلق على أحدهما المعجم الكبير وعلى الآخر المعجم الصغير ثم شاع إطلاق هذه اللفظة على الكتب الجامعة من حديث وأدب وتاريخ وغيرهما كمعجم الأدباء والبلدان لياقوت الحموي.

لكن هذا الرأي الذي ذكره دكتور إبراهيم نجا لا يقترب من الصواب فقد ذكر أن ثمانية المراحل وهي إيراد ألفاظ موضوعات مختلفة المعاني وذكر كتاب الألفاظ لابن السكيت المتوفى عام ٢٤٤هـ فكيف يسبق الخليل وقد توفي الخليل قبله بكثير. ورأينا كتاب الألفاظ الكتابية للهمداني وقد توفي عام ٣٢٧هـ كيف يبقى ابن دريد في الجهرة وقد توفي عام ٣٢١هـ ومثل ذلك يقال عن مبادئ اللغة للأسكافي المتوفى عام ٤٢١هـ، والشعالبي في فقه اللغة وقد توفي عام ٤٢٩هـ. ونرجح أصح الآراء التي ذكرها أحمد أمين وصاحبها دكتور حسين نصار وتابعه دكتور محمد أبو الفرج. شارك ابن دريد إذن في المراحل الأولى لجمع اللغة وكانت مشاركته بهاتين الرسالتين سمعة السرج واللجام وصفة السحاب والغيث وشارك بكتب أخرى عن غيرها الزمن منها كتاب غريب القرآن وغريب الحديث.

## (١) كتاب صفة السرج والملجأ :

أهتم اللغويون في المرحلة الأولى لجمع اللغة بالتأليف في الخيل والإبل لما لها من أهمية خاصة عند العربي ، فالخيل عنده عدته للقتال وزينته يفتخر بها أمام الناس والإبل وسيلة المواصلات الرئيسية وكان الشعراء في الجاهلية يفتخرون بخيالاتهم مثل امرئ القيس وغنيرة الذي كان قد وضع لفرسه اسما وكان يحاوره الحديث . وكان العربي يصون الخيل ويكرمها حتى أن الرجل ليبيت جائعا ويشبع فرسه ويؤثره على نفسه وأهله وولده .

يقول هشام بن محمد بن السائب في مقالة كتاب أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام «كانت العرب ترتبط بالخيل في الجاهلية والإسلام معرفته بفضائلها وما جعل الله تعالى فيها من العز وتشرفا بها وتصبر على المصيبة والأولاد ... وتخصها وتكرمها وتؤثرها على الأهلين والأولاد ، وتفتخر بذلك في أشعارها فلم تزل على ذلك من حب الخيل ومعرفة لأفضالها حتى بعث الله نبيه عليه السلام فأمره الله باتخاذها وارتباطها » (١) .

وقد بلغ من اهتمام اللغويين بالتأليف في الخيل إلى الكتابة في أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها مثلما فعل ابن الكلبي في كتابه أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها وهو يتحدث عن خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم «لأنه لحافى المرتجز والسلب واليهسوب» .

ويتحدث عن داحس والخبراء وعن خيل العرب مشهورة .

---

(١) أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها لابن الكلبي تحقيق دكتور أحمد زكي ص ٦ — الدار القومية للطباعة ١٩٦٥ .

ومن مؤلفي الخيل في المرحلة الأولى النضر بن شميل المتوفى عام ٢٠٤ هـ وأبو عمرو الشيباني المتوفى عام ٢٠٦ هـ وابنه عمرو بن أبي عمرو الشيباني المتوفى عام ٢٤١ هـ والتوزي المتوفى عام ٢٢٣ هـ والرياشي المتوفى عام ٢٥٧ هـ وأبو عبيدة المتوفى عام ٢١٠ هـ وله ثلاث كتب في الخيل وأسماءها وحضرها ..

وفي القرن الرابع نجد من مؤلفي الخيل ابن الأنباري المتوفى عام ٣٠٤ هـ والنجاشي المتوفى عام ٣٢٠ هـ واليزيدي المتوفى عام ٣٤٠ هـ وابن دريد المتوفى عام ٣٢١ هـ وأبو الطيب محمد بن أحمد الوشاء المتوفى عام ٣٢٥ هـ وأبو علي القالي المتوفى عام ٣٥٦ هـ هذا عن المؤلفين وقد ذكر أبو علي القالي في كتاب الأملاني شيئاً عن ترتيب أسنان الأبل وأسمائها وكرام الأبل وما يستحب طوله وقصره (٢)، من الفرس وما يستحب من الفرس هذا وقد جمع الثمالي (٣) بعضاً من أوصاف الفرس بل الكرم والعنق وأوصاف الفرس التي جرت مجرى التشبيه وخصص ابن سيده (٤) في التخصيص فصلاً عن الفرس وأوصافها وغير ذلك نجد من كتب الإديب التي كانت تنقل عن الآخرين فأما لا تخلو من وصف للفرس والأبل

(١) أما ابن دريد في كتابه صفه السرج واللجام فإنه يختار أهم شيء للفرس وهو ما يجعله معداً للقتال أو الركوب وهو السرج واللجام وقد ذكر ابن النديم (٥)

(١) كتاب الأملاني لابن علي القالي ج ١ ص ٣٣

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٢٥ و ٢٥٢

(٣) فقه اللغة وشرح العربية : أبو منصور الثمالي ص ٢٢٩

(٤) التخصيص الجزء التاسع لابن سيده ص ٩٤

(٥) الفهرست لابن النديم ص ٨٦

أن لأبي عبيده معمر بن المثنى كتابين هما كتاب السرج وكتاب اللجام ولم يصلنا الكتابان .

### سبب تأليف الكتاب ومنهجه فيه :

لم يذكر ابن دريد في مقدمة الكتاب سبب تأليفه الكتاب وقد اعتاد أن يذكر في مقدمة كتبه سبب تأليفه ونعتقد أن سبب التأليف واضح فلا حاجة لذكره أو ربما كتب مقدمة وضاعت فهو يدخل في الموضوع مباشرة دون تمهيد .

أما منهجه في الكتاب فقد قسم الكتاب إلى قسمين قسم يتحدث فيه عن السرج وتعيينه وأنواعه ونلاحظ هنا أنه لا يفسر المادة لغويا كما دت بل إنه أحيانا يحلل الكلمة صرفيا ومثال ذلك ما قاله د والقرئوس في وزن مفعول وهي مقدمة ومؤخره « (١) »

وقال في موضع آخر د ثم المشيرة غير مهموز وهو ما تمشى ظهر السرج بين القربوسين ونهى عن ركوب المياثر الضمر وأصلها من قولهم فراش وثير إذا كان كثير الحشو وكان في الأصل يؤثره فقلبت الواو ياء لكسرة الميم لأنها ميم مفعلة )  
والقسم الثاني من الكتاب عن وصف اللجام ، ومن صفاته للسرج يصف القربوسين من السرج وهي بمنزلة السرخين من الرجل وخشبة القربوس يسمى القبقب ويصف بعض أجزاء السرج فهناك الالبزيم وهي حلقة تعطف ويكون وسطها حديده شبيهة بفأس اللجام صغيرة تدخل في الثقب وفي الحزام سير دقيق يعقد بالحلقة الثانية التي تشد فيها الطية يسمى الاطنابه .

(١) كتاب صفة السرج واللجان ضمن مجموعة جرزة الخالع و تحفة الطالب

ومن وصفه للجام واللبام (١) هو الحديد التي في فم الفرس ثم كثر في كلامهم حتى سمي اللجام بسيوره وآلته لجاما - وفيه السكينة والمسحل وهو حديدة تحت الحنك وفي اللجام الفراسمتان وهي الحديدتان اللتان يشد بهما أطراف العذارين . .

ويستعين ابن دريد في شرحه بالشعر وقد لا يأتى بالبيت كـ لا قال مثلاً :  
وفي الحزام أيضاً ابنزيم قال الشاعر :

يدق ابنزيم الحزام حشمة  
وقد لا يذكر اسم الشاعر كما ذكر في قوله (٢) والسير الذي يجمع بين  
الخصائص الطيبة والجمع طباب وأنشد :

ارته من الحرباء في كل موطن      طبابا فأواه النهار المراكد  
وشرح في الكتاب غامض بعض الشيء فهو لا يذكر اشتقاق الاسماء الذي  
يذكرها وهو ينقلها نقلاً وربما حفظها ابن دريد عن شيوخه ولكنه أمين في نقله  
ورغم عدم وضوح شرحه وتفسيره فإن الكتاب تراث خالد للجمهور اللغويين  
الاول في مرحلة جمع اللغة الاولى والتي شارك فيها ابن دريد مشاركة فعالة .

---

(١) صفة السرج واللجان لابن دريد ضمن مجموعة جرزة الحاطب وثمينة الطالب اشرف وايم رايت ص ٧  
(٢) المصدر السابق ص ٢

## كتاب صفة السحاب والغيث

كتب ابن دريد هذه الرسالة في مرحلة جمع اللغة الأولى واختار السحاب والغيث لما للسحاب والمطر من أهمية عند العربي، فالعربي ينتظر الغيث ويتمناه فهو يعيش في صحراء لا انهار فيها فالمطر حياته ومصدر رزقه منه يشرب وبه يزور بعض ما يأكل منه وأحب العربي الرياح التي تحمل الخير مثل ريح الصبا. وكره الرياح الخبيثة ورأينا من أممباب الصراع بين القبائل قتالهم حول الماء بل أن شاعرهم كان يعتز بأن قومه يردون الماء قبل غيرهم فهم يشربون الماء صفوا لا كدر فيه، قال عمرو بن كلثوم:

ونشرب أن وردنا الماء صفوا  
ويسرب غيرنا كدرا وطيا

وقد يكون معنى البيت أنهم مقدمون في كل شيء سابقون لغيرهم من القبائل واختار الماء لأنها صلة الصراع ومصدر الخير، وجاء الإسلام وانتشر وفتح بلاداً كثيرة جلبت الخير للمسلمين وكاثروا سادة العالم نذاك ورغم ذلك فقد حدثت أزمات للمسلمين مثل عام الرمادة عام ثمان عشرة للهجرة في عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان من أسبابها عدم نزول الغيث، ولذلك عرف الإسلام صلاة الإستسقاء وفيها يطالبون من الله تعالى المطر ليعيشوا. عرف ابن دريد بذلكته ما للمطر من أهمية عند العرب فكتب فيه ولا نعرف أحداً اختار هذه الصفة (صفة السحاب) الحامل للمطر ولكننا نجد أهم كتب المطر وهو كتاب المطر لأبي زيد الأنصاري م ٢١٠ هـ وقد وصلنا كتاب أبي زيد ونشر مفردا ونشر مع مجموعة باسم اللغة في شذور اللغة بإشراف أوغست هتر وتحتوى المجموعة على كتاب النبات والشجر للأصمعي وكتاب النحل والكرم للأصمعي وكتاب المطر لأبي زيد

الأنصاري ونجد بعد ابن دريد من ذكر عن المطر والسحاب ، الثعالبي في فقه اللغة وسر العربية ، وخصص ابن سيده في معجمه المخصص فصلا عن السحاب والمطر وذكر النويري في نهاية الأرب بعضها عن أمور المطر والسحاب ولكن كل هؤلاء كانوا نقلة عن أبي زيد والاصمعي وابن دريد ، فلا زب الانصاري وابن دريد فصل السبق والتأليف .

### سبب تأليف كتاب صفة السحاب والغيث ومنهجه فيه

يذكر ابن دريد في مقدمه الكتاب سبب تأليف الكتاب ومنهجه فيه فيقول في مقدمة الكتاب « هذا كتاب جمعنا فيه ما ذكرته العرب في جاهليتها وإسلامها من وصف المطر والسحاب وما نعتته الرواد من البقاع ورغب إلى الله عز وجل في التوفيق للصواب »

وفي هذا الكتاب نجده ينقل عن العرب ويذكر أحاديث للأعراب ثم يشرحها ويفسرها لغريا فمهمته في هذه الرسالة كانت التفسير والشرح لما نقله عن الأعراب ونلاحظ أن ابن دريد ابتداء كتابه بحديث النبي - ﷺ - عن السحاب وقد ذكر أبو على القالي هذا الحديث في كتابه الأمالى (١) وتلك ملاحظة نستدل بها إلى تقدم علوم الدين عند ابن دريد على غيرها كما رأينا ذلك عنده في كتاب المحتنى وكتاب الاشتقاق ويتخذ ابن دريد من الأحاديث التي يروها ما يتعلق بالسحاب والغيث فيفسرها وقال ذلك ماذكروا في حديث النبي صلى الله عليه وسلم - حين قالوا يا رسول الله هذه سحابة فقال : كيف ترون قواعدها قالوا ما أحسنها وأشد

استقامتها ذكر تفسير العبارات فقواعدها : أسافلها ورحاها وسطها ومذمها  
وبواسقها أعاليها (١)

وهكذا يستمر في تفسير الألفاظ فيشرحها باختصار تارة وبإسهاب تارة  
أخرى ثم يختار ابن دريد أحاديث لبعض العرب عن السحاب والمطر يراها  
الأصمعي أو أبو حاتم السجستاني ونلاحظ أنه يختار ما يكون من الأحاديث التي  
تمتلىء بغريب اللغة فيشرحها ويفسرهما ومثال ذلك ما ذكره من حديث معمر  
بن حماد مع ابنته حين سمع رجلاً وقال لها ما ترين فقالت أراهما حماة عقافة كأنها  
حولاء ناقة لها سيروان وهدروان فقال مري ولا بأس عليك .

وينسب ابن دريد هذه الألفاظ فيقول : « قولها حماة عقافة : الحمام السوداء  
تخرب إلى الحجرة والعقافة تنعق بالبرق والحولاء جليلة رقيقة تقع على سليل الباقفة  
كأنها مرآة »

فمهمته في الرسالة كانت تفسيراً وشرحاً للألفاظ الغريبة عن السحاب ، وتحدث  
ابن دريد عن السحاب فذكر السد وهو السحاب الذي يسد الأفق والعوارق وهي  
قطع من السحاب تتفرق عنه والهيدبو هو ما تدلى من السحاب ، والسحاب  
العارض والرباب وهو من السحاب تراه كأنه متعاقق والفرعة وهي القطعة من  
السحاب صغيرة ومن المطر الديمة وهو المطر يدوم أياماً في سكون والطبق من  
المطر الذي يطبق الأرض والمربع الذي يمرع أي يخضب والمحرجل الذي تسمع  
لرعدته جلبة والمسحنفر الجارى والسح الصب والسفوح المنسفع .

---

(١) كتاب صفة السحاب والغيث ص ٢ (صعدن بمجموعة جرزة الحاطب)  
تحت إشراف وإلم رايت



ونلاحظ أن ابن دريد لا يسير على منهجه الذي ذكره في المقدمة فهو يذكر أنه جمع أخبار ما ذكرته التريب في جاءيتها وإسلامها من وصف المطر ومانعته الرواد وهو يشرح هذه الأخبار أو لا يشرحها رغم حاجته للشرح فمنهجه مضطرب بعض الشيء ورغم هذه العيوب فإننا نتخذ له عذره بأنه حاول أن يجمع ما استطاع جهده من أحاديث العرب وهم أهل البادية التي كان ينتقل إليهم العلماء وينقلون عنهم وهم أهل الفصاحة وكان العلماء اللغويون يقضون بهم أوقاتا كثيرة بل بلغ الأمر بعد ذلك أن العلماء كانوا يرسلون أولادهم إلى البادية ليتعلموا العربية الفصيحة ، وإذا كان ابن دريد قد ذكر في شرحه كثيرا من غريب اللغة فإننا نلاحظ أيضا أنه ذكر أحاديث يكثر فيها البديع وهي أحاديث مسجوعة منسقة مرتبة . وهذا يؤيد ما ذكر من قبل عن تمهيده لمن المقامات في الأدب العربي .

وإذا ألقينا نظرة على كتاب المطر لأبي زيد الأنصاري الذي نشر مع مجموعة كتب الاصمعي ، نرى منهجه يختلف عن منهج ابن دريد فهو يذكر في مقدمة كتابه فقرات المطر ومراحلته قال ، قال القيسيون أول المطر الوسمى وأبواؤه العرقوبان المؤخرتان من الدلو ثم الشرط ثم الثريا وبين كل نجمين نحو من خمس عشر ليلة ثم الشترى بعد الوسمى ، ، (١) .

وهو يذكر لنا أول أسماء المطر الغنقط وهو أضخر المطر والراذاذ وبقية أسمائه مثل الطش والديمة والذباب وغير ذلك .

---

(١) مجموعة البلغة في شذور اللغة تحتوى على كتب للاصمعي وكتاب المطر

لأبي زيد ص ٢ ، نشرها أوغست هفتر بهروت .

ويذكر اناء من أسماء السحاب - الغيمة - الغراء - السماء - والخلق وغير ذلك .

فكتاب أبي زيد الأنصاري تعريف لأسماء المطر والسحاب دون تفسير هذه الأسماء وبذلك يتميز ابن دريد بالشرح والتفسير .

وقد ذكر النعالي في فقه اللغة من أوصاف السحاب عن أكثر الأئمة :

« أول ما ينشأ السحاب فهو النشء ، فإذا انسحب في الهواء فهو السحاب فإذا تغيرت له السماء فهو الغمام فإذا أظلم السماء فهو العارض ، (١) »

ففي أمطار الأزمنة يروى عن أبي عمرو والأصمعي : « أول ما يبدو المطر في إقبال الشتاء فاسمه الخريف يليه الوسمي ثم الربيع ثم الصيف ثم الخيم » .

وفي تفصيل أسماء المطر وأوضاعه عن أكثر الأئمة : « إذا أحيا الأرض بعد موتها فهو الحياء فإذا جاء عقيب المحل أو عند الحاجة اليه فهو النيث فإذا دام مع سكون فهو الديمة ... الخ ، (٢) »

وما ذكره النعالي فهو منقول عن الغريين الأولين ولكنه يرتب هذه الأوصاف ترتيباً منتظماً .

أما ابن سيده فقد ذكر في معجمه المختص وصفاً للسحاب والمطر ويتميز ابن سيده وهو أيضاً جامع وناقل عن غيره من العلماء - أنه لا ينقل إلا من الثقة مثل الخليل وابن الأعرابي وابن دريد وغيرهم . يقول ابن سيده : « في السحاب

وأنواعه - صاحب العين - سميت سحابة لانسحابها في الهواء - أبو عبيدة - الدجن  
 اظلال السماء الأرض - ابن دريد الجمع ادجان ودجون وليلة مدجان ،، أما عن  
 المطر فقال : ،، أبو زيد الرش المطر الخفيف القليل ... الخ ،، (١)

ونستطيع أن نقول أن ابن دريد وأبا زيد كانا مصدرين لكل من كتب في  
 المطر والسحاب مثل الثعالبى في فقه اللغة وسر العربية وابن سيده في التخصص  
 والنويرى في نهاية الأرب .

---

(١) معجم التخصص لابن سيده الأندلسى المجلد التاسع ص ٩٣ طبعة بولاق

## الديوان

ديوان ابن دريد :

مقدمة :

نشر ديوان ابن دريد بالقاهرة عام ١٩٤١م وقام بتحقيق الديوان السيد محمد بدر الدين العلوي أستاذ اللغة العربية في الجامعة الإسلامية - عليكرة - وقام المحقق بمجهود فجمع شهر ابن دريد من كتب الأدب المختلفة التي تناثر فيها أشعار ابن دريد وأهم هذه الكتب كتاب الأملالي لأبي علي القمالي الذي كان تليذا مخلصا لابن دريد وأملالي الزجاجي وتاريخ بغداد للخطيب البغدادى ، وغير ذلك من كتب الطبقات . وقدم المحقق إلينا من الديوان وصاحبه فذكر مختصرا عن حياة ابن دريد وحاول تصحيح ما حرف من شعره في كتب الأدب المختلفة .

كان ابن دريد شاعرا ولكن هل كان شاعرا محترفا أم داويا نظم الشعر ؟

يذكر المسعودى في مروج الذهب « وكان مجيدا قد برع في زمننا هذا في الشعر وانتهى في اللغة وقام مقام الخليل بن أحمد فيها وأورد أشياء في اللغة لم توجد في كتب المتقدمين ، وكان يذهب في الشعر كل مذهب فطوراً يحزل وطريراً يرق وشعره أكثر من أن نحصيه ، (١) .

ويذكر الوزير جمال الدين القنطلى في أنباء الرواه عن ابن دريد ، « وكان رأس العلم والمتقدم في حفظ الماعة والانساب وأشعار العرب وله شعر كثير ، ، (٢) .

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر لعلي بن الحسين المسعودى ج٤ ص ٣٢٠

(٢) أنباء الرواه على أنباء النحاه للقنطلى ج٢ ص ٩٢ تحقيق محمد أبي الفضل

وتذكر كتب الطبقات مثل شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ومراتب  
النحويين لأبي الطيب أنه كان يقال أن ابن دريد أعلم الشعراء وأشعر العلماء ، يقول  
أبو الطيب : ، وكان أحفظ الناس وأوسعهم علما وأقدرهم على شعر وما ازدحم  
العلم والشعر في صدر أحد ازدحامهما في صدر خلف الأحمر وأبو بكر بن دريد ، (١)

ونستطيع أن نفهم من هذه النصوص أن ابن دريد كان شاعرا وكان يحفظ  
أشعار العرب ويذكر أبيانا من الشعر في كتبه التي صنفها يشهد بها وخاصة  
الجمهرة والاشتقاق وقد مر بنا أنه حفظ ديوان الحارث بن حلزة في مدة قصيرة  
لا تتجاوز وقت الغذاء وقد روى ابن دريد كتاب معاني الشعر للأشناداني وهو  
من الكتب الأولى في شرح الشواهد الشعرية .

ولكن الدكتور زكي مبارك يرى أن ابن دريد كان شاعرا مقلدا نحفظ له  
الآبيات والمقطوعات وبعض القصائد ولكنه كان يسكب روحه فيما ينظمه من  
الشعر فتسرى معانيه قريحة سحابة بلا جلبة ، (٢)

ويرى أحمد الاسبغندي أن ابن دريد ، ولم يكن شاعرا من حيث صناعته  
— وكان ينظم الشعر كلما بعثته باعته من المديح أو الهجو إذ كان في الأصل عالما  
مدرسا مصنفًا (٣) .

ونحن نرى أن ابن دريد كان شاعرا مجيدا رغم أنه لم يكن محترفا وأن مقصوده

(١) مراتب النحويين لأبي الطيب عبد الواحد بن علي اللوزي تحقيق محمد أبي

الفضل ص ٩٤

(٢) النشر الفنى في القرن الرابع الهجرى : دكتور زكي مبارك ج ١ ص ٢٧٩

(٣) تاريخ آداب اللغة العربية في العصر العباسي : أحمد الاسبغندي ص ١٠٠

الرائعة التي ذاع صيتها لتدل على إبداعه الفنى وقريحته الشعرية الذكوية وسعة ملكته اللغوية ولذلك نراه يستعرض ملكته اللغوية وقوة حفظه فى كثير من شعره .  
ويقال إن ابن دريد ابتداء نظم الشعر وعمره عشرون عاما ويروى له بيتان يقال لهما أول شعره وهما :

ثوب الشباب على اليوم بهجته      وسوف تنزعه عنى يد الكبر  
أما ابن عشرين مازادت وما نقصت      إن ابن عشرين عن شيب على خطر

والبيت الثانى يشير إلى أن ابن دريد نظم الشعر وعمره عشرون عاما وهذا يدل على ملكة شعرية مبكرة عند ابن دريد .

#### ملهم ابن دريد الشعرى :

كان ابن دريد شاعرا ولكنه لم يكن مشهورا فى عصره أنه شاعر أكثر من شهرته اللغوية ولكن مقصوده التى سبق بها الشعراء جعلته ذا شهرة عريضة بين الخلف الذين عارضوه فيها . وكان ابن دريد ينظم الشعر إذا دعت الحاجة إلى ذلك فقد كان نه أعداء يعرضون به مثل نفطويه والباهلى اللخوى المتوفى عام ٢٣١هـ وكان يمدح كثيرا من الأشراف وأشهر مدوحيه ابنا ميكال وقد مدح غيرهما مثل حجر بن أحمد الحويمى وابن يحيى من أهل البصرة ومثل يحيى بن عبد الوهاب البصرى الكاتب .

ولابن دريد مراتب بديعه أشهرها مرثيتان للامام الشافعى ومرثية لابن جرير الطبرى .

وقد ذكر ابن دريد فى المقصورة أن شعره نقشه المصدور (١) .

(١) شرح المقصورة الدريدية ( مع مجموعة لإمية العرب ) البيت رقم ٧٥

لكنها نفثة مصدور إذا جاش لغام من نواحية غما

ويقول في قصيدة له في الديوان (١) .

حبا الشعر تعظيما أناس وإنه لاحقر عندي من نفائة نافث  
وهل يحفل البحر للثام إذا عمى فطاح على نياره المتلاطث

ونجد من شعره ما يتضح اتصاله بقرمه وبعاظمه التي لا تنسى موطنه وأمله  
وله قصيدتان يعرض فيها قوله على أخذ الثأر لمن قتل منهم في موقعة الروضة  
والقصيدة الأولى قالها يرثى من قتل في هذه الواقعة (٢) ويقول في أولها :

إنما فازت قدامح المنيا يوم حازت حنظلها بتنوفا  
يوم قالت للردى استقمى حظى يوم لم تصطف إلا الشريفا

والقصيدة الأخرى وهو يحرض قرمه على أخذ الثأر وأولها :

وله نابه وخطب جليل بل رزايا لمن عبء ثقیل

بدأ ابن دريد نظم الشعر وعمره عشرون عاما وأول شعر قاله البيتان اللذان  
ذكرناهما ثم تدرج في قول الشعر حتى صار ذا منزلة عظيمة في الشعر وشعره  
يجمع فيه النسيب مثل الأقدمين وفيه مدح ومجاء وحامدة ووعظ ويتحدث عن  
أخلاق الناس ومو يستعمل المرونة الشعرية تارة ومرة يظهر كماله في الدقائق اللغوية  
مثل تعريضه بالباهل وقصديته المقصورة والممدود وفيه الحكمة ونرى في بعض  
شعره صنائع وبدائع كما في مرثيته

أما مقصوده الرائعة التي سنتحدث عنها فهي تدل على ملكة شعرية وقد حاول

(١) الديوان ض ٤٨ البيت رقم ٣٤ و ٣٥ من القصيدة الثامنة .

(٢) الديوان قصيدة ابن دريد اللامية والفائمية

الخروج فيها عن طريقة الجاهليين رصده الإسلام في النسيب والشبيب وكان محافظا فيها على بساطة العرض وعدم التكلف الصناعات غير ماذكر فيها من بعض الالتفات النثرية .

وينبغي أن نشير إلى أن ابن دريد كان يروى الشعر وكان ناقدًا لغويا لهذا الشعر وقد ذكر السبكي (١) في طبقات الشافعية خبرا مؤداه أن أحد الحاضرين أنشد يبتين يعزيان لآدم عليه السلام :

تغيرت البلاد ومن عليها      فوجه الأرض مغبر قبيح  
تغير كل ذي حسن وطيب      وقل بشاشة الوجه المليح

فقال ابن دريد هذا الشعر قد قيل قديما وجاء فيه الاقواء . قال أبو سعيد السيرافي تلميذ ابن دريد وراوى الخبر ،، فقلت له إن كان له وجهها يخرج عنه الاقواء نصبت بشاشة وحذف التنوين منها لالتقاء الساكنين فيكون بهذا التقدير نكره منتصبه على التمييز ثم رفع الوجه بإسناد قل إليه فيصير وقل بشاشة الوجه المليح .،، ويعقب السبكي على هذا الخبر ويقول ،، غير أنى رأيت أبا العلاء المعري في رسالته التي سماها رسالة الغفران قد أنكر على ابن دريد إنشاد هذا الشعر على وجه الاقواء وذكر أن الرواية الصحيحة :

وغرد في الثرى الوجه الفليح

قال أبو العلاء والوجه الذى قاله أبو سعيد في تنزيحه شر من الاقواء عشر مرات ،، (٢) .

(١) طبقات الشافعية : السبكي ج ٢ ص ٢١٢

(٢) نفس المصدر السابق ج ٢ ص ٢١٢



وقد التفت د. زكي مبارك هذا الخبر واتخذ مدفا للهجوم على ابن دريد ورأى  
أنه على سعة عقله وقوة ذكائه كان يطعن إلى بعض الحقائق المزيفة التي يتداولها  
الناس فكان يذكر أن أول من أفوى الشعر أبونا آدم عليه السلام في قوله :

تغيرت البلاد ومن عليها      فوجه الأرض مغبر قبيح  
تغير كل ذى طعم ولون      وقل بشاشة الوجه المليح

وأردف زكي مبارك ،، وهذه سذاجة مطبقة أن نظن أن آدام كان يتكلم  
الربية حتى يؤخذ عليه أنه أول من وقع عليه الإفواء ،، (١) .

ونستطيع أن نجد دليلا ندافع به عن ابن دريد في هذا الخبر ذلك أن ابن  
دريد لم يكن راويا له وأنه قال عندما أنشد أحد الحاضرين هذا الشعر ،، هذا  
الشعر قد قيل قديما ،، ولم يقل إنه منسوب لآدم عليه السلام .

ومن نقد ابن دريد للشعر ماروى عن أبي على القالى أنه روى أمام ابن دريد  
بيتا لامرئ القيس وهو :

ومالقة كسحوق اللبا      ن أضرم فيها النوى الشعر

وقال ابن دريد وهذا محال وكيف تشبه عنق الفرس بشجرة اللبان وهي قدر  
قعدة الرجل وإنما هو كسحوق اللبان ، والليان الفحل ،، (٢)

### اقسام الديوان ومواده :

قسم محقق الديوان السيد محمد بدر الدين العلوى — الديوان تقسيما حسب

(١) النشر العنى في القرن الرابع الهجرى : دكتور زكي مبارك ج ١ ص ٢٤٦

(٢) طبقات الشافعية : السبكي ج ٢ ص ١٤٥

الحروف الابدجية دون ترتيب الموضوعات أو الأغراض ، ذلك لأنه نقل معظم شعر ابن دريد من أمهات الكتب وخاصة أمالي أبي على القالي وهو يجمع قصائد وأبياتنا وربما نقل بيتين أو أكثر وبدأ الديوان بقول ابن دريد :

ليس السليم سليم أفعى حـره      لكن سليم المقلّة النجلاء  
نظرت ولاوسن يخالط عينها      نظر المريض سورة الاغفاء

وقد ذكر هذين البيتين أبو على القالي في أماليه (١) تحت عنوان « فصل ما قيل في فنون الظرف » ، وانتقل إلى شعر ابن دريد الذي وضعه لهدف فذكر قصيدة لابن دريد يمدح فيها المشتغلين بالحديث الشريف ونجد في هذه الأبيات شعرا قلما غير مبدع فالأبيات كأنها تتخلع من مكانها أو هو يجري وراءها ليضعها في مكانها . يقول ابن دريد يمدح المشتغلين بالحديث :

أهلا وسهلا بالذين أودهم      وأحبهم في الله ذى الآلاء  
أهلا بقوم صالحين ذوى نفحات      غر الوجوه وزين كل ملاء  
يسعون في طلب الحديث بعقه      وتوفر وسكينة وحباء  
لهم المهابة والجلالة والنهى      وفضائل جملت عن الإحصاء

ورغم قلق أبياته فإننا نجد في هذه الأبيات روحا لحب الدين ومدح علمائه . أما القصيدة التي ذكرها المحقق تحت عنوان « فصل في معرفة ما يمد ويقتصر وأولها :

لاتركبن إلى الهوى      واذكر مفارقة الهواه

فهى إن دلت فإنما تدل على براءة ابن دريد الغوية واستغلاها في الشعر ،  
ومن المؤكد أن ابن دريد نظم هذه القصيدة للتعليم كما فعل في المقصورة وأحاديثه  
المتناثرة في كتب الأمالى لابی على القالى وقد استطاع ابن دريد تنسيق الألفاظ  
واختيار كلمات مرتبة فذكر كلمات في الشطر الأول مقصورة وفي الشطر الثانى ممدودة  
ومعناها مختلفان ، وأحيانا يختار ألفاظا مقصورة في الأول من البيت وممدودة  
في الشطر الثانى والمعنى واحد . مثل النوع الأول ( الهوى ، الهواه ) والثرى  
والثراء ، ومن النوع الثانى ( الفحى والفحاء ) والخوى والخواه .

ويفعل القول في نوع كل قسم ذكره . وهذا يدل على تمكن لغوى بارع  
وذكاء مبدع جعله من التمكن بحيث ينظم أبياتا بهذه الصورة التى رأيناها .

وتسمى هذه القصيدة في كثير من المصادر بالمقصورة الصغرى . وهو ما نجد  
عند التبريزى (١) في شرح المقصورة الدريدية فبعد أن شرح المقصورة ذكر  
هذه القصيدة وسماها بالمقصورة الصغرى ولكنها ليست مشروحة ونجدنا في مجموعة  
أعجب العجب (٢) في شرح لامية العرب الزخشرى تحت اسم المقصورة الصغرى  
ولكنها ليست مشروحة ، وتسميها بعض المصادر منظومة في المقصور والممدود  
مع خلاف في المعنى ، أو كتاب المقصور والممدود وتوجد نسخة مخطوطة في  
مجموعة ومعها شرح قصيدة أبى مدين ومعها منظومة في المقصور والممدود (٣) .

---

(١) شرح مقصورة ابن دريد للتبريزى طبع دمشق ، ذيل شرح مقصورة  
ابن دريد . ص ٣٤٥

(٢) أعجب العجب في شرح لامية العرب للزخشرى؛ ذيل المقصورة الكبرى  
ص ٢٤٥ .

(٣) مجموعة نشتمل على شرح قصيدة أبى مدين ومنظومة في المقصور والممدود  
مع اختلاف المعنى لابن دريد . مخطوطة مكتبة بلدية الإسكندرية تحت رقم ٥٢٤ ب

والقصيدة حكم عن الزمان والدمر ونصائح تحذر من الدنيا وتذكر بالموت.  
وتنقسم القصيدة إلى أقسام فالقسم الأول هو باب ما يفتح أوله ويقعصر ويمد والمعنى  
مختلف ومثال ذلك :

لا تركزن إلى الهوى	واذكر مفارقة الهواء
يوما تصير إلى الثرى	وينفوز غيرك بالثرى

ومن القسم الأول أو الباب الأول كما يسميه ابن دريد :

وأرى العشا في العين أكـ	ثر ما يكون من العشاء
وأرى الخوا يذكى عقور	ل ذوى التفكير في الخواء

وإذا قارنا بين الألفاظ التي ذكرها ابن دريد فإننا نجد ( الهوى والهواء ) في  
السطر الأول والأول مقصور والثاني ممدود والمعنى مختلف. وفي البيتين الآخرين  
( العشا والعشاء ) ، العشاء في العين ، والعشاء الأكل عشيا ، والمعنى مختلف ،  
( والخوا والخواء ) فالخوى الجوع والممدود الخواء الهواء والمعنى مختلف ،  
وهكذا نجد ابن دريد يستعرض صفة عليه بالغة ويسدى نصائحه إلى تلاميذه  
والناس ويلاحظ هنا وفي مقصودته الكبرى أنه يكثر من ذكر مصائب الزمن  
ومحن الدهر ويحذر عن الدنيا والوقوع في غلوائها . ولا شك أن نفسية ابن دريد  
قد أصيبت بآس في فترة من الفترات ولذلك عده الدلحي من المنكوبين وجعل  
فلاكنه فلاكنه نفسية ، (١) .

ونستطيع أن نجمل القول أنه في الباب الأول ينصح بعدم الركون إلى  
الدنيا وهوى النفس فإن الموت قادم لا محالة ، وكمن عظيم كان له المكاة والشرف

وررى التراب يعيش وحيداً في قبره بعد أن كان لا يجد متسعاً من الوقت يخلو فيه إلى نفسه .

أما الباب الثاني وهو باب ما يكسر أوله فيقصر ويمد والمعنى مختلف فمن أمثله :

كم من عظام باللوى      قد فارقت خنق اللواء  
وأرى النتنى يدعو الغنى ———— إلى الملاهى والغناء  
يمعنى الاناء بعد الاناء      وهناه فى ملء الاناء

ونستعرض الشواهد فى هذا الباب فنجد ما ( اللوى - واللواء ) فاللوى مقصور وهو حيث يستدير الرمل ويرى ويلتوى ، واللواء مدود وهو بلوام الأمير والراية ، والغنى فى البيت الثانى والغناء ، الأول مقصور ودو ضد النقر والغناء والسماع من شجر وغيره . وفى البيت الثالث ( الاناء - والاناء ) فالاناء هى الساعة والاناء الوعاء وهذا القسم كسابقه يتل على حكم رائدة عن الزمان والحياة .

أما القسم الثالث وهو باب ما يكسر أوله فيقصر ويمد والمعنى واحد فمن أمثله :

وأرى البلى يبلى الجدى ———— د وكل شىء للبلاء  
كم من أنا يفنى اللى ———— الى ثم يفنى بالإناء

فنجد فى البيت الاول ( البلى والبلاء ) فالأولى مقصورة بمعنى التقدم والتغير والثانية مدودة مفتوحة بمعنى الشىء البالى ونجد فى البيت الثانى الاناء والاناء بمعنى بلوغ الشىء مقتهاء ، ومن براعة ابن دريد اللغوية أنه ذكر لفظ الاناء مرة

قبل ذلك في باب ما يكسر أوله فيقصر ويمد والمعنى مختلف في الاناء والآناء ثم ذكر (الاناء والآناء) بمعنى واحد .

أما الأقسام الأخيرة من القصيدة وهو باب ما يفتح أوله فيقصر ويكسر فيمد والمعنى واحد ومن أمثلته :

وسكنت بيتا ذا فحى ولتخرجن من الفحاء  
فالفحى والفحاء المتاع أو سقف البيت ، وهناك بيت واحد في باب ما يفتح أوله فيقصر ويكسر فيه والمعنى مختلف وهو :

وأراك تنظر في السماء لا صبر في نظر السماء  
فالسما الأول مقصور بمعنى "قرطاس والمحدود الخناش ، وهناك بيت آخر في باب ما يغم أوله فيقصر ويفتح فيمد والمعنى مختلف : فهو :

شمس الضحى طاعت علي ——— لك ولا ترى شمس الضحاء

فالضحى صدر النهار والضحاء النهار

وإذا امتعشنا أغراض الشعر عند ابن دريد فوجد أهمها الرناء ولابن دريد مرث كثرية أهمها : مرثيته لابن جرير الطبري انقيده المفسر المؤرخ المتوفى عام ٤٣٠٨ يقول رائيا أبا جعفر محمد بن جرير الطبري :

لن تستطيع لأمر الله تهقيا فاستجد الصبر أو فاستشعر الحوبا  
وأفزع إلى كتف التسليم وأرض بما قننى المهيمن مكروها ومحجوبا  
ويقول فيها :

أورى أبو جعفر والعلم فاصطحبها أعظم بهذا صاحبها إذ ذاك مصحوبا  
إن المنية لم تلتف رجلا بل ألتفت علما الدين منموبا  
أهدى الردى لأثرى إذ نال مهجته نجما على من يعادى الحق صهوبا

والقسيمة جميلة رائعة وتقع في خمسة وثلاثين بيتا وذكرها الخطيب  
البغدادي (١) في تاريخ بغداد وذكرها أيضا السبكي في طبقات الشافعية (٢).

وقد رثى ابن دريد عمه الحسين بن دريد وكان أباه الرواحي ومعلمه الاول  
ومتولى تربيته وكان قد جاب إليه الاشنادان لإودبه وقال يرثى عمه :

نجم النلى بعدك منقض      وركنه الاوثق منهض  
يا واجد لم تبقى لى واحدا      يرجى به الإبرام والنقض  
أوبل بطن الارض من ظهرها      يوم حوث جثمانه الارض  
ومن مرثيه الرائعة رثاؤه الامام الشافعي وأولها :

بلمة تيه للشيب طوالع      ذوائد عن ورد التصابي روادع  
تسرفنه طرع العنان وربما      دعاه الصبا فافتاده وهو طائع  
ويقول فيها :

لراى ابن إدريس ابن عم محمد      صباه إذا ما اظلم الخطب ساطع  
إذا المعضلات المشكلات تنابها      سما منه نور فى دماهن لامع  
أبى الله إلا رفعه وعلاه      وليس لما يعلمه ذو العرش واضع  
وقد ابن دريد الامام الشافعي فقال فى قصيدة أولها :

وإذا قرأت كلامه قدرته      سبحانه أوفى على سبحانه  
لو كان شاهده بعد خطبا      وذور الفصاحة من بنى قحطان

(١) تاريخ بغداد : الخطيب البغدادي الجزء ٢ ص ١٦٧ .

(٢) طبقات الشافعية : السبكي ج ٢ ص ١٢٨ .

ويقول فيها :

ذر فطنة في المشكلات وخاطر  
وامضى وأنفذ من شبابة سنان  
وإذا تفكر عالم في كتبه  
يبغى التقى وشرائط الايمان  
متبيا للدين غير مقلد  
بسمو بمهمته إلى الرضوان

والقصيدة تذكر فضل الإمام الشافعي ومنزلته العالية . وقد عد السبكي في طبقات (١) الشافعية ابن دريد من الشافعية .

ومن مرأى ابن دريد التي تبين تعاطفه مع قومه في عمان واتصاله بهم  
ماقاله يرثى من قتل من قومه في وقعة الروضة وهو موضع بالقرب من تنوف  
باليمن ويتقص علينا السالمى في تحفة الاعيان (١) عن هذه الواقعة فيقول : ، وأن  
جماعة من اليمن أرادوا عزل راشد بن الذنخر واتفق المأمرون مع جماعة أخرى  
على عزله وساروا جميعا وخرجوا جميعا إلى نزوى فأخذوا طريق الجبل يريدون  
عزل راشد بن النصر وكان الخبر قد اتحل به فلما صاروا بالروضة من تنوف  
من حدرد الجوف وجه اليهم راشد بن الذنخر سرايا والجيوش - خيلا ورحلا -  
فككبهم ليلا وهم نزول بالروضة من تنوف وهم لا يشعرون فوقع بينهم وقعة  
شديدة ، ، .

وقال ابن دريد يرثى من قتل من قومه في موقعة الروضة :

(١) طبقات الشافعية : السبكي ج ٢ ص ١٢٧

(٢) تحفة الاعيان فى سيرة أهل عمان : محمد عبد الله بن حميد السالمى ج ١



إنما فازت قـداح المنـد أيا  
يوم قالت للردى استقص حظى  
يوم حازت خيـاها بـقنـوفا  
يوم لم تصطف إلا الشـريفا

وهو يتهدد ويتوعد من قتلوا بعضا من قومه فيقول :

يا سويد بن سراة ترقب ضربة تجتث منك الصليفا  
قد كفك النجم يوما تترك الصاحى منه نزيفا  
وهو يواسى من بقى من قومه ويذكر أن الايام ستأنى بالسعد والنعمة  
فليأخذوا من الهزيمة درسا للنصر ويقول :

ان يكن يوم تصدى بنحس فلعل السعد يأتى رديفا  
او يكن ما أنفك لدغ زمان فعسأ أن يرف رفيفا  
والقصيدة رائعة ، أبياتها تناسب بالفاظ مداسة لا غريب فيها وتدل على ملكة  
شعرية رائعة . وترتبط بهذه القصيدة قصيدة أخرى قالها يعبر قبائل قومه من ولد  
مالك بن فهم ويحرضهم على أخذ ثار من قتل منهم بالروضة وهى :

وله نابه وخطب جليل بل رزايا لهن عبء ثقیل  
بل غرام مباده بل دهار يس عظام وقوعهن وبیل  
ويستثير همه قومه بقوله :

يا بنى مالك بن فهم قتيلا بدهاريس عزهن البتول  
أن بالروضتين هاما نزافا لم يقل من ثوى هناك قتيل

وهو يذكرهم بأن أخذ الثار لا وقت معه للهو والانتظار فيقول :

ليس شأن الموتيرين مهـاد وغناء ومـزهر وشـمـول

وصبح مباكر وغبوق وشواه ودريك ونشيل  
لنما ثوبه إذا اعتكر الأظلام ثوب الدجنة المسدول

وقال ابن دريد يرثي عبد الله بن عماره :

بنفس ترى ضاجعت في بيته البلى لقد ضم منك الغيث والليث والبهرا  
فلو أن حيا كان قبرا لميت لصيرت أحشائي لأعظمه قبرا  
ولو أن عمرى كان طوع أرادنى وساعدنى المقدار فاسمك العمرا

ويبدو أن عبد الله بن عماره هذا كان محظيا لدى ابن دريد فهذه الابيات  
التي تفيض عاطفة ووفاء أن ابن دريد يتمنى أن يضع أحشاه قبرا اعظم  
ابن عماره .

ومن قصائد ابن دريد القصيدة الثمانية وهي تشتمل على النسيب والمدح  
والفخر والحكمة وقد بلغت ٩٥ بيتا أولها هذا النسيب :

أماط لثاما عن أقاح الدمائث بمثل أساريع الحقوف العثااث  
ونصت عن الغصن الرطيب سر الفا يشب سناها لون أخرى جناجث

وإن دريد في هذه القصيدة يلتبس الغريب من اللغة فيذكره ويظهر براعته  
اللغوية في سعة الحفظ وبراعة التذكير . وافتتاحه بالنسيب هنا يعنى أنه كان يسير  
على طريقة الأقدامين ويحب الغريب من اللغة أو لعله ذكرها للتعليم ولكننا نلاحظ  
أنه لا يطيل النسيب وينتقل فجأة إلى ذكر صديق له وهو شمس بن عمرو بن غانم  
ونصر بن زمران بن كعب بن حارث ثم يذكر طرفا من حالهما ، وقد ذكر السيد

على صدر الدين بن معصوم المدني (١) في كتابه أنوار الربيع في أنواع  
البديع في باب الاطراد ، وهو أن يتحدث الشاعر باسم الممدوح ولقبه وكنيته  
وصفته وأين ذهب وقبيلته غالباً وما أمكن من ذلك مطرداً موالياً في بيت واحد  
من غير تعسف ولا تكاف . وقال ابن معصوم المدني : وقول ابن : يد  
وجمع ثمانية أسماء في بيت واحد ولم يقع في شواهد هذا النوع نظيره  
انسجاماً .

فنعم فتى الجلى ومستنبط الندى      وملاحاً مكروب ومفزع لاهث  
عباذ بن عمر بن الجليس بن جابر      بن زيد بن منظور بن زيد بن واث  
وقد ذكر ابن رشيق في العمدة (٢) أبياتاً لبعض الشعراء وفيها اطراد مثل  
قول الأعشى :

انيس بن مسعود بن قيس بن خالد

وأنت امرؤ ترجو شبابك وائل

ومثل قول أبي تمام :

عبد الملك بن صالح بن على      بن قسيم النبي في بدر

وبالقصيد فخر وأجله قوله

ولو أننى فيكم أسوت كلوكم      وداويت منها غائقات الغثالث

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع : السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني  
تحقيق أحمد شاكر ج ٣ ص ٣٢٧

(٢) العمدة لابن رشيق القيرواني ج ٢ ص ٨٢

وبجمل القول أن القصيدة تجمع أغراضا كثيرة من "شعر وتجمع كثيرا من غريب اللغة وبها أطراد ليس له نظير عند الشعراء .

ومن أغراضه الشعرية الهجاء ومن أهم قصائده في الهجاء ما قالها يعرض بالباء على اللغوى وهى قصيدة تمتلىء بالغريب من اللغة أيضا يقول فيها : (١)

ديار الحى بالرسم      إلى العمرين فالأبرق  
كرجع النقش فى الطرس      إذا نطق لم ينمق

ويعرض به فيقول :

فيا للناس ما الزيم      إذا فصل أو دهمق  
وما التميم فى الميسم      مر إن جمع أو فرق  
وما الكهدل فى الخيم      عل والكافر فى اليلق  
وما الاسناخ فى الأرع      ظ والأوصاف إذ يلزق

ونظرة واحدة إلى الكلمات (الكهدل - الخيمل - اليلق - الاسناخ - الارصاف ... الخ) نجد أنها تحتاج إلى شرح بل إلى معجم للغريب إن صح هذا التعبير . والقصيدة تمتلىء بالغريب وبالهجاء المقذع وكأن ابن دريد يقول للباء على اللغوى إن كنت مبدعا فى اللغة فأنا أعلم منك بها وبغريبها .

ويهجو بعض النحويين فيقول (٢) وقد آثر بأبيات طريقة بارعة :

عنظير أنا اختلافنا      فى الفعل من فاعلين

(١) الديوان ص ٨٧ (ديوان ابن دريد تحقيق محمد بدر الدين العلوى)

(٢) الديوان ص ١١٠

فقال قوم يثنى لجمعنا الهمزة بين  
وقال قوم يعدى بملتهى الساكنين  
وأنت أعلم منـا بهذا وذاك وذین  
لأنك الدهر فعل يعتل من جهتين

ومن هجائه العام وهو من أجمل شعره (١)

الناس مثل زمانهم قد الحذاء على مثاله  
ورجال دهرك مثل دهرـ رك في قلبه وحاله  
وكذا إذا أنسد الزمان جرى الفساد على رجاله

ومن هجائه المشهور تلك الأبيات يهجو بها نفطويه وكان نفطويه قد  
دجا ابن دريد بقوله: (٢)

ابن دريد بقره وفيه عى وشره  
ويدعى من جهله وضع كتاب الجمهرة  
وهو كتاب العين إلا أنه قد غيره

وكان بين الاثنين مفاخرة فرد عليه ابن دريد ردا قاسيا وقال: (٣)

لو أنزل الوحي على نفطويه لكان ذلك الوحي مسخفاً عليه  
وشاعر يدعى بنصف اسمه مستأهل للءـفع في اخذعيه

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي ص ١١٣ والديوان ص ١٠٥

(٢) معجم الادباء ج ١ ص ٣١١ ، المزهر للسيوطي ج ١ ص ٤٧

(٣) معجم الادباء ج ١ ص ٢١١

أف على النحو وأربابه قد صار دن أربابه نفاطويه  
أحرقه الله بنصف اسمه وصير الباقي صراخا دلميه

ومن أغراضه الشعرية قوله في أخلاق الناس (١) :

أرى الناس قد أغروا ببغى ورغبة وغى إذا ما ميز الناس عاقل  
وقد لزمو معنى الخلاف فكلامهم إلى نحو ما عاب الخليفة مائل  
إذا ما رأوا خيرا رموه بظنه وإن عاينوا شرا فكل مناضل

ومن أغراضه الشعرية — الوصف —  
فها هو يصف النرجس فيقول : (٢)

عيسون ما يلم بها الرقاد ويمحو محاسنها السهاد  
إذا ما الليل صافحها استهلت وتعمل حين ينتحسر السواد  
لها صدق من الذهب المصفى صاغه من يدين له العباد

ومن وصفه الجليل قوله في المطر : (٣)

تبسم المزن وانهلّت مداومه فأضحك الروض جفن الضاحك الباكي  
وغازل الشمس نور ظل يلحظها بعين مستهجرة بالدمع ضحاك  
ووصف ابن دريد الخمر فقال :

وخمراء قبل المزج صغراء بعده أتت بين ثوبى نرجس وشقائق

(١) الديوان ص ٩٩

(٢) الديوان ص ٦٥

الديوان ص ٩٨

ووصف جلسته بينه وبين الحبيب وأغلب الظن أنها من الخيال فقال (١) :  
عانقت منه وقد مال النعاس فيه      والكأس تقسم سكرا بين جلاس

ونختتم شعره بهذين البيتين الرائعين :

ودعته حين لا تردعه روحى      وليكتها تسير معه  
ثم اقترقنا وفي القلوب لنا      ضيق مكان وفي الدموع سعة

## مقصورة ابن دريد

مقدمة :

ظهر في الأدب العربي قسائد يطلق عليها المقصورات وهذه القصائد تشابه في كثير من الأمور أهمها أنها تشترك في الروى المقصور وتنتهى القافية فيها بالالف المقصورة . وتكون المقصورة في الغالب من بحر الرجز وبعضها من بحر المتقارب وتكون المقصورة في الغالب من القصائد المطولات والمقصورة حازم تزييد على ألف بيت ومقصورة ابن دريد تزييد على مائتين وخمسين بيتاً .

وهدف المقصورة في الغالب مدح شخص عظيم ثم تشمل أغراضاً أخرى قد تنسى الشاعر هدفه الأساسى فيعنى بأمور أخرى منها الغزل ومشاهد الحياة والحكم والأمثال والبكاء على الشباب والتجمل والصبر وسرد الحوادث التاريخية ويتخذ الشعراء المقصورة وسيلة لاستعراض علمهم في اللغة والأدب والبلاغة وهم لذلك قد يقحمون فيها من غريب اللغة وفي القافية بوجه خاص وشاعر المقصورة يستعمل كثيراً من أوزاع البديع وخاصة الجناس والطباق والمقابلة .

ويعتبر ابن دريد أول من أنشأ المقصورة الكاملة التى ذاع صيتها في الأدب العربى وصارت مثلاً وأسوة لكل من لحقوه وأنشأوا مقصورات على منوال ابن دريد ورغم ذلك فإن المسعودى (١) يذكر أن ابن دريد قد سبقه بعض الشعراء بالمقصورة فقال « وقد سبق إلى المقصورة أبو الهيثم »

---

(١) مروج الذهب ومعادن الدرر للسيد ج ٤ ص ٣٢٤ تحقيق محمد عيسى الدين .



نصر بن نصير الحلواني في محمد بن زيد الداني .

قفا خليلي على تلك الربى      ومائلها اين هاتيك الدي  
اين اللواتي ربعت ربوعها      عليك باستنجاها تشفى الجوى  
ويذكر أبو الفرج الاصفهاني في كتاب الاغانى (١) أن السموأل بن عدياء  
قال :

ارفع ضميرك لا يحرك بك ضميره      يوما فتدركه العواقب قد نما  
ويروى أبو الفرج الاصفهاني (٢) ستة أبيات لحنظلة بن أبي غنراء مطلعها :  
ومها يكن ريب الزمان فاننى      أرى قمر الليل المغرب كالنجم

ولكن كل هذه الأبيات التي ذكرها أبو الفرج الاصفهاني وما ذكره المسعودي  
من مقصورة أبي المقاتل نصر بن نصير الحلواني لا تعدو إلا أن تكون أبيانا  
لا تكتمل فيها المقصورة بالمتى الذي عرف بهذا ذلك ، فابن دريد مبتكر هذا  
الفن . وقد ذكر الدكتور مهدي علام « أن القافية المقصورة كانت مستعملة في  
الشعر العربي قبل الاسلام . لكنها لم تكن ذاتة ثم ذاعت على يد الاسلام وإن  
شيوخ الكلبيات المقصورة في كثير من سور القرآن الكريم مثل سور الأعلى والليل  
والنجم والمعارج والقيام والنازعات والأعشى والعلق والضحى كان قدرا داعيا  
إلى الإكثار من القافية المقصورة ، (٣) .

(١) الاغانى لأبي الفرج الاصفهاني ج ٣ ص ١٢٤ و ١٢٥ .

(٢) الاغانى لأبي الفرج الاصفهاني ج ٢ ص ٤ .

(٣) مجلة كلية أدب - جامعة القاهرة - المجلد الاول عام ٩٥١ ص ٢٤  
مقال عن المقصورات بقلم الدكتور مهدي علام .

ولستطيع أن نقول أن رأى دكتور مهدي علام قريب إلى الصحة فيما رآه من وجود النافيه المقصورة في الشعر الجاهلي ولكنه فيما رآه من مقارنته بسور القرآن الكريم — بالشعر والمقصورة قد جانب الصواب ، فالقرآن الكريم في إعجازه لا يقارن بشعر وآيات القرآن الكريم تسير على نسق يعجز البشر عن الإتيان بمثله . وعن ذهب إلى هذا الرأي الدكتور طه حسين ، فإن دريد مبدع المقصورة إذن وعارضه فيها كثير من الشعراء مثل التموخى وحازم والنبهاني وكان آخر الذين عارضوه محمد رشيد رضا .

### المقصورة الدريدية وشروحها :

كان لابن دريد فضل السبق في إنشاء المقصورة في الأدب العربي كما رأينا — وكان هدف ابن دريد من نظم المقصورة مدح ابني ميكال عبد الله بن محمد بن ميكال وابنه إسماعيل ، وكان إسماعيل تلميذاً لابن دريد أو كان ابن دريد مؤدباً له .

ونرى ابن دريد وقد نال مكانة عالية في قلب عبد الله الذي ولاه المنصور الأعمال بكور الأهوار ، وقد قلداً ابنا ميكال ابن دريد ديوان فارس وكانت تصدر كتب فارس عن رأيه ولا ينفذ أمر إلا بعد توقيعه . وقد امتطاع ابن دريد أن يجعل من تلميذه أبي العباس أديبا مشهوراً وعندما قال ابن دريد قصيدته المصورة طرب ابنا ميكال طرب عظيماً . قال ياقوت : قال الحكم وسمعت أبا عبد الله محمد بن الحسين الوضاحي يقول سمعت أبا العباس بن ميكال يذكر صلة الدريد في إنشاء المصورة فيهم قال الوضاحي فقلت ولين الذي وصل إليه من خاصة الشيخ فقال لم تصل يدى إذ ذاك إلا إلى

ثلاثمائة دينار صبيتها في طبق كاغذ. ووضعها بين يديه، (١)

ورغم أن المقصورة قيلت أساسا لملاح ابني ميكال لكن ابن دريد جمع فيها أغراضا أخرى ففيها يتحدث عن شبيهه وضعفه وقوة احتماله للكبات الأيام فهو صلد لانهز من الزمن . وفيها اشارات تاريخية وأدبية وقد اختار رجالا هزهم الدهر وأثقلتهم النوائب مثل امرئ القيس وأبي الجهر الكندي وجذيمة بن مالك وفيها أوصاف للابل التي تحمل راسكبا إلى مناسك الحج ويتحدث عن السيف والفرس والسحاب والمطر . وهو بين هذا وذاك يتحدث عن مدحيه ويشكر لها فضائلها عليه ويخص مدحه لأبي العباس الذي سما للعلا وكرمه لا يرقى إليه أحد وهو يذكر جانباً من أوصاف المرأة الجميلة وبذكر الرسول - صلى الله عليه وسلم - ممجداً له وبذكر جانباً من أخلاقه فهو لين لمن يلين له ، ويخشن مع من يخشن معه ويفخر بفعله وذكائه وعفته ( ويتحدث عن الخير وشرها )

فالمقصورة تحوى اشارات تاريخية وأدبية وحكما ووصفا للفرس والسحاب والمرأة والخمر فهي تجمع أغراضا بجانب ذلك الفخر والصلابة أمام النوائب وهذا شئ جديد في الأدب العربي لم يسبق أحد ابن دريد فيه

واقدم شهرت القصيدة شهرة عظيمة وعارضها خلق وشرحها كثيرون ويقال أن شروحا بلغت خمسة وثلاثين شرحا ومن الذين شرحوا المقصورة ابن خالويه المتوفى عام ٣٧٠ هـ وهو تلميذ ابن دريد وربيعه بن محمد المعمرى والتبريزي المتوفى عام ٥٠٢ هـ والزحشرى المتوفى عام ٥٣٨ هـ والجواليقي المتوفى عام ٥٣٩ هـ ،

ومحمد اللخمي وعبد الله بن عمر الحضرمي وعز الدين بن جماعة ومحمد بن خليل  
الاحساني المتوفى عام ١٠٤٤ هـ

وقد ختمت المقصورة ومن ختمها سعد بن علي الاربلي ، وتخميمس لعبد الله  
بن عمر الانصاري الوزير وتخميمس للحسين وتخميمس للطاهر فخر الدين وتخميمس  
للبلال جرجيس وقد كتب عن المقصورة وتاريخها دكتور أحمد الشرباصي وأحمد  
عبد الغفور العطار ودكتور مهدي علام ودكتور أنيس المقدسي

وقد استعنت في الحديث عن المقصورة بأحسن شروح المقصورة وهو شرح  
المقصورة للخطيب التبريزي وهو مطبوع وشروح المقصورة للزحشري الذي نشر  
مع مجموعة أعجب العجب في شرح لامية العرب وشرح المقصورة لمحمد بن هشام  
اللاخمي وهو مخطوط بمكتبة محافظة الاسكندرية تحت رقم ١٢٨٨ وهو من أحسن  
شروح المقصورة وذكرت نموذجا من نماذج تخميمس المقصورة وهو تخميمس  
المقصورة لمحمد بن الملا جرجيس وهو مخطوط بمكتبة محافظة الاسكندرية ومكتوب  
يقلم عادى وخط جميل سنة ١٢٣٢ هـ تحت رقم ١٧٣٧ - د

وتختلف الروايات في بداية المقصورة فأكثر الروايات تورد بداية  
المقصورة بهذا البيت :

أما ترى رأس حاكى لونه طرة صبح تحت أذيال الدجى  
ولكن أغلب شارحي المقصورة يذكرون أولها :

يا ظبية أشبه شيء بالمها نرى الخزامى بين أشجار النقا

هذا ما وجدته في شرح الزحشري والتبريزي وابن هشام اللخمي . وقد ذكر  
في مقدمة شرح المقصورة للتبريزي - عن المخطوطة التي صرحت منها الطبعة :

وقد انفتح الشارح المقصورة بقوله :

أما ترى رأسى حاكى لونه طرة صبح تحت أذيال الدجى

ياظبية أشبه شئ بالمها ترعى الخزامى بين أشجار النقا

ولم يفتتحها بقوله : ياظبيه لأنه قال أنه فى حانية الاصل ليس هذا مفتتح القصيدة فى أثير الروايات فإن المفتتح قوله :

ياظبية أشبه شئ بالمها ترعى الخزامى بين أشجار النقا  
وعليه أثير الشروح .

قال محمد زهر شاويس مصحح شرح التبريزى « الصحيح أن البيت المذكور من مقصورة أخرى لآلن الانبارى :

وفىها : ياظبية أشبه شيئاً بالمها ترعى الخزامى بين أشجار النقا (١)

ونجد محمد بن هشام اللخمي يفتتح القصيدة بقول ابن دريد :

ياظبيه أشبه شئ بالمها ترعى الخزامى بين أشجار النقا

وبعد أن يشرح البيت يقول : « وهذا البيت لم يثبت عليه أكثر الروايات وإنما وقع به رواية شاذة وهى رواية أبى اسحاق بن محمد (٢) . ولقد رأيت أغلب الشارحين للمقصورة يبدأون القصيدة بالبيت :

ياظبية أشبه شئ بالمها ترعى الخزامى بين أشجار النقا

وربما جاء اختلاف مفتتح المقصورة باختلاف الروايات كما ذكر ابن هشام

(١) شرح مقصورة ابن دريد للخطيب التبريزى طبع دمشق ١٩٦١م (المقدمة)

(٢) شرح مقصورة ابن دريد : محمد بن هشام اللخمي : مخطوط مكتبة بلدة

للخمي ولا نرجح ما ذكره شاديش من أن هذا البيت لابن الأنباري فهو متأخر  
عن ابن دريد .

وقد كتب الدكتور أنيس المقدمي بحثاً جيداً عن المقصورة الدريدية وقسمها  
إلى مواقف خمس (١) .

فالموقف الأول الأول : الشاعر وا . هر يفتتحه بمخاطبة عادة خيالية في البيت  
يا ظبية أشبه شيء بالمها

وفي نحو ثلاثين بيتها ما يشعر به من وطأة الزمان عليه ولكنه يغتفر كل ذلك  
بالنسبة إلى ما أصابه من فراق الأحباب .

فكل ما لاقته مغتفر في جذب ما أسأره شحط النوى

ولكن ما ذكره الدكتور أنيس المقدسي يحتاج إلى تحايل . فابن دريد افتتح  
المقصورة على عادة الجاهلين في مخاطبة عادة خيالية وقد شبه ابن دريد هذه المرأة  
وجعلها ظبية على الانساع . وجعلها مثل المها وهي أما أنها تكون كالشمس في  
ضياؤها أو هي قرة الوحش في حسن عينيها أو بالبلورة في بياضها . (٢)

وهو يذكرنا بأن الزمن قد أخذ منه حياته وأن رأسه قد اشتعل شيباً ويشبه  
الشيب في اشتعاله بالرأس مثل اشتعال النار في شجر له حجر ثم يشبه الشيب  
أيضاً بالليل البهيم الذي دخل إليه ضوء الصباح فأجلاه ، وهذه صورة جميلة لقد  
ذهب الشباب ولا مرد له وذيل زهر الشباب - وهو لا يستكين للصائب بل هو

(١) المقصورة الدريدية بقلم الدكتور أنيس المقدسي - مجلة المجمع العلمي بدمشق  
أبريل سنة ١٩٧٠ م

(٢) شرح مقصورة ابن دريد لمحمد بن هشام اللخمي مخطوط ص ٣

جلد في كل مقصورة وهو يبين أنه مارس كل أنواع الهر والسعادة ويقول أبو علي  
القبلي أن الله غاقبه بقر له .

مارست من لو هرت الافلاك من

جوانب الحو عليه ماشكا

وهو يكتب المقصورة ليخرج ماجاش في صدره ويعبر عما يكن به قلبه من  
ظروف مرت عليه

لكها نفسه مصدور إذا جاش لغام من نواحيه غما

ويالتفت إلى الدهر - من يقابل مراغا - ولكن المرء لا يستطيع قوة القضاء  
التي لا ترد فحكمه لا يرد فيقول متجادا :

رضيت قسراً وعلى العسر رضى من كان ذا سخط على صرف القضاء

وهو لم يجر عليه لزمان وحده بل جار باعلام التاريخ برغم ما كانوا عليه من  
عز وهو ينتقل إلى الاشارات العامة التي نطينا معلومات مهمة عن عظماء الرجال  
فيذكر ادرى القليس وقصته في التاريخ وكان قد طرده أبوه عندما احترق نظم  
الشعر فكان ينتقل في أحياء العرب ويتابع الصعايك منهم وكان أبوه ملك بني أسد  
ففسدهم عسنا شديداً فتحالفوا عليه فقتلوه (١)

ويندكرنا بابو الجبر وهو رجل من كندة وكان من الملوك وقد خرج إلى كبرى  
يستعديه على قرة فأعطاها جدينا ولكنه قننى عليه ، وابن الأشج وهو عبد الرحمن  
بن الأشعث بن قيس الكندي وكان الحجاج قد ولاه مدينتان فخلع الحجاج رأته

أهل العراق ومنهم الشعبي وقاتل الحجاج مدة طويلة وغدر بابن الأشج  
وأسلم إلى الحجاج وكان قد قرن إلى رجل من بني تميم بسلسلة فلما كان في بعض  
الليالي قال للتميمي قم معي فأنزل فلما قام مده أشرف من القمة إلى الأرض فقال  
له التميمي ما تصنع أيها الأمير قال الساعة أعلمك ثم رمى بنفسه فوقع هو  
والتميمي فأتا جميعاً ، (١)

ويذكرنا بالوضاح وهو جذيمة بن مالك بن فهم الأزدي . وكان أبرص  
فهابت العرب أن تقول الأبرص فقالت جزيمة الأبرش وقد استطاعت الزباء  
أن تقتله ، ويزيد بن المهلب بن أبي صفرة وقد خرج على بني أمية وخطب له  
بالبصرة ولكن بني أمية استطاعوا قتله ، وانتقم عمرو بن ربيعة بن نصر بن أخت  
جزيمة الأبرش لخاله واستطاع الوقعة بالزباء بخداعة ، وسيف بن ذي يزن الذي  
أذاق الحبش ألواناً من العذاب ولكنه هزم .

ويذكرنا بيزم ( أوارات ) وهو يوم من أيام العرب وقد وقع هذا اليوم  
بين بني تميم وعمرو بن مده الذي قتل منهم كثيراً .

ونلاحظ عاطفة ابن دريد تذكرنا دائماً بأعلام التاريخ وأكثرهم من اليمن  
بلاده العزيزة التي يفخر بها وبأعلام التاريخ منها .

وبعد أن ينتهي من سرد هذه الأحداث التاريخية وأعلام التاريخ الذين كانوا  
ذاقاً فجار عليهم الزمن ينتقل إلى ذكر الموقف الثاني : فيفخر بمضاء العزم  
وشدة البأس ويقسم بالنياق وهي تحمل الحجاج إلى الحج ويصف هذه النياق



وسيرها في الصحراء وراكبها وقيامهم بواجبات الحج (١) ، يقول ابن دريد في صف النياق :

خرص كاشباح الخنايا حند يرعن بالانشاج من جذب البرا  
يرسبن في بحر الدجى وبالضحى يطفون في الآل إذا الآل طفا

وينتقل إلى وصف النبل ويقسم بهذه النخيل التي تحمل الفرسان إلى الحرب والجهاد :

يقول في وصف فرسانها

يحملن كل شمري باسل شهم الجنان خائض غير الوغى  
يغشى صلا الحرب بحمديه إذا كان لظن الحرب كربه المسمطل

ويقسم بكرام العرب الذين كانوا مثلاً للشجاعة والكرم ويخلص من كل هذا القسم ليصف بأسه ومضاء عزمه وشجاعته وأنه سيظل أبداً متعباً للحرب حتى يورى في الثرى مادام معه أصحابه حصانه وسيفه :

وصاحباي صارم في مثنه مثل حذب النحل يعلو في الزبي  
أبيض كالملح إذ انقضيته لم يلق شيئاً حده إلا فري  
ويصف حصانه بقوله :

ومشرف الأقطار خاط تحفة حابي القيصرى جرشع عرد النسي  
قريب ما بين القطاه والمطأ بعيد ما بين القذال والصلا

(١) المقصورة الدريدية بقلم دكتور أنيس المقدسى . مجلة المجتمع العلمي بدمشق

ويسترسل في وصف الحصان ثم يقول عن الحيف والفرس إنها عتاده في الحياة وبها يستغنى عن جعله من الناس عدة له .

وينتقل إلى موقف ثالث : وهو حنينه إلى العراق التي ولد بها فهو الآن في فارس بين يني ابني ميكال فهو يبتذر عن مفارقتها للعراق فهو لم تهنأ له حياة يفارقهم كرها لا بغضا ولقد أكرمه ورعاه في غربته من أفاضوا عليه بكرمهم ويخلص من ذلك إلى مدح ابني ميكال وهو الهدف الاساسي للمقصورة ولكن مدحه لهما لم يتجاوز عشرين بيتاً من المقصورة وهو يمدح ابني ميكال اللذين كانا نعمة له وهما اللذان اظلاه تحت ظلمها ودفما بل إن الأمل بعد أن كان على شفا جرف هاو . وأصبحت الحياة بين الاميرين حياة حية وهي كالشجرة اخضرت أوراقها وصارت نزهة للناظرين وثمرة الآكسين يقول في مدحها :

حاشا الاميرين المذين أوقدا

على ظلا من نعيم قد ضفا

هما اللذان أنبتا لي أملا قد وقف اليأس به على شفا

ويقول أيضا

هما اللذان عمرا جانبا من الرجا وكان قدما قد عفا  
قلداني منة قرنت بشكر أهل الأرض عنى ماوفا

ويختتم مدحها بقوله :

نفسى الفداء لا ميري ومن تحت السماء لا ميري الفدا  
لا زال شكرى لهما مر اصلا لفظى أو يعتافنى صرف المنى

وبعد مدح الاميرين يعود إلى ذكرى العراق والتذكير بمكلم أهله وهو لم

يفارقهم غن كره لكنه يسير بعزمه ررباطة جأش يكافح في الحياة ويصبر على  
الخطوب ولوشاء لعاش في ظلال النعم والنعنى واللهم بصحبة غاوية لعوب تخفف  
عنه آلام الفراق ويصف هذه الغادة بتسعة أبيات أولها :

ولا عبثنى غادة وهنائه      تصنى وفي ترشاقها برى

ومح نعيب عليه وصف تلك الغادة فن صنائها عنده أنها لو نظرت إلى العابد  
في صومعته المقطع إلى عبادة الله تعالى لانشغل بها وذلك مالا ينبغي أن يقال عن  
عابد يخضع افتاء . وكيف يشغل العابد عن تبيح الله تعالى بنتاة ، هذا مقام كان  
لا ينبغي لابن دريد أن يقارنه بانشغال العابد بالغادة الحسناء . يقول ابن دريد  
في وصف الغادة الفاتنة .

لوشاحت الاعصم لا يحط لها      طوع القياد من شمارخ الذرى  
أو صابت القانت في مخلوق      مستصعب الملك وعمر المراتضى  
الهاه عن تسبيحه ودينه      تأئيسها حتى تره قله صبا

وهو لا يقطع فكره عن العراق فهو يتمنى أن يحمل الغيم الذى يسير الغيث  
إلى وطنه ويذكر مواطن بالبحرة مثل العميق والخرز والنحيث والمربد ويعدد  
مناخر قومه فهم ينتسبون إلى أصل عظيم ويصله إلى النبی صلى الله عليه وسلم  
فيقول :

صلى عليه الله ماجن الدجى      وما جرت في فلك شجر الصخر

ثم يصف المطر وصفاً رائعاً فقد نزل المطر وتمنت كل بفعلة أن يحترقها  
وينزل اليها بالخير فإذا اختفت بروقه ظهرت ريح الصبا تحمل الخير وتؤذن  
بالغيث وإذا فترت وعوده حضها سائق من الجنوب فحدث فهو مطر كثير  
الخير وكأنها البیداء آخر صوب هذا المطر ، يقول في وصف المطر :

وطبق الأرض فكل بقعة      منها تقول الغيث في هاتا ثرى  
إذا خبت بروقه عنت لها      ريح الصبا تشب فيها ما خبا  
وإن دنت رعوده حدا بها      راعى الجنوب فحدث كاحدا

ثم ينقل ابن دريد إلى نفسه كما يراها هو — يصف الشاعر نفسه بأنه مرفوع الرأس يتحدى الزمن لا يهن أمام الخطوب ولا ييأس وهو لا يضعف أمام تحديات الزمن أما أخلافه فيصفها بأنه يسالم من يسالمه ويعادى من يعاديه وهو ليس سهلا أمام معانده وهو ابن سهل إذا الوين وهو لا يطمع طمعا مدنسا فهو صاحب تجارب في الحياة وإذا خيف امرؤ لسرعته في الأذى لم يخف من مثل ذلك دون ضعف ولكنه يصون عرضه ويحفظ منزلته إذا احتاج إلى ذلك يقول عن نفسه :

لى التواء ان معادى التوى      ولى استواء ان موالى استوى  
خصمى شر ترى للعدو تارة      والراح والارى عن ودى انبقى  
ويقول أيضا :

ان امرؤ خيف لإفراض الأذى      لم يخش منى نزق ولا أذى  
من غير ما وهن ولكنى أمرؤ      أصون عرضا لم يدنس الضنا

ثم ينظر إلى الناس والزمان بعين الحكيم الخبير ذاهبا فيها مذهب الامثال البليغة ونلاحظ عنده نوعا من التشاؤم يبدأ وصفه للناس بقوله :

والناس كالنبات فمنهم رائق      فضرِب نضير عوده والجنى

ويهمنا هنا تلك الحكم الرائعة عن الزمن فتستمع إليه يقول :

من لم يعظه الدهر لم ينفعه ما      راح به الواغظ يوما أو غدا

ويقول :

من عطف النفس على مكروهاها      كان الغنى قربته حيث انتوى  
من ضيع الحزم، جنى لنفسه      ندامه الذع من سفع الذكا

ويقول :

من طال فوق منتهى بسطته      أعجزه نيل الذمى بله القصا  
من رام ما يعجز عنه طوقه      ما لب يوم أحد مجزول المطا  
وهو بعد أن يصف الناس وأخلاقهم يحكم عليهم بأن أجادهم وأكارمهم مثله  
بالنسبة إلى سواهم فهو يقول :

إن نجوم المجد امتست أفلا      وظله الفالص اضحى قد ازى  
إلا بقايا من أناس بهم      إلى سبيل المكرمات يفقدى  
ثم ينتقل بنا فجأة ويصف لنا بعض مشاهد البادية ولعلمها رحلته التي قام بها  
من البصرة إلى فارس ، وهو يتذكر في غربته أيام شبابه في وطنه بين القيان  
والخمر والندامى ويصف الخمر وصفا رائعا فيقول :

يارب ليل جمعت قطريه لى      بنت ثمانين عروس يختلى  
لم يجعل الماء عليها امرها      ولم يدنسها الضرام المحتضى  
حينما هى الداء وأحيانا بها      من دائها إذا يهيج يشقى  
قد صانها الخمار لما اختارها      ضنا بها على سواها واختبى

ويختتم المقصورة بحلاصة تجاربه في الحياة فقد نال كل شيء فيها فاذا مات فقد  
أخذ كل شيء وان عاش عاش صلبا لا يتن ولا يخضع لنوائب الزمان .

يقول في ختام المقصورة :

فان امت فقد تناسحت لذتي      وكل شيء بلغ الحد انتهى

ولأن صاحبه دهرى عالما      بما إنطوى من صرفه ما انثى  
حاشا لما أسأره في الحجا      والعلم إن اتبع رواد الخنا  
أو ان ارى لنكبة محتضا      أو لابتهاج فرحا وقد زهى

هذه هي مقصورة ابن دريد التي يمدحها الدكتور انيس المقدسى ويقول انها  
تمتاز في التعبير بحسن المقصور للمعاني معتمدا بجوانح التشابه والاستعارات  
والدقة في استعمال اللفظ المناسب والذي ينعم النظر إلى شتى مواقف المقصورة  
يتراعى له صاحبها من خلال انتمالاته رجلا أبى النفس مرهف الحس ذا مقدرة  
عجيبة على نجسيم المعاني بصور رائعة وبجبارات وألفاظ وحكمة (١).

ولقد رأينا المقصورة الدريدية تنتشر في دوائر الادب ويعارضها كثيرون  
وأول من عارض ابن دريد في مقصوده كما رأينا من قبل التنرخى الانطاكي  
وقد مدح الانطاكي بمقصوده تنوخ وقوه من قضاة وأولها :

لولا انتهائى ولم اطع نهى النهى      أى مدى يغلب من جاز المدى  
إن كنت قد افصرت ما اقصر قلب      داميا تدمية ألاحظ الدمى  
أما أشهر المقصورات بعد ابن دريد فهي مقصورة أبو الحسن حازم بن حازم  
ابن محمد بن خاف بن حازم الأندلسى المتوفى عام ٦٨٤ هـ ومقصوده بلغت حوالى  
الف بيت ونظمها للمستنصر ابن عبد الله وتثنى فيها بمدحه ومدح اخيه أبي يحيى  
ومطلع مقصورة حازم :

لله ما هجيت يا يوم النوى      على فؤادى من تباريح الجوى

(١) المقصورة الدريدية لانيس المقدسى : مقال بمجلة مجمع اللغة العربية  
بدمشق ١٩٧٠ ص ٢٦٨ .

وهالك مقصورة نسبت إلى أبي صفوان الاسدى فى كتاب الامالى لأبى على  
القالى ومطلع هذه المقصورة .

نأت دار ليلي وشط المزار لما رأى من حسنها ما قد رأى

ومن العصر الحديث نجد قصيدة المقصورة لمحمود سامى البارودى المتوفى  
عام ١٩٠٤ م وقالها يصف المزارع ومطلعها :

هجرت ظلوم وهجرها صلة الأسى ضحى يحوم على المتيمم باللقا

ويختمها بقوله :

والقطن بين ملوز ومنسور كالنبادة ازدانت بأنواع الحلى  
فكان عاقده ككرات زمرد وكان زاهره كواكب فى الردى

ومن أصحاب المقصورات فى العصر الحديث أيسار رشيد رضا ونظمها عام  
١٨٩٧ م يهنئ الشيخ عبد القادر المغربى عندما تزوج من أسرة علم الدين وعدد  
أبيانها ١٢٩ بيتا وأول المقصورة :

تبارك البارى مبدع الورى بالحق والحكمة عن ظهر غنى

ومن حكمه فيها :

ومن يهن هان عليه قومه وعرضه ودينه الذى ارتضى

وإذا كان ابن دريد له صاحبان السيف والحصان فإن رشيد رضا له صاحبان  
هما الروضة والكتاب يقول :

وصاحبى دفتر فى متنه مثل مذب النحل يسعى فى الربى

وقد مدح رشيد رضا فى مقصودته جمال الدين الافغانى والشيخ محمد عبده ،

وعبد القادر المغربي على خلاف ابن دريد الذى مدح ابنى ميكال . « ولقد أعجب  
البارودى بمقصورة رشيد رضا وفضلها على مقصورة ابن دريد ، . (١)

بقيت لنا خمس المقتورة ونختار نموذجاً لها وهو تخميس المقتورة  
الدريدية وخمسمائة محمد سعيد الجوارى وهو مخطوط بمكتبة محافظة الإسكندرية  
— وخط المخطوطة جميل جداً وواضح ويتحدث الخمس فى مقدمة التخميس «لأنه  
لما رأى قصيدة ابن دريد شهيرة بين الفضلاء والأعلام جامعة لكل معنى غريب  
وظرف عجيب لم يسبقه إلى النسخ على منوالها سابق (٢) ، فقد ذكر محمد سعيد  
الجوارى أن محمد الرضا المشهدى الشاعر قد خمسمائة وصرف المدح عن الأميرين  
ابنى ميكال إلى الحسن والحسين رضى الله عنهما فخطر له أن يصنع صنيعه أى  
يصرف المدح عن ابنى ميكال إلى سيدى شباب أهل الجنة — الحسن والحسين —  
رضى الله عنهما ويبتدى التخميس بقوله :

ولى الضبا ومبدأ الغى انتهى  
فحيث وجهت الفؤاد ما انتهى  
حكم النهى نهى فما قوم بها

بأظبية أشبه شىء بالمها

رائعة بين العقيق والا — وى

ومن تخميسه ويقول فى مغايرة مدح ابنى ميكال إلى الحسن والحسين —  
رضى الله عنهما :

(١) المقتورة فى الأدب العربى : دكتور أحمد الشرباصى ص ٦٧

(٢) تخميس المقتورة الدريدية بمحمد سعيد الجوارى (مخطوط) ص ٢



أن العراق لم أفارق أهله

عن شئنا صذني ولا قلبي

اسكن الظلم بعضهم هجرتهم

وحزب آل المصطفى عاهدتهم

فلم يطب عيش قذ فقد نهم

ويقول :

أن كنت أبصرت لهم

من بعدهم مثلاً على وخز السفا

لا أرتجى يوم القيامة أحدا

يشفع لي إلا الرسول أمددا

ولست أرجو غيره لي مندا

## أخبار ابن دريد ( مخطوط )

وهذا مؤلف آخر لابن دريد مازال مخطوطا وقد اطلعت على نسخة كتبها احمد بن الامين الشنقيطي ، والمخطوط يتبع في حوالى سبعة عشر صفحة وقد احيى بعض صفحاتها وكتبها الشنقيطي بخط غير واضح ، والكتاب مجموعة من أخبار رواها ابن دريد عن ابن أخى الاصمعي أو عن أبى حاتم السجستاني والعتيبي وكلهم شيوخه وهذه الأخبار تتناول بعض الروايات عن العرب ونواديرهم وبذكر بين هذا وذاك طرفا من الشعر لبعض فحول الشعراء أو يروى أحيانا أخبارا عن قدوم بعض الأعراب على الخلفاء الأمويين ، ونستطيع أن نقول ان الكتاب مجموعة من الأخبار الأدبية أو القصص تشبه إلى حد ما أحاديثه التى انشرت فى كتاب الامام والى رواها عنه أبو على الفاي واعترفا بعض الباحثين المحدثين مثل دكتور زكى مبارك ودكتور مصطفى الشكعة مقدمة الذئبة فن المقامات . ولكنا نعجب إذا رأينا ابن دريد يذكر موضوعات لغوية كلها تتصل بالشعر والأدب اتصالا مباشرا فى بعض الأحيان ولا تتصل به فى بعضها الآخر ، وهو يذكر بابا للحروف التى جرزتها العرب أو غلطت فيها وباب ماجاء بمجموعا وإنما هو اثنان ، وكتاب الإبدال والمعاقبة والنظائر ، وهذه المجموعة اللغوية السائرة نابع عن مقدرة لغوية بارعة عند ابن دريد ولكننا نعتب عليه ذكر هذه الأخبار اللغوية فى كتابه هذا وكان من الأفضل له ان يضعها فى معجم الجهرة الذى خلا من ملاحق نحوية وقد خطأ فيه ان جنى بعيوبه العرفية الكثيرة ، ولم يذكر ابن دريد سبب تأليف الكتاب أو منهجه فيه وأغلب الظن ان المخطوط جزء من كتاب ضاع بعض ما كتبه وبقي بعضه الآخر ولذلك نجده لا يذكر منهجا ، يدخل فى ذكر الأخبار مباشرة دون تمهيد على عكس ما عهدناه فى كثير

من كتبه التي قدمنا ذكرها . ونجد خاتمة السكتاب مبنورة بعض الشيء فهي  
لا شيء عن نهاية الكتاب ونحس في النهاية روح ابن دريد اللغرية وكأنها تريد  
أن تقول لنا شيئاً جديداً ولكن الزمن يسلب منه ما كتب وهذه الروايات  
والاخبار التي رواها عن أساتذته تقص لنا طرفاً من أخبار العرب تمتلئ بالغريب  
والخواشي ونعتقد أن ابن دريد ذكر هذه الأخبار والروايات لفرض تعليمي  
كما فعل في المصنوع الكبرى وفي أحاديثه التي ذكرها أبو علي القالي في كتابه الامالي  
وكذلك مئة ورته الصغرى .

#### نماذج من الكتاب وتحليل بعض مواده :

يبتدىء الكتاب برواية عن عبد الرحمن بن أخي الاصمعي « اخبرنا ابن  
دريد قال حدثنا عبد الرحمن عن عمه قال ضجر اعرابي من أهله وولده فتوجه بهم  
نحو خيبر يعرضهم لحماها وأنشد :

فقلت لحي خيبر استعدي هذا عيالي فأجهدى وجهدى  
وباكرى بمال ودود اعانك الله وعلى ذي الجند

قال فعرضت له الحي من بينهم فمات وبقي عياله (١) .

وقد ذكر ابن دريد بعض العظات فقد ذكر « رواية عن أبي حاتم قال  
اخبرنا محمد بن عبد الله العتبي قال حدثنا ابن هرون قال دخل عمرو بن عبيد على  
المنصور وعنده المهدي فقال له عمرو : من هذا يا امير المؤمنين فقال هذا ابن  
امير المؤمنين وولي عهد المسلمين فقال عمرو يا امير المؤمنين أراك قد ربطت له

---

(١) اخبار ابن دريد ( مخطوط ) مكتبة كلية الآداب جامعة الاسكندرية

رقم ( ١٠ م ) تأليف محمد بن دريد بقلم أحمد بن أمين الشنقيطي ص .

أمر أسيعز إليه وأنت عنه مشغول فاستعبر فقال يا أبا عثمان عظمى فقال يا أمير المؤمنين إن الله أعطاك الدنيا بأسرها وأنشد نفسك منه ببعضها ، فإن هذا الأمر الذى أصبح فى يديك لو بقى فى يد من كان قبلك لم يصل اليك فأحذر ليلة تمخض بيوم لا ليل بعده ، ثم قرأ : ( ألم تر كيف فعل ربك بعباد ) أرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد (١) ، فنزل عن سريره ووضع خده بالأرض (٢) .

ويذكر لنا فى رواية أخرى عن العسكى قصة مروية عن عمر بن الخطاب مؤداهما أن عمر سافر فى تجارة من الشام ونازعه بعض البطارقة وتعاركا سويا وهرب عمر بعد أن شج رأس الطريق ودخل ديرا آخر وأكرمه أحد الرهبان وذكر له أنه قد علم من الكتاب أنه سيكون له شأن فأشترط عليه أن يكتب له كتابا بأن الدير له إذا فتح الله للدين الجديد هذه البلد ومن فيها واعطاها أمانا وتركه ، ويمضى الزمن ويأتى الاسلام ويصبح عمر بن الخطاب رضى الله عنه خليفة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ويتولى الخلافة ويقوم المساوون على البلدة ويأتى الراهب اليه بالكتاب ويعرفه عمر بن الخطاب ويوفيه حقه .

أما ما ذكره ابن دريد من بعض الدقائق اللغوية فهى لفظة كريمة من ابن دريد ، نراه مثلاً يذكر فى باب ما جاء مجموعاً وإنما هو اثنان أو واحد فى الأصل : قالوا : رجل عظيم المناكب ، وإنما له منكبان ، ورجل ذو لباب ورجل غليظ المشافر وشديد المرافق وضخم المناخر ، وعظم البآدل (٣) ،

(١) سورة الفجر من الآية ٦ إلى الآية ٨ .

(٢) أخبار ابن دريد (مخطوط) كلية الآداب جامعة الاسكندرية رقم

(١٠٠ م) ص ٤ .

(٣) نفس المصدر السابق ص ٧ .

وذكر في كتاب الابدال والمعاقبة والنظائر قال : « هذه الحروف والابدال  
والمعاقبة والنظائر ، منها ما يجوز بعضه مكان حرف واثنين وثلاثة وليس كل  
الحروف كذلك الواو والالف والياء : تقول أنتيك من علا ، ومن علو ، ومن  
على ، فهو يستشهد بعصر الاحتجاج فيذكر قول امرؤ القيس :

كجاود صخر حطه السيل من عل

ومن النظائر جعل اكل حرف بابا فغال في باب ( الحاء والخاء ) يقال رحمة  
ورخمة ومرحوم ومرخوم ومنه فضحته وفضخته ، ويستشهد بالقرآن الكريم مثل  
قوله تعالى ( فيها عينان نضاختان ) (١) ، وفي باب ( الزاي والسين والصاد )  
بزق وبسق وبسق ، هو البزاق والبصاق والبساق ، وقد لزق ولصق ، ويقال في  
اسنانه رصص ولصص ، وفي الباب الحروف التي جوزتها "عرب أو غلطت فيها  
يذكر غلط بعض الشعراء أو تجاوزهم في المعنى مثل قول الاسود بن يعفر : من  
صنع داود أبي سلام ، يريد سليمان ، وقال الخطيئة :

فيها الرماح وفيها كل ساقية

جدلاء مبهجة من نسيج سلام

يعنى سليمان ، (٢) .

أية ما يكون الامر فالكتاب مجموعة من أخبار أدبية ومجموعات لغوية  
ورائعة تبين سمعة الاعلاء في علم اللغة وإن كان موضوعها يستحق أن يكون في  
معجم وليس في كتاب مثل هذا الكتاب ،

(١) مقودة الرحمن الآية ٦٩ .

(٢) أخبار ابن دويد ص ٨ و ٩ و ١٠ ( مخطوط ) :

هذه هي أهم مصنفات ابن دريد التي وصلت إلينا ونحن نستثنى جمهرة اللغة منها لأن لها بحثا خاصا وقد ضاعت بعض كتب ابن دريد فلم يتم بعضها مثل كتاب ( غريب القرآن ) وقد حفظت بعض مصادر الأدب نصوصا من كتب ابن دريد ، لقد نقل جلال الدين السيوطي في المزهرة نصوصا من كتاب الامالي وكتاب الوشاح لابن دريد ونقل أبو علي الفاي نصوصا من كتاب المتناهي في اللغة لابن دريد أيضا ، وفي مظهر السيوطي (١) قال ابن دريد في أماليه : « أخبرنا عبد الرحمن عن عمه عن الأصمعي قال : سمعت صبيبة بهمى جزبه يتراجزون فوقفت وصدوني عن حاجتي وأقبلت أكتب ما أسمع إذا أفبل شيخ فقال أنكتب لكلام هؤلاء الافزام الادناع » .

وفي المزهرة أيضا قال ابن دريد في أماليه « حدثنا المكي عن أبيه عن سابط ابن سعد قال كان أكتهم بن صيفي يقول : رب عجلة تهب ريثا ادرعوا الليل فان الليل أخفى للويل ، المرء لا يعجز لا المحالة ، لا جماعة لمن اختلف » (٢) .

وفي شرح شواهد المغني للسيوطي أيضا نصوص لكتاب الوشاح الذي صنفه ابن دريد ويتضح من نصوص الكتاب أن ابن دريد ألفه في شرح ألقاب الشعراء ، قال السيوطي عند حديثه عن النابغة الذبياني « قال ابن دريد في الوشاح ، وسمى النابغة بقوله :

رحلت في بني الغي بن جسر

فقد نبغت لنا منهم شؤون

(١) المزهرة في علوم اللغة لجلال الدين السيوطي ج ١ ص ١٤٠ .

(٢) المزهرة في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي ج ١ ص ٥٠١ .

وعن عمرو بن كلثوم قال ابن دريد في الوشاح كنيته أبو الأسود (١).

وفي المزهর للسيوطي حديث عن كتاب الوشاح يقول عن شعراء العرب  
« عقد لذلك ابن دريد بابا في الوشاح قال فيه امرؤ القيس بن حجر (أبو  
الحارث) وزهير بن أبي ساسى (أبو مججير) ونابغة بنى ذبيان (أبو أمامة)  
و (أبو عترب) واوس بن حجر (أبو شريح) (٢).

وقال في ذكر من لقب ببيت شعر قاله : « قال ابن دريد في الوشاح من  
الشعراء من غلبت عليهم ألقابهم بشعرهم حتى صاروا لا يعرفون إلا بها فمنهم  
منبه بن معد بن قيس بن عيلان بن نضر وهو اعصر وإبما سعى اعصر لقوله :

اعمير إن أباك غير لونه      مر الليالى واختلاف الاعصر

ومنهم عمرو بن سعيد بن مالك سمي المرقش لقوله :

اندار قفر والرسوم كما      رقص فى ظهر الاديم قلم (٣)

وذكر أبو على القالى أشهر تلاميذ ابن دريد من كتاب المتنهى فى اللغة  
لابن دريد نصا قال فى الامان « قال أبو بكر فى كتاب المتنهى فى اللغة : وهذا  
اعرابى أدخل قرداً إلى سوق الحيرة ليبيعه فنظرت اليه امرأة فقالت منخ فقالت  
هذه الآبيات : وشراحيل وشراحين وجبرئيل وجبرئين ويقال الصت الشيء.

(١) شرح شراهد المغنى للسيوطي ص ٢٩ و ٤٥ .

(٢) المزهر للسيوطي ج ٢ من ٤٣٤ إلى ٤٥٦ .

(٣) المزهر للسيوطي ج ٢ ص ٤٥٦ .

اليصه الأصة ، وانصته ، انصية ، اناسة ، إذا أدركته (١) .

ونستطيع ان نستنتج من امتعراضنا لمؤلفات ابن دريد انه كتب كتابه الاشتقاق بدافع الغيرة على العربية والدين الاسلامي ، ويعتبر هذا الكتاب مصدرا هاما في ضبط الاعلام وبه أيضا نصوص شعرية وأخبار عن العرب الخلص وقد اوضح ان ابن دريد يتتبع أحداث عصره مثل الشعوبية وقد كتب كتابه هذا يبين اشتقاق الاعلام العربية مبتدئا بالرسول — صلى الله عليه وسلم — وهي ائمة كريمة منه وخلق صالح ينبيء عن روح دينية ، وفي كتابه المجتني نجده يختار مجموعة من الأقوال المأثورة مبتدئا بالرسول الكريم — عليه السلام — والخلفاء الراشدين ، وينفرد الكتاب بمجموعة من أقوال الفلاسفة والحكماء .

أما كتاب الملاحن فهو يستخدم فيه سعة اطلاعه على علوم اللغة فيحول الكلمة من معنى إلى آخر مستخدما الاضداد ، والمرادفات وقد اوضح من امتعراضنا لمواده ان الكتاب رغم ثرائه بمواد لغوية متقلبة المعاني إلا أنا نعيب عليه تساهله أو محاولة تيسير أمور الدين عن طريق مواد اللغة .

أما رسالته صفة السرج واللجام وصفة السحاب والغيث فتنبئ عن شخصية لغوية تهتم بالغريب وتشارك علماء عصرها في مراحل جمع اللغة الأولى التي أدت إلى ظهور فن المعاجم .

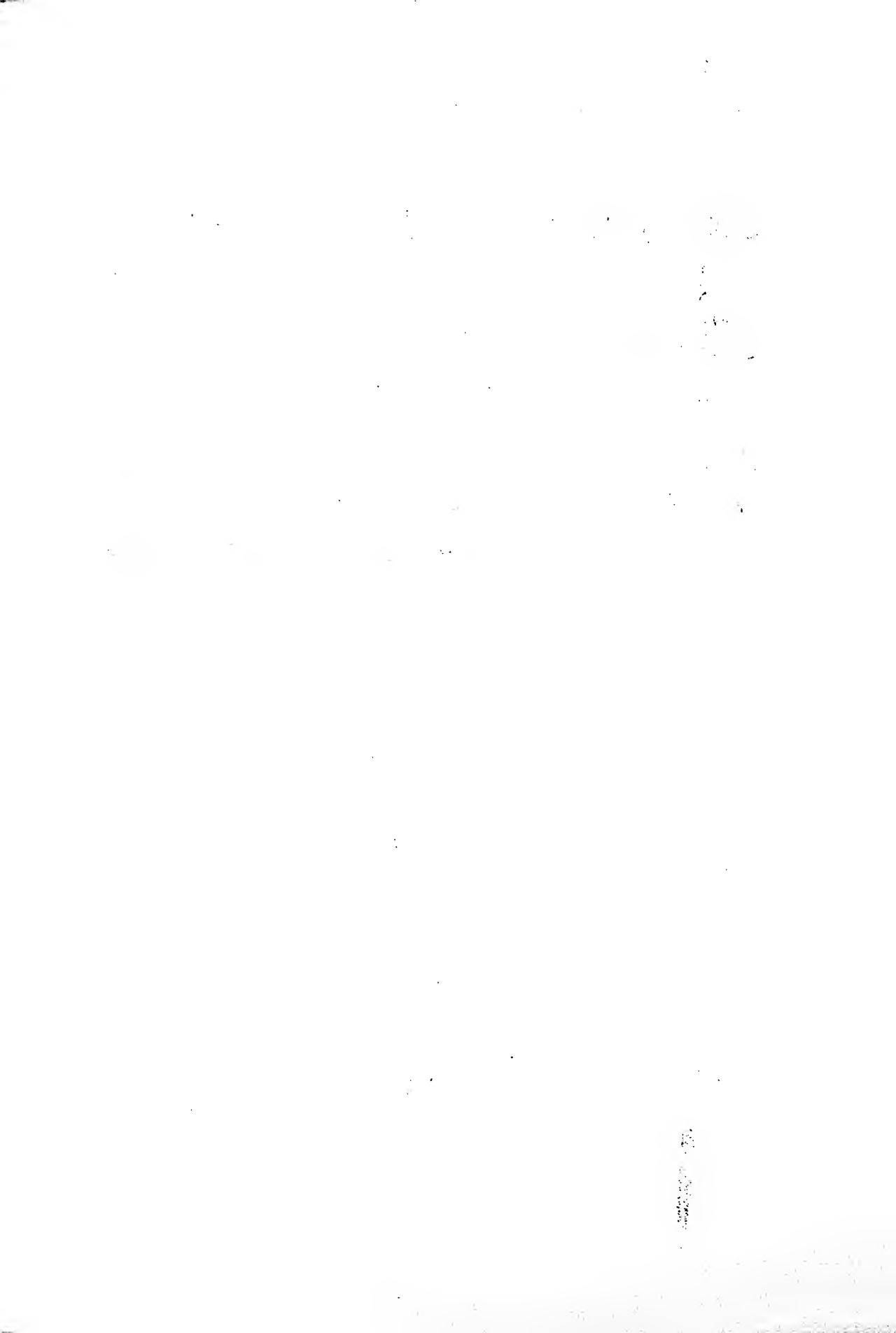
أما ديوانه فيكشف عن حسن مزاجه وعن علاقاته مع أقرابه فنجده يهاجم



نارة ويرثي أشهر العلماء الذين ماتوا في عهده مثل الشافعي والطبري ، ويكشف عن عاطفته القومية وانتصاره لقومه في عمان .

وأما كتاب أخبار ابن دريد المخطوط فقد جمع مواداً لغوية وأخباراً عن الأعراب وبه مجموعة من المواد اللغوية أشبه بما كتبه الأوائل في فقه اللغة .

وأما مقصوده فتكشف عن شخصيته الإنسانية فنجده يزهد في الدنيا ويذكر حكماً عن الزمان ونوائبه ويفخر بنفسه وهو يمدح ابنى ميكال شكراً لها على صنيعتها معه وسنتحدث الآن عن كتاب الجهرة .



# البَابُ الثَّانِي

## الفصل الثاني

كتاب جمهرة اللغة



## كتاب جمهرة اللغة

### مقدمة : نشأة المعجم العربية :

لم تهتم أمة بن الأمم إهتمام الأمة العربية باختها فحافظت عليها واعتزت بها وأحسن العرب بحال لغتهم ورقبيها واهتموا بها إهتماماً كبيراً فكانت العربية قد نضجت ، في أواخر العصر الجاهلي نضجاً كبيراً ، ونزل القرآن الكريم بعربية تعبر عن العربية البادية ، وكانت معجزة الرسول — صلى الله عليه وسلم — أن يتحدى بالقرآن الكريم قريشاً في لغتهم وميلان فخرهم ، ودخل الإسلام خلق كثير وأصبحت العربية اللغة الرسمية للعرب ، وللبلاد المنتزحة التي حاول أهلها تعلم العربية حباً في تعلم الدين الجديد الذي دخلوا فيه ، أو تلبية للفتاح المنتصر ، وكان التلاحم بين العرب وأهل البلاد التي فتحوها — ودخل ميدان العربية لهجات ولكنأت أعجمية — وكان الرقيق قد تسرب إلى بيوت سادة العرب وتسربت الموالى إلى الحياة العربية ودخلوا طبقة الجنودية وكان هؤلاء خطراً على اللغة العربية ، ووجد اللحن بمعنى الخطأ وذاع اللحن في إعراب الكلمات ، وفزع علماء اللغة وعلماء الدين ووجهوا وجهتهم أن يحافظوا على لغتهم نقية خالصة وكان العرب يرون أن العربية الفصحى النقية هي لغة البدو البعيدين عن الاختلاط بالعجم وكان الطريق إلى تعلم الفصحى هي معاشرة البدو واعتبر كل ما يقوله البدوي فصيحاً وكان القادرون من الناس يرسلون أبنائهم إلى البادية يتعلمون فيها الفصحى ، وظهر المؤدبون والمعلمون ، وظهرت فئة من العلماء كان همهم الأكبر العلم ، أمثال أبي الأسود الدؤلي وتلاميذه ، ورحل هؤلاء إلى البادية يسمعون من أهلها عربيتهم الفصحى ، وأشهر هؤلاء أبو عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد

والكسائي وتلاميذهم . ولما رأى بعض لاعراب تعلق العلماء والمؤدبين بأهل البادية هاجروا اليهم في مدنهم ومن أشهر هؤلاء الاعراب أبو مالك عمرو ابن كركرة وأبو نندام كلاب بن حمزة وأبو البيداء الرياحي وأبو الجاموس ثور بن زيد .

وكان السبب الرئيسى للاهتمام بالعربية ارتباطها بالقرآن الكريم وعلوم الدين وكان الهدف الاساسى لمعرفة اللغة آنذاك توضيح آيات القرآت الكريم أو تفسير غريبه ، وانتم اللغويون أيضا بالحديث الشريف اهتمامهم بالقرآن الكريم ، فحاولوا تفسير غريبه ، وفي أول العصر العباسى وضمت أسس العلوم العربية والدينية نقلياً مثل علوم القرآن الكريم والحديث الشريف والفقه والاصول والتجرو وعقلية مثل المنطق والكلام والفلسفة ، وظهر لنا علم النحو ، وكان يسمى أربا علم العربية وكانت هناك جهود ضخمة لضبط العربية المدونة من حيث الشكل والإعجام وظهرت بين هذا وذاك فكرة المعاجم كما سنرى .

ونرى أحمد أمين فى كتابه ضحك الإسلام يذكر أن جمع اللغة كان يسير فى مراحل ثلاث :

### المرحلة الاولى :

جمع الكلمات حيثما انفق فالعالم يرحل إلى البادية يسمع كلمة فى المطر وأخرى فى الزرع والنبات فيدون ذلك كله حسبها سمع .

### المرحلة الثانية :

جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد فى موضع واحد كالمحدث يجمع أحاديث الصلاة ويسمى كتاب الصلاة وأحاديث البيع ويسمى كتاب البيع . وتوجت

هذه المرحلة يكتب في الموضوع الواحد ألف أبو زيد كتباً في المطر واللبن ،  
وألف الأصمعي كتباً كثيرة صغيرة كل كتاب في موضوع .

### المرحلة الثانية :

وضع معجم يشمل كل الكلمات ليرجع إليه من أراد البحث عن معنى  
الكلمات (١) .

ويذكر الدكتور على عبد الواحد رافى تقسيماً يشبه هذا التقسيم ولكنه لا يذكره  
بمراحل فهو يقسم متون اللغة إلى ثلاثة أقسام :

(١) رسائل في طوائف خاصة من الألفاظ أو المعاني مثل كتاب أبي حنيفة  
في الأنواء والنبات وكتب يعقوب في النبات والأصوات والفرق وكتب أبي  
حاتم في الأزمئة والحشرات والطير وكتب الأصمعي في الدارات والسلاح .  
ثم يعقب على ذلك بقوله وهذا النوع من المعجمات كان أسبق في الظهور  
من النوعين الآخرين . فقد ظهرت بعض كتب منه في فاتحة العصر  
العباسي .

(٢) معجمات جامعة ترمى إلى بيان المفردات الموضحة لمختلف المعاني فنرتب  
المعاني بطريقة خاصة وتذكر الألفاظ التي تقال للتعبير عن كل معنى فيها ومن  
أشهرها كتاب الألفاظ لابن السكيت المتوفى عام ٢٤٤ هـ وثانيها الألفاظ  
الكتابية للهمداني المتوفى عام ٣٢٧ هـ ومبادئ اللغة للأسكافي المتوفى عام

(١) أحمد أمين : ضحى الإسلام : ج ٢ ، ص ٢١٤ - مطبعة النهضة

٤٢١ هـ ورابعها فقه اللغة الشعالبي المتوفى عام ٤٢٩ هـ وخامسها النخص لابن سيده المتوفى عام ٤٥٨ هـ .

(٣) معجمات جامعة ترمى إلى شرح معاني المفردات وترتب الكلمات ترتيباً خالصاً ليسهل على من يريد الوقوف على معنى أى كلمة الرجوع إليها فى موطنها (١) .

كانت فكرة المعجم (إذن لم تكتمل إلا بعد أن ظهرت رسائل فى غريب القرآن والحديث ورسائل خاصة فى المطر والحشرات والخيل وغير ذلك وكان سبب ذلك كما وضعنا الحفاظ على العربية من اللحن واختلاط العجم بالعرب وفساد ألسنتهم ثم حاجة العرب إلى معرفة ما غمض عليهم فى القرآن الكريم والحديث الشريف ، وكان هذا دافعاً قوياً للاهتمام بتلك الكتابات اللغوية .

أما المرحلة الأولى وهو ما كتبه العلماء فى الرسائل الخاصة وأهمها غريب القرآن وغريب الحديث فأول من يعزى إليه تأليف كتاب فى غريب القرآن عبد الله بن عباس رضى الله عنها ، المتوفى عام ٦٨ هـ ، ولكن معظم الباحثين يشكون فى نسبة الكتاب إليه (٢) ، وكتب فى غريب القرآن خلق كثير منهم فى القرن الثالث ، الضر بن شمیل المتوفى عام ٢٠٣ هـ والاصمعى المتوفى عام ٢١٣ هـ وابن سلام الجعفى المتوفى عام ٢٣١ هـ وابن قتيبة المتوفى عام ٢٧٦ هـ ونعلب المتوفى عام ٢٩١ هـ ، ولقد فقدت كتب هؤلاء العلماء ما عدا كتاب

---

(١) دكتور على عبد الواحد وافى : فقه اللغة ، ص ٢٨٠ ، الطبعة الثالثة .

(٢) المعجم العربى نشأته وتطوره : دكتور حسين نصار ، ج ١ ، ص ٤٨ .



ابن قتيبة المتوفى عام ٢٧٦ هـ فى غريب القرآن وهو يفسر فى كتابه الألفاظ الغريب ، ويستشهد علماء بكثير من الأشعار والأحاديث وأقوال العرب .

وفى القرن الرابع نجد كثيراً يكتبون فى غريب القرآن منهم المفضل ابن سلة المتوفى عام ٣٠٨ هـ وابن دريد المتوفى عام ٣٢١ هـ ولكنه لم يتم كتابه ، ونفطويه المتوفى عام ٣٢٣ هـ ، ومحمد بن عزيز السجستاني المتوفى عام ٣٣٠ هـ .

كانت حركة البحث عن غريب القرآن وتفسيره هى الحركة العلمية الأولى فى الإسلام وبدأت فى النصف الأول من القرن الأول وكانت تسير فى طريقين بانتظام ترتيب وفقاً للسور فى المصحف وهو أقدمها والترتيب الألف باقى .

أما غريب الحديث فقد ظهر متأخراً ، وأول من ألف فيه أبو عبيدة معمر ابن المثنى ، المتوفى عام ٢١٠ هـ ، ونحن نشك أن يكون لابن المثنى كتاباً فى غريب الحديث ، لقد نقده إبراهيم الحربى باحتوائه أحاديث لا أصل لها ، وقد كان أبو عبيدة مشهوراً بالشعوبية والتطاول على العرب والعربية ، ولقد فقد الكتاب وكتب النضر بن شميل المتوفى عام ٢٣٠ هـ كتاباً فى غريب الحديث أيضاً ولكنه لم يصلنا وفى القرن الثالث نجد من كتب فى غريب الحديث أبو عمرو الشيبانى المتوفى عام ٢٠١ هـ وقطرب المتوفى عام ٢٠٦ هـ والاصمبى المتوفى عام ٢١٣ هـ ، وألف أبو عبيد المتوفى عام ٢١٤ هـ كتاباً فى غريب الحديث أعجب به الباحثون وكتب ابن قتيبة المتوفى عام ٢٧٦ هـ فى غريب الحديث يقول فى مقدمته « وقد كنت زماناً أرى أن كتاب أبي عبيد قد جمع

تفسير غريب الحديث وإن الناظر فيه يستغن به ثم تعقبت ذلك بالنظر والتنقيش والمذاكرة فوجدت ما ترك نحواً مما ذكر فتلعبت ما أغفل وفسرته على نحو ما فسر وأرجو ألا يكون بقي بعد دذين الكتابين من غريب الحديث ما يكون لاحد فيه مقال ، (١) .

وفي القرن الثالث نجد ابراهيم بن اسحق الحربي المتوفى عام ٢٨٥ هـ يؤلف في غريب الحديث ويتبع فيه منهج أبي عبيد المتوفى عام ٢٢٤ هـ ، وابن قتيبة المتوفى عام ٢٧٦ هـ ، والمبرد المتوفى عام ٢٨٦ هـ وثلث المتوفى عام ٢٩١ هـ ، وابن كيسان المتوفى عام ٢٩٩ هـ .

أما القرن الرابع فنجد فيه من العلماء الذين كتبوا في غريب الحديث قاسم بن ثابت السراقسطي المتوفى عام ٣٠٢ هـ وأبو موسى الحارثي المتوفى عام ٣٠٥ هـ وابن دريد المتوفى عام ٣٢١ هـ وأبو بكر بن الانباري المتوفى عام ٣٢٨ هـ وابن درستويه المتوفى عام ٣٤٧ هـ (٢) .

أما أهم الكتب التي ألفت في غريب الحديث بعد ذلك ووصلتنا وتعتبر مصدراً لكل ما كتب قبل ذلك عن غريب الحديث كتاب الفائق في غريب الحديث الذي ألفه الزحشرى المتوفى عام ٥٨٤ هـ وقد قسم كتابه على حسب حروف المءجم فيذكر في المادة الحديث الذي يحتوى عليها ثم يشرح المادة ، ويستشهد عليها بأحاديث أخرى وبأقرآن الكريم وبالشعر .

(١) غريب الحديث : ابن قتيبة : مخطوط مكتبة البلدية رقم ٢٢٢٠ ب .

(٢) النهم ست : لابن النديم ، ص ١٣٥ ( جمع مؤلفي كتب الحديث في القرن الثالث والرابع ، أنظر ص ١٣٥ وما بعدها ) .

أما كتاب النهاية في غريب الحديث والآثار لابن الأثير المتوفى عام ٦٠٦ هـ وقد أخذ مادة هذا الكتاب من أكبر كتابين في غريب القرآن والحديث للروى المتوفى عام ٤٠١ هـ بعد تجريدتهما من غريب القرآن والزيادة عليهما من الكتب الأخرى، وكان الهروى المتوفى عام ٤٠١ هـ قد أراد أن يضم إلى الحديث الشريف فجمع (كتاب الغريبين) وسمي الهروى مادة كلها من الكتب السابقة عليه في القرآن والحديث مع الاختصار ولذلك قلل الشواهد وحذف أسانيد الأحاديث ولا شك أن تفسير الغريب في القرآن الكريم والحديث الشريف عمل له صلة أصيلة بالدراسة المعجمية، فإن أساس المعجم شرح لفظ من الألفاظ اللغوية وبدأ العرب بتفسير ألفاظ القرآن الكريم والحديث الشريف وتطور التفسير اللغوي إلى وضع المعاجم بهذا ذلك .

وبناك ناحية أخرى أحس بها علماء اللغة ذلك أن ألفاظاً ظهرت في معان جديدة، مثل الصلاة والزكاة والحج والصوم والوقف والبيع وكان لهذه الألفاظ اصطلاحات فقهية ومبانٍ لغوية أخرى فظهرت لنا كتب في معاجم الفقه، مثل كتاب الزاهر في غرائب الإمام الشافعي تأليف أبي منصور الأزهري صاحب التهذيب، والمتوفى عام ٣٧٠ هـ وقد ألف كتابه لشرح ألفاظ الإمام الشافعي معتمداً على كتاب جمع ألفاظ الشافعي وهو جامع إسماعيل بن يحيى المرني .

ومن الكتب الأخرى التي كتبت في الفقه وألفاظ كتاب المغرب في ترتيب المعرب، لابي الفتح ناصر بن عبد السيد المطرزي الخوارزمي المتوفى عام ٦١٦ هـ، وكتاب تهذيب الأسماء واللغات لمحي الدين بن شرف النووي المتوفى عام ٦٧٦ هـ وتشترك مثل هذه الكتب في أنها شرح لكتب معروفة من كتب الفقه فكثير من

الاستشهاد بالحديث الشريف وتقل من الاستشهاد بالشعر حتى أن بعضها يشبه كتب غريب الحديث . كما يشترك أكثرها في العناية بأسماء الفقهاء والمحدثين والامكان الواردة في الحديث وهي نغى باللفظ بالمعنى الفقهي ولا تورد شيئاً من مشتقاته إلا ما يوضح معناه ولا تفصل في المعاني اللغوية والنحوية .

ومن المؤلفات التي سبقت وضع المعاجم وكانت مقدمة لجمع اللغة كتب اللغات والعلمى والمغرب وكانت لغات القرآن الكريم أهم الكتب المؤلفة في ذلك المضمار ، وقد وصلت إلينا رسالة منسوبة إلى ابن عباس سرصى الله عنهما — تحت عنوان « كتاب اللغات في القرآن » ، ويشك كثير من الباحثين في هذه الرسالة المنسوبة إلى ابن عباس ، يقول الدكتور حسين نصار في كتاب المعجم العربى نشأته وتطوره « ويخيل إلى أن الكتاب يجمع بعض الرايات المعزوة إلى ابن عباس من عمل أحد الرواة المذكورة أسماءهم في صدر الكتاب وليس من عمل ابن عباس نفسه » (١) .

ووصلت إلينا رسالة أخرى منسوبة إلى أبي القاسم بن سلام ونشرت الرسالة مع تفسير القرآن العظيم لجلال الدين المحلى وجلال الدين السيوطى فى هامش الكتاب ، ويذكر كثير من الباحثين فى نسبة هذه الرسالة أيضاً إلى أبي القاسم بن سلام ، فصاحب الرسالة غير معروف وليس هو أبا عبيد القاسم بن سلام إذ لم تذكر له رسائل من هذا النوع ، ويعتبرون الرسالة صورة مخترعة من رسالة ابن عباس — رضى الله عنها — وقد اطاعت على الرسالة التى نشرت على هامش تفسير الجلالين ، هى تبدأ بمقدمة تبين نزول القرآن الكريم باسمان

(١) الدكتور حسين نصار: المعجم العربى نشأته وتطوره ج ١ ص ٧٣ .

قريش وأنه لو كان غير عربي ما فهموه ، « وما أنزل الله كتابا من السماء إلا بالعربية وكان جبريل عليه السلام يترجم لكل نبي بلسان قومه ، وذلك معنى قوله تعالى ( وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ) ، فليس ما وقع من السنة الامم أو سمع من لسان العرب في القرآن ليس فيه لغة إلا لغة العرب وربما وافقت بعض الملمات بعضها فالأصل والجنس فعربي لا يخاطه شيء (١) .

وتفسير الرسالة في منهجها مبتدئة بترتيب المصحف الشريف فتذكر ما ورد في القرآن الكريم من لغات العرب وهذه أمثلة لها ، ففي سورة البقرة قوله تعالى ( قالوا أنؤمن لك كما آمن السنهاء ) (٢) ، السفية الجاهل بلغة كنانة ، ومثل قوله تعالى في سورة البقرة ( لا شيء فيها ) (٣) ، لا وضوح بلغة أزدشنوة ، وفي سورة مريم قوله تعالى ( من الكبر عتيا ) (٤) نحولا بلغة حمير ، ( وتمتك سريا ) (٥) يعنى جدولا ، بلغة توافق لغة السريانية (٦) .

ومن الذين ألفوا في لغات القرآن الكريم الفراء المصنف في عام ٢٠٧ هـ

(١) أبو القاسم بن سلام : رسالة فيما ورد في القرآن الكريم من لغات

القبائل هامش تفسير الجلالين ج ١ ص ١٢٣ .

(٢) سورة البقرة آية ١٣ .

(٣) سورة البقرة آية ٧١ .

(٤) سورة مريم آية ٨ .

(٥) سورة مريم آية ٢٤ .

(٦) رسالة فيما ورد في القرآن الكريم من لغات القبائل : أبو القاسم بن

سلام ، هامش تفسير الجلالين ج ١ ص ١٢٦ - ١٣٠ .

والأصمعي المتوفى عام ٢٠٣ هـ ، وأبو زيد الانصاري المتوفى عام ٢١٥ هـ  
وابن دريد المتوفى عام ٢٣١ هـ ولم يتم كتابه .

أما لغات القبائل فينسب إلى يونس بن حبيب المتوفى عام ١٧٢ هـ كتابا وأبي  
عمرو أسحاق بن مرار الشيباني المتوفى عام ٢٠٦ هـ وكذا ألف في لغات القبائل  
الفراء المتوفى عام ٢٠٧ هـ وأبو عبيده المتوفى عام ٢١٠ هـ والأصمعي وأبو زيد  
الانصاري المتوفى عام ٢١٥ هـ وعمرو بن أبي عمر الشيباني المتوفى عام ٢٣١ هـ  
أما ابن دريد المتوفى عام ٢٣١ هـ فقد تخصص أمثلة تعالج اللغات الحقة  
بجمهرة اللغة .

أما كتب اللحن فأقدم كتاب وصل إلينا كتاب ينسب إلى الكسائي وقد  
كتب غيره في اللحن مثل الزبيدي الذي كتب في لحن العوام وكتب ابن السكيت  
المتوفى عام ٢٤٤ هـ كتابه لإصلاح المنطق وابن قتيبة المتوفى عام ٢٧٦ هـ الذي أفرد  
قسما من كتابه أدب الكاتب وهو ما سماه كتاب تقويم اللسان .

أما الرسائل التي كان لها دور كبير في نشأة المعاجم فهي الرسائل المؤلفة في  
الإنسان والحيل والابل وقد سبق ذلك كتب الفت في الحشرات .

وقد تعجب دكتور حسين نصار من سبب ظهور هذا النوع من التأليف  
سابقا لغيره من أنواع التأليف الأخرى ولكنه علل ذلك بقوله « أن القرآن ذكر  
طائفة من الحشرات كالنمل والنحل والذباب والعنكبوت والجراد والبعوض  
فكان لمنعرج القرآن مباحث وكلام فيها استمر على أنظار اللغويين » (١) .

أما كتب الحشرات فقد ألف أبو خيرة الأعرابي كتاب الحشرات ثم ألف

---

(١) المعجم العربي نساؤه وتطورها : دكتور حسين نصار ج ١ ص ١٤٣ .

أبو عمرو الشيباني المتوفى عام ٢٠٦ هـ كتابي النحل والعسل وأبو عبيدة  
المتوفى عام ٢١٠ هـ كتابي الحيات والعقارب ، والاصمعي المتوفى عام  
٢١٣ هـ كتابي النحل والعسل وابن الأعرابي المتوفى عام ٢٣١ هـ كتاب  
الذباب ، وأبو حاتم السجستاني المتوفى عام ٢٥٥ هـ كتب الحشرات والجراد  
والنحل والبال وألف أبو الحسن الاخنش الأصغر المتوفى عام ٢١٥ هـ كتاب  
الجراد .

ولم يصل إلينا كتاب مستقل من هذه الكتب وإنما نقل عنها أصحاب  
الموسوعات مثل ابن سيده المتوفى عام ٤٥٨ هـ في كتابه المختص والثعالبي المتوفى  
عام ٤٢٩ هـ في كتابه فقه اللغة :

أما كتب الخيل فاهتم بها علماء اللغة لما للخيل من أهمية عند العرب  
فهي أداة الأساسية في الحرب وأداة انتقاله وزينه في السلم وكتب اللغويون  
فيها تحت اسم الخيل أو خلق الفرس ، مثل النضر بن شميل المتوفى عام ٢٠٤ هـ  
وأبو عمرو الشيباني المتوفى ٢٠٦ هـ وقطرب المتوفى عام ٢٠٦ هـ وأبو عبيدة  
المتوفى عام ٢١٠ هـ وله ثلاث كتب في الخيل وأسمائها وحضرها . وكتب أيضا  
الاصمعي المتوفى عام ٢١٢ هـ والمنضل الضبي المتوفى عام ٢٢٨ هـ والرياشي  
المتوفى عام ٢٥٧ هـ .

وفي القرن الرابع نجد من كتب في الخيل مثل قاسم بن محمد الانباري  
المتوفى عام ٣٠٤ هـ والزجاج المتوفى عام ٣١٠ هـ والنسوري المتوفى عام  
٣٤١ هـ .

أما ابن دريد المتوفى عام ٣٢١ هـ فنجده يكتب مع اثنين أحدهما في صفة

السرج واللجام والأخرى في السحاب والغيث أما تليذه أبو على القالى المتوفى عام ٣٥١ هـ فيؤلف في الخيل بعامة .

وكتب الخيل يقسمها مؤلفوها تقسيما موضوعيا فهنا باب لأعضاء الخيل وآخر لما يستحب فيها وثالث لما يكره وقد ضاعت معظم هذه الكتب وبقيت رسالتنا ابن دريد وأحدهما تتحدث عن صفة السرج واللجام . وقد بقيت نصوص هذه الكتب ينقلها أصحاب الموسوعات كما قلنا ونجد ذلك عند الثعالبي في فقه اللغة وابن سيده في التخصيص والنويرى في نهاية الأرب .

أما الرسائل الأخرى التي مهدت لنشأة المعاجم العربية فهي كتب النوادر وأول كتاب في النوادر ينسب إلى أبي عمرو بن العلاء المتوفى عام ١٥٧ هـ ظهر في هذا الشأن وينسب إلى يونس بن حبيب المتوفى عام ١٨٢ هـ كتاب في النوادر أيضا .

أما القرن الثالث فقد امتلأ بكتب النوادر فقد ألف فيها اليزيدى المتوفى عام ٢٠٢ هـ وفطرب المتوفى عام ٢٠٦ هـ والفراء المتوفى عام ٢٠٧ هـ وأبو عبيدة المتوفى عام ٢١٠ هـ والأصمعي المتوفى عام ٢١٣ هـ وغيرهم من علماء القرن الثالث . وأهم كتاب وصلنا في النوادر بل أقدم هذه الكتب التي بقيت مع الزمن كتاب النوادر لأبي زيد الانصاري المتوفى عام ٢١٥ هـ وينقسم الكتاب إلى أبواب منها مجموعة خاصة بالانعر وأخرى بالزجل وثالثة للنوادر وهو يتم كثيراً بالشعر فكل من يذكر صاحب الأبيات وعمره جاهل أم أدرك الاسلام ويذكر الروايات المختلفة في الشعر ،



وكان يلتفت في شروحه إلى بعض المشتقات والتعبيرات الخاصة والدقائق اللغوية والنحوية والصرفية والعروضية . كما أنه كان يشرح معاني المفردات ويفسر المعنى الاجمالي ، ركان يستشهد في شرحه بشواهد أخرى من القرآن الكريم والشعر ويطلب على البابين الأولين من أبواب الشعر الإطالة والاستطراد وائس الحال هـكفا في الأبواب الأخرى الخاصة بالرجز والنوادر فقد كان أقل دقة في عزو الرجز إلى صاحبه وكثيرا ما يهمل التصريح باسم القائل وقد ينرد الرجز إلى قبيلة أو بطن من البطون لا إلى فرد معين وكان شرحه في هذا الجزء مختصرا عن شرح الشعر أما الفاظ النوادر فتتناول الفاظا وتعبيرات واستعمالات غريبة لا تجرى على القواعد المعروفة لا على اللغة الشائعة .

ومن أهل القرن الرابع من ألف في النوادر منهم الزجاج المتوفى عام ٣١٠ هـ وابن دريد المتوفى عام ٢٢١ هـ . وأبو علي القالي المتوفى عام ٣٥٦ هـ وأبو هلال العسكري المتوفى عام ٣٩٥ هـ .

أما كتاب النوادر لابن دريد المتوفى عام ٣٢١ هـ فقد ضيعه الزمن ولكنه بعد أن انتهى من ذكر أبواب الخماسى فى كتاب جمهرة اللغة ألحق به بعض الابواب وجعلها من النوادر وعزاها إلى أبى عبيدة وأبى زيد والاصمعى ، ونوادر ابن دريد عبارة عن نقول من كتب كان يأخذ منها ويروى فيها عن علماء اللغة السابق ذكرهم ومنهجه فى النوادر هو نفس منهج أصحاب كتب النوادر وقد جمع ابن دريد فيه ألفاظا غريبة ويأتى لها بشواهد من الشعر .

ويعتقد بعض الباحثين المحدثين أن هذا الملحق الذى ختم

ابن دريد الجهمرية بـه ايس إلا كتابا منفصلا أحب الناشر أن يلحقه بالجمهرة لما له من علاقة بفن الكلمة . (١)

إلى جانب هذه الرسائل التي شاركت في تطور العلوم اللغوية وارساء فن المعاجم اللغوية ظهرت كتب البلدان والمراضع وقد ظهرت هذه الكتب في عصر الخليل بن أحمد فقد عد ابن النديم في الفهرست كتابا لهشام بن محمد الكلابي المتوفى عام ٢٠٢ هـ منها البلدان الكبير والبلدان الصغير وتسمية الأرض والأنهار ومنازل اليمن ، وأسواق العرب والأقاليم . (١)

وذكر ابن النديم للأصمعي المتوفى عام ٢١٦ هـ كتابا عن مياه العرب وجزيرة العرب والدارات وقد وصل إلينا كتاب الدارات في مجموعة البلغة في شذور اللغة التي نشرها أوغست هـنتر إلى جانب هذه الرسائل كانت هناك رسائل أخرى في الأفراد والتنشئة والجمع والمصادر وقد ذكر دكتور حسين نصار احصاءاً لهذه الكتب في كتابه المعجم العربي نشأته وتطوره ، فذكر كتابا تنسب إلى الرؤاسي المتوفى عام ٢٨٧ هـ في الأفراد والجمع والنراء المتوفى عام ٢٠٧ هـ كتب كتابا في الجمع والتنشئة في القرآن ثم ألف أبو عبيده المتوفى عام ٢١٠ هـ كتاب الجمع والتنشئة وأبو زيد الأنصاري المتوفى عام ٢١٥ هـ ألف كتابا الواحد والتنشئة ثم يعقوب بن السكيت المتوفى عام ١٤٦ هـ ، كتاب المثنى والمكنى والمبنى والمؤاخى والمشبه والنخل (٢)

وهناك كتب الابنية مثل كتب المصادر وكان الكسائي المتوفى عام ١٨٩ هـ قد كتب كتابا في المصادر وجاء النضر بن شميل المتوفى عام ٢٠٤ هـ والقراء المتوفى عام ٢٠٧ هـ وقد كتب عن المصادر في القرآن وهناك كتب أمثلة الاسماء .

(١) د . عبد السميع أحمد : المعاجم العربية ص ٧٣

(١) الفهرست لابن النديم ص ١٤٨

(٢) المعجم العربي : دكتور حسين نصار ج ١ ص ١٧٢

ويعتقد الدكتور حسين نصار أن الفارابي المتوفى عام ٣٥٠ هـ قد ابتدع نظاما في هذا النوع من التأليف كان له أثره الخالد في حركة المعاجم العربية . فقد جمع للمرة الأولى بين كتب الأفعال والمصادر والاسماء في كتاب واحد .... (١) وهناك رسائل في الصفات أيضا . ونستطيع أن نلاحظ في نهاية هذه الرسائل أن ابن دريد شارك مشاركة فعالة في هذه الحركة المبكرة فكتب في الخيل والمطر والامالي والنوادر وغريب الحديث الشريف وهو إلى جانب ذلك صاحب معجم .

كانت هذه الرسائل التي تفسر كلمات أو تتحدث عن موضوعات خاصة بالإنسان أو بالخيال أو المطر أو أبنية الكلم في العربية مقدمة لنشأة المعاجم العربية وكان الخليل بن أحمد عالم اللغة العظيم صاحب الفضل الاول في نشأة المعجم العربي ولكن هل كان العرب أمسبq الاصح في المعاجم أم سبقتهم أمم أخرى ؟

يرى الدكتور محمد أبو الفرج أن العرب كانوا أمسبq من الغرب في تأليف المعاجم . يقول الدكتور محمد أبو الفرج في كتابه د المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث ، وإذا أردنا أن نقارن تاريخ المعاجم في العربية بمعاجم اللغة كالانجليزية مثلا وحدنا الاصطلاح معجم لم يظهر في صيغة اللاتينية Dictionaries الا في سنة ١٢٢٥ ميلادية أي بعد خمسة قرون من ظهور معجم العين وبعد هذه القرون الخمسة استعملت الكلمة . ولكن لم يظهر معجم بالمعنى الشامل الا في القرن السابع عشر إذ كتب Robert Tanderly معجمه سنة ١٦٠٤م (٢)

(١) المعجم . للعربي الدكتور حسين نصار ج ١ ص ١٠٨

(٢) د . محمد أبو الفرج : المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث

ويرى الدكتور حسن ظاظا وهو يذكر أن المعاجم الأولى التي عرفها الإنسان كانت معاجم ترجمة أو معاجم زوجية يرى أن « هذا النوع أى المعجم الزوجى أو معجم الترجمة نجده معروفًا في العراق القديمة إذ جاء الساميون من جزيرة العرب في غضون الألف الثالث قبل الميلاد وأسروا لهم حضارة ودولة ونظمًا إجتماعية أخذت معظم عناصرها الأساسية من حضارة السومريين » (١)

وفى موضع آخر بذكر الدكتور حسن ظاظا حين يتحدث عن المعاجم اللغوية الأبجدية ، إن هذه المعاجم ظهرت في الشرق الأقصى — وبخاصة الصين — ويرجع ذلك إلى سنة ١٥٠ ق. م وهو معجم يعرف باسم « شو أران » من تأليف « هوشن » ومعجم آخر من سنة ٥٣٠ بعد الميلاد ألفه كورى وانج واسمه « يوربين » ، كذلك وضع اليونان والرومان معاجم من هذا النوع منها معجم هلاديوس السكندرى ، فى القرن الرابع الميلادى ومعجم يوليوس بولوكس وهو مرتب حسب الموضوعات ، وهذان المعجمان يونانيان .

وفى عهد الامبراطور الرومانى أغسطس حوالى ميلاد المسيح ظهر معجم فاليريوس فلاطوس ، وعنوانه « معانى الألفاظ كما ألف هتزيثيوس السكندرى فى القرن الرابع الميلادى معجمًا للهجاء والتعبيرات وألف امونيوس السكندرى معجمًا لمعانى المشترك » (٢) .

وتذكر دائرة المعارف الإسلامية مادة الخليل بن احمد أن الهنود سبقوا إلى وضع معاجم ألفاظ اللغة السنسكريتية مرتبة ترتيبًا أبجدياً (٣)

(١) كلام العرب من قضايا اللغة العربية : دكتور حسن ظاظا ص ١١٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٨ .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية : ترجمة ابراهيم خورشيد وآخرون مادة ( الخليل بن احمد ) .

ويرتب بعض الباحثين المحدثين على هذا أن العرب قلدوا الهنود بتنظيم معجزاتهم تنظيمًا هجائياً وأن الخليل بن أحمد نفسه تأثر بهم وتعلمه على طريقةهم . ولكن هذا الافتراض لم يقم عليه دليل يؤيده حتى الآن . ونستطيع أن نرى من الآراء السابقة للباحثين المحدثين أن العرب كانوا أسبق الأمم في إرساء فن المعاجم اللغوية بطريقة منظمة مرتبة تحفظ اللغة على مر الزمن وتتيح للباحث أن يرى ما خفي عليه . وقد توسعت بعض المعاجم اللغوية مثل لسان العرب فأصبحت موسوعات لغوية تشمل لغة وتفسيراً وحديث شريف وأدب ، وهناك معاجم خصصت موضوعاتها لدراسة خاصة مثل التخصّص لابن سيده الاندلسي .

ولكن متى ظهرت كلمة « معجم » وهل أطلقت أول ما أطلقت على المعاجم اللغوية ؟

تطلق كلمة « معجم » من الناحية اللغوية على معان ، فيذكر ابن جنى في سر الصناعة أن « ع ج م » إنما وضعت في كلام العرب للإبهام والإخفاء وضد البيان والإفصاح من ذلك قولهم رجل أعجم ، وامرأة عجماء إذا كانا لا يفصحان ولا يبنيان كلامهما ، وكذلك العجم والعجم ، ثم يناقش ابن جنى معنى ( أعجمت ) وتعريف - عجم ، وفي كلامهم موضوع للإبهام وخلاف الإفصاح وأنت إذا أعجمت الكتاب فأما معناه أوضحته وبينته ، (١) .

ويذهب بعض اللغويين المحدثين إلى أن المعجم بمعنى الاعجام مصدراً مثل

(١) سر صناعة الإعراب : ابن جنى : تحقيق إبراهيم مصطفى

المخرج والمدخل أى من شأن هذه الحروف أن تعجم ووضع الكتب التى راعت فى ترتيبها حروف الهجاء أى مراعاة فى الحرف الأول وحده أو فى الحرفين الأولين أو فى حروفها جميعا ، وعلى ترتيب ألف باء أو ترتيب المخرج ، أو ترتيب الأبجدية بأنها تسير على حروف المعجم ويبدو أن الناس استطالوا عبارة «كتاب كذا على حروف المعجم لفلان .. فاختروها وساروا فى طريقتين قالوا كتاب كذا على الحروف لفلان . بحذف كلمة (المعجم) وقالوا معجم كذا لفلان بحذف كلمة (حروف) وتغيير وترتيب الكلمة» (١).

وظهرت كلمة معجم قبل أن تظهر كلمة (المعجم) فى المعاجم اللغوية فقد كتب أبو القاسم عبد الله بن محمد البغوى المعروف بابن بنت منيع المعجمين الكبير والصغير ونرى أبو يعلى أحمد بن على بن المشنى المتوفى عام ٣٠٧ هـ يضع كتاباً يسميه معجم الصحابة . وأطلقت كلمة معجم فى القرن الرابع على كثير من الكتب وأشهرها المعجم الكبير والصغير والأوسط فى قراءات القرآن وأسمائه لأبى بكر محمد بن الحسن القاسم الموصلى المتوفى عام ٣٥١ هـ ، ومعجم الشيوخ لأبى الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق البغدادى المتوفى عام ٣٥١ هـ . ومعجم الشموح لعمر بن عثمان البغدادى المعروف بابن شاهين والمتوفى عام ٣٨٠ هـ .

ولا ندرى متى أطلقت كلمة (معجم) على المعجمات اللغوية ونجد كلمة (قاموس) مرادفة لكلمة معجم : وقد ذكرت أول ما ذكرت من تسمية معجم الفيروز أبادى بالقاموس المحيط ومعناها البحر المحيط ، واقتصر المتأخرون

(١) المعجم العربى : دكتور حسين نصار ج ١ ص ١٣ .

على تسمية المعاجم بالقاموس وشهر الاسم وألمان على جميع المعاجم اللاتينية  
الآخرى المتقدمة والمتأخرة .

ونستطيع أن نلخص الآراء السابقة فنقول أن كلمة معجم أصلها من عجم  
وهي تدل على الإبهام والخفاء والأعجم غير الفصحى أما أعجمت الحروف أزلت  
عجمته بما يميزه عن غيره بنقط وشكل . فالمعجم هو ما يزيل العجمة ويبين الخفاء  
وان كلمة المعاجم ظهرت أول ما ظهرت في كتب لانهد معاجم لغوية مثل معاجم  
الصحابة ومعاجم القرآن الكريم وأطلقت بعد ذلك على الكتب التي تفسر الكلمة  
وترتبها وتبويبها وظهرت كلمة (قاموس) أيضا مرادفة لها وكان أول من استعملها  
الفيزون ابادى فى كتاب (القاموس المحيط) بمعنى البحر المحيط وشاعت الكلمة بعد  
ذلك فقليل معجم أو قاموس والمعنى واحد .

وننتقل بعد ذلك إلى معجم العين للخليل بن احمد الذى كان له أثر كبير فى  
كتاب الجهرة ، بل إن بعض الباحثين عدوه شبيها له واهم بعض القدماء ابن  
دريد بسرقه العين وتغييرها وتسميتها بالجهرة .

والخليل بن احمد غنى عن التعريف فقد كان فى حياته زاهدا يحب العلم تتلمذ  
على عيسى بن عمر وأبى عمرو بن العلاء واهتم بالعلوم المستعربة وخاصة العلوم  
الرياضية وقرأ كل ما ترجم وخاصة منطق ارسططاليس وقرأ ما ترجم من علم  
الايقاع الموسيقى عند اليونان وألف فيه كتابا وكان عقل الخليل من العقول  
الخصبة المادرة فهو ينهل من كل علم يقبل عليه ويحاول أن يبتكر فيه ويرجع  
اليه الفضل فى ابتكار علم العروض ويقال أنه استغل معرفته بالعلوم الرياضية  
ونظرياتا وخاصة نظريتى المعادلات والتعادل والتوافيق فى تنظيمه لعلم العروض  
فقد اشتق له تفاعيل خاصة وأدارها فى دوائر كدوائر المهندسين مستخدما إشارات

من النقط والحقاق تصور ما يجرى في التفعيلات من زحافات كما تفسح لأجزائها  
في التقدم والتأخر، (١)

ويقال أنه مر بجدار يوما فأعجبه دق المطرقة المنتظم ولما حاول أن يربط  
بين هذه النغمات المنتظمة وبين الأوزان وفي الشعر العربي أداه ذلك إلى اختراع  
علم العروض.

وكان الخليل بارعا أيضا في علم الحساب فقد ذكر أنه وضع محاولة ابتكر  
فيها وضع نظام حسابي خاص من السهولة حتى تعرفه جاريته، إذا ذهبت إلى  
السوق فلا يغالطها أحد في الحساب. وله مؤلفات يذكر ابن النديم منها كتاب  
الغنى، كتاب العروض، كتاب الشوائد، كتاب النقط والشكل، كتاب فائت  
العين، كتاب الانباع، (٢).

وقد تلمذ له سيديويه والنضر بن شميل ومؤرج السدوسي ودات  
عام ١٧٠ هـ.

### منهج الخليل في كتاب العين :

لم يجد الخليل بن أحمد في الرسائل اللغوية الخاصة منهجا كافيا لجمع اللغة وفكر  
طويلا في منهج جديد وأخيرا اعتدى إلى أن العربية تتألف من (٢٩) حرفا  
وحاول أن يتم حصر اللغة بترتيب هذه الحروف في نظام ثابت وقد تذكر أن  
الكلمات العربية محصورة بين الثنائي والثنائي فلا تقل ولا تزيد إلا بحروف زوائد

(١) المدارس النحوية : دكتور شوقي ضيف ص ٣١ .

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٧١ .



لا تؤثر في المعنى الاصلى للكلمة المجردة وحاول أن يستخدم هذين الاسمين  
( انحصار الحروف في ٢٩ حرفاً وانحصار الكلمات العربية فيما بين الثنائي والخماسي )  
وحاول أن يستعمل الأبجدية العادية فيبدأ بالالف ولكنه يذكر في مقدمة العين  
أن ذلك لم ييسر له ، لأن الالف حرف معتل فلما فاتته الحرف الاول كره أن  
يبتدىء بالثاني وهو الباء إلا بعد حجة واستقصاء النظر ، فدبر ونظر إلى الحروف  
كلها وذاقها فصير أولها بالابتداء أدخل حرف منها في الحلق وإنما كان ذواقه  
اياها انه كان يفتح فاه بالالف ثم يظهر الحرف نحو : ا ب ، ا ت ، فوجد العين  
أدخل الحروف في الحلق ... (١)

فهو لم يبدأ بالهمزة لأنها لا استقرار لها والهمزة هو ذلك الحرف الذي  
هزم أستاذه أبا عمرو بن العلاء ، واتعب كل من تصدى له ولا صورة ثابتة له في  
النطق أو الكتابة فلم يبدأ بالهمزة وكره البدء بالباء وهنا تجوده القريحة وهو  
ذلك العالم الذي يعيش في جو الاصوات والانغام فيبتكر نظاماً جديداً قائماً على  
الاصوات فهو يرى أن الاصوات تشبه أنغام الآلات الموسيقية والآلة التي تصدر  
الاصوات اللغوية فهي ما بين الحنجرة إلى الشفتين وأما الذي يفرق بين وقعها على  
الاذن فهو اختلاف مواضع مخارجها كما يفرق في الاصوات الموسيقية الخارجة  
من الناي بشدة إرسال الهواء أو ضعفه ويخلق بعض الثقوب الجانبية أو  
فتحها .

وقد ذكر ابن جني في كتاب دسر صناعة الاعراب ، في تشبيه الحلق بآلات

(١) مقدمة كتاب العين للخليل بن احمد ( مقال بقلم الدكتور عبد الله درويش )

الموسيقى بقوله : « ولأجل ما ذكرنا من اختلاف الاجراس في حروف المعجم باختلاف مقاطعها التي هي أسباب تباين أصداؤها — ما شبه بعضهم الحلق والنغم بالنأي فان الصوت يخرج فيه مستطيلا أملس ماذجا... » (١)

ويرى الدكتور حسين نصار انه يقصد بقوله « ما شبه بعضهم » معناه وأظن انه يقصد التحليل وخاصة انه اللغوي الذي ألف في الموسيقى ، (٢).

وقد اتبع الخليل بن احمد هذا المنهج حين وضع العين :

أولا : جمع ألفاظ اللغة حسب مخارجها فبدأ بالحلقية ثم بالسائية ثم بالشفوية ثم بالحوفية ، وكان ترتيب هذه الحروف كالتالي :

ع ، ح ، ه ، خ ، غ ، ق ، ل ، ج ، ش ، ص ، ض ، ز ، ط ، د ،  
ت ، ظ ، ث ، ز ، ر ، ل ، ن ، ( ذ - ب م ) ، و ، ا ، ي ،  
همزة (٣) .

(١) سر صناعة الاعراب : لابن جنى تحقيق ابراهيم مصطفى ص ١٣ .

(٢) المعجم العربي نشأته وتطوره : الدكتور حسين نصار ج ١ ص ٢٣٢ .

(٣) مقدمة كتاب العين بقلم الدكتور عبد الله درويش : مجلة معهد المخطوطات

المجلد التاسع عشر طبعة مايو ١٩٦٣ ص ١٥٢ ، وقد اختلف الباحثون

المحدثون في هذا الترتيب فالدكتور الخصيب يذكرها في مقال بمجلة المجمع

اللغوي بدمشق بتقديم التاء على الدال والذال مع التاء والراء ، ويذكرها

الدكتور حسين نصار في كتابه المعجم العربي ج ١ ص ٢٧ ، مثل نسخة

العين : وكذلك الدكتور محمد أبو الفرج في كتاب المعاجم العربية على

صنوه دراسات علم اللغة الحديث ، ويختلف الدكتور ابراهيم نجما في

وتختلف المصادر والمراجع في ترتيب بعض هذه الحروف عن الخليل فإسان العرب ينقل هذا الترتيب هكذا : العين ، الحاء ، الهاء ، الخاء ، الغين ، والقاف ، والكاف ، والجيم ، والسين ، والصاد ، والشين ، والزاي والطاء والذال والطاء والذال والتاء والراء واللام والنون ، والفاء والياء والميم والباء والواو والالف .

ثم يقول ابن منظور « وهذا هو ترتيب المحكم لابن سيده إلا أنه خالفه في الأخير فرتب بعد الميم الالف والباء والواو » (١)

وقد ذكر السيوطي هذا الترتيب بطريقة طريفة فقال ، ترتيب كتاب العين ليس على الترتيب المعروف الآن في الحروف وقد أثير الأدباء من نظم الأبيات في بيان ترتيبه من ذلك قول أبي النرجس سلمه بن عبد الله بن دنان المعافري الجـزـري :

يا سائل عن حروف العين دونكها	في رتبة ضمها وزن واحصاء
العين والحاء ثم الهاء والحاء	والغين والقاف ثم الكاف أكفاء
والجيم والشين ثم الصاد يتبعها	صاد وسين وزاي بعدها طاء
والذال والتاء ثم الطاء متصل	بالطاء ذال وتاء بعدها راء
واللام والنون ثم الفاء والباء	والميم والواو والمهموز والياء (٢)

ترتيب هذه الحروف إختلافا كبيرا : انظر كتاب المعاجم العربية ص ١٦ للدكتور إبراهيم نجا .

(١) لسان العرب : لابن منظور المقدمة ص ٧

(٢) المزهري علوم اللغة : جلال الدين السيوطي تحقيق علي الجاوي وآخرون

وسمى الخليل كل حرف من هذه الحروف كتابا — فبدأ المعجم بكتاب العين فكتاب الحاء فكتاب الهاء ... الخ ، وشهر الكتاب بعنوان الكتاب الاول وهو كتاب العين ، لاستهلاله به على عادة العرب في كثير من أسمائهم . ويتضح ذلك جليا في كثير من أسماء سرر القرآن الكريم وقد سمى أبو تمام كتابه بالحامسة لأنه أول باب من أبوابه العشرة .

ونلاحظ انه بدأ بكتاب العين وهي ليست أدخل في الحلق من الهمزة ويناقش هذه المسألة السيوطي في المازهر وقد نزل عن المفضل بن سلبة السكوني ذكر صاحب العين انه بدأ كتابة بحرف العين لأنها أقصى الحروف مخرجا ، قال الذي ذكره سيبويه أن الهمزة أقصى الحروف مخرجا قال ولو قال بدأت بالعين لأنها أكثر في الكلام ، وأشد اختلافا بالحروف لكان أولى وقال ابن كيسان — سمعت من يذكر عن الخليل انه قال لم ابدأ بالهمزة لأنها يلحقها القص والتغيير والحذف ولا بالالف لأنها لا تكون في ابتداء كلمة ولا في اسم ولا فعل إلا زائدة أو مبدلة ، لأنها مهموسة خفية لأصوات لها فنزلت إلى الحيز الثاني وفيه العين والحاء فوجدت العين أتصح الحرفين فابتدأت به ليكون أحسن في الأليف (١) ،

ومخرج الحروف التي ذكرها الخليل نحتاج إلى تحليل فقد ناقش اللغويون المحققون هذه المسألة ويتهمون القدماء بأنهم لم يكونوا يفرقون بين دراسة فقه اللغة وعلم اللغة ويقسمون الأصوات الانسانية إلى نوعين

(١) المازهر في علوم اللغة : جلال الدين السيوطي تحقيق علي الهجاوي وآخرين  
ج ١ ص ٩٠ .

## (١) علم الاصوات اللغوية Phonetics

وهي تبين طريقة نطق الاصوات ومخرجها من جهاز النطق الانساني دون التعميد بآلية بالذات .

## (٢) علم وظائف الاصوات اللغوية Phonology

وتدرس فيه طريقة تأدية الاصوات لوظيفتها في اللغة : (١)

وسوف نوضح الامر تفصيلا ونحن نناقش كتاب جهرة اللغة ، والاصوات كما يراها ابن دريد ويكتفي هنا رأى القدماء يتمثل فيما ذكره ابن جني في (سر الصناعة) عن مخرج الحروف فهو يقول عن مخرج الحروف : « وأعلم أن مخرج هذه الحروف ستة عشر ثلاثة منها في الحلق فأولها من أسنانه وأنصاه — مخرج الهمزة والالف والهاء هكذا يقول سيبويه — وزعم أبو الحسن أن ترتيبها — الهمزة وذهب إلى أن الهاء مع الالف لا قبلها ولا بعدها — والذي يدل على فساد ذلك وصحة قول سيبويه أنك متى حركات الالف . انتمدت بها على أقرب الحروف منها إلى أسنن ، فقبلتها همزة ولو كانت الهاء معها لقبلتها هاء وهذا واضح غير خفى ومن وسط الحلق مخرج الدين والحاء ، وما فوق ذلك مع أول الفم ، مخرج الغين والحاء ، وما فوق ذلك من أقصى اللسان مخرج القاف ويمين أسنن من ذلك وأدنى إلى مقدم الفم مخرج الكاف (٢) ، وهكذا يستمر ابن جني في وصف مخرج الحروف حتى ينتهي إلى الخياشيم .

(١) المماجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث : دكتور محمد أبو الفرج ص ٩٠ .

(٢) سر صناعة الأعراب لابن جني ص ٢٤ .

ثانيا : راعى الخليل عند ترتيبه تجريد الكلمات من الزوائد وأخضعها لأصل البناء فـلا استغفر تحذف الهمزة والسين والتاء ويضع الكلمة في باب الغين .

ثالثا : استقصى الابنية فيما بين الثنائى والخماسى فبدأ بالثنائى ثم الثلاثى فالرباعى فالخماسى يقول فى مقدمة الكتاب « قال اليلث قال الخليل ان كلام العرب مبنى على أربعة أصناف ، على الثنائى والثلاثى والرباعى والخماسى ، والثنائى على حرفين نحو قد ، لم ، هل ، لو ، بل ونحوه من الأدوات ، والثلاثى من الافعال نحو قرأك ، ضرب ، خرج ، مبنى على ثلاثة أحرف ، ومن الاسماء نحو عمر ، جمل ، شجر ، مبنى على ثلاثة أحرف ، (١) .

وهكذا يستمر حتى الخماسى ، لقد رأى الخليل أن الكلام فى العربية مبنى على أربعة أصناف ( الثنائى والثلاثى والرباعى والخماسى ) أما الثنائى فهو الحروف والأدوات ولا يكون اسما ولا فعلا أما يد وفهم فهى ثلاثة وأصلها ويظهر ذلك فى ثنائيتها وجمعها وتصغيرها مثل فهران وأيد ، ويرى الخليل ان علة سقرط الحرف الثالث فيها أنه ساكن .

وإذا كان الخليل يرى أن أقل الحروف التى يتألف منها الاسم والفعل ثلاثة وهو ما سار عليه النحويون بعده فإن الدكتور حسين نصار يذكر أن هذا الرأى لقى هجوما عنيفا فى العصر الحديث ، فقد ظهر مذهب آخر يرى فى اللغة

---

(١) مقدمة كتاب الدين : مقال بقلم دكتور عبد الله درويش - مجلة معهد المخطوطات العربية - المجلد التاسع ج ١ ص ١٥٢ مايو ١٩٦٣ .

كأننا حيا يولد طفلا ويشب صبيا وينفع شابا ويمن شيخا وقد يموت إذا بلغ  
أرذل العمر ، ، فاللغة في هذا المذهب ظاهرة إجتماعية تطبق عليها القوانين التي  
تسود المجتمعات (١) .

ونقد الخليل الصيغ الرباعية والخماسية وبين الأصيل فيها والدخيل في اللغة ،  
وكان نقده قائما على الناحية الصوتية فيها وكأما اللغة تحولت عنده إلى أصوات  
وأنغام فالمتناسق عنده عربي صحيح والناشر مولد دخيل ، فحروف الذلاقة  
الستة وهي الراء ، اللام — النون ، الفاء ، الباء ، الميم ، لا تعزى عن  
واحد أو أكثر في الرباعي والخماسي الصحيح ، فإذا خلت منها كانت  
محدثه مبتدعة ليست عربية ولو كانت على الأوزان العربية مثل الكشعشع  
والكنعضع .

ونجمل القول في ترتيب الأبذية أنه بدأ بالشئى وذكر أنه يغاب في الأدوات  
ثم ذكر الثلاثي الصحيح مثل خرج وشرب ثم الثلاثي المعتل وهو ما فيه حرف  
علة مثلا أو أجوف أو نافصا ثم اللينيف المنروق أو المقرون مثل وهى ،  
وعى ، هوى ثم الرباعي مثل دحرج والخماسى مثل سهرجل ثم أنهى كل  
بحث بالمعتل .

وقد رتب هذه الأبذية بنظام يسمى نظام التقليليات فتقد رأى الخليل أن  
حرف العين يكن أن يغير صورته في الشئى مرتين وفي الثلاثى ثلاثا بأن يكون  
أولا وثانيا وثالثا وفي الرباعي أربعا وفي الخماسى خمسا فإذا كانت العين في بناء  
ثلاثى وكان معها حرفان — الباء والداال مثلا أمكن أن يأتي معها ٦ صور ، عبد ،

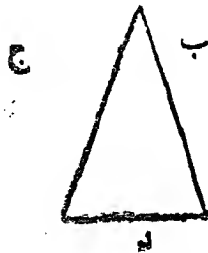
وبعد ، بدع ، عذب ، دعب ، دبع وفي الرابعى (٢٤) صورة وفي الخامسى (١٢٠) صورة وقد شرح لنا ابن دريد فى آخر الجهم - رة هذه الطريقة باستفاضة فقال :

« إذا أردت أن تؤلف بناء ثائيا أو ثلاثيا أو رباعيا أو خماسيا ، فخذ من كل جنس من أجناس الحروف المتباعدة ثم أدر دائرة فوق ثلاثة أحرف حوالها ثم فكها من عند كل حرف يمنة ويسرة حتى تفك الأحرف الثلاثة فتخرج من الثلاثى ستة أبينية ثلاثية ، وتسعة أبينية ثنائية وهذه الصورة :

(١')



ويجعل السيوطى الرسم شائنا :



- (١) كتاب جهرة اللغة لابن دريد تحقيق السورى وكرنكو ج ٣ ص ٥١٣ -  
(٢) المزهو للسيوطى ج ١ ص ٧٢ .



وإذا استخدمنا الشكل السابق (الدائرة أو المثلث) وأدرنا حروف مادة  
ع ب د المكتوبة حوله أمكن التوصل إلى الوجوه الستة التي أشار إليها ابن  
دريد وهي : ع د ب ، ع ب د ، د ع ب ، د ب ع ، ب ع د ،  
ب د ع ، وليس من المحتم استخدام الوجوه الستة السابقة في معان وضعت لها  
وانذلك أشار النحويون إلى المستعمل والمهمل وقد ذكر احمد أمين في « ضحى  
الإسلام ، هذا المنهج فقال « ثم رأى أن الكلمات الثنائية عقلا يمكن حصرها بأن  
يفرض أن الحرف الأول مثلا ( ا ) فالحرف الثاني قد يكون باء أو تاء أو ثاء  
... الخ فإذا ضربنا  $٢٧ \times ١$  أمكن أن نحصر الكلمات الثنائية المبدؤة بالالف  
ثم نأخذ الباء ونضربها في ٢٦ والياء ونضربها في ٢٥ وهكذا ، ويذكر احمد أمين  
انه بهذا ترك الكلمات المركبة من حرفين متماثلين مثل ( ا ) ( ا ) ،  
ب ، ب ، ب ، ( ا ) .

وقد تتبع الخليل تقاليب كل بناء ووضعها في الحرف الأول مخرجا من  
حروفها ليتيسر بذلك الحصر ولا يكرر شيئا منها ، وذكر أن كل مجموعة من  
هذه التقاليب فصلا ، فافصل في الثنائي يشتمل على مادتين وفي الثلاثي على  
ستة ، وهكذا بعدد التقاليب ، وهو يشير إلى المستعمل والمهمل في الثنائي  
والمهمل منها ، أما فيما عدا ذلك فاكتمى بإيراد المستعمل ولم ينص على  
المهمل لأنه شيء كثير ،

ولقد ظل المعجم مخطوطا — حتى قام بتحقيقه الدكتور عبد الله درويش  
وطبع الجزء الاول والثاني في بغداد وقد بدأ الخليل الكتاب بحرف العين كما قدمنا

وافتحه بالشئ الصحيح أو المضاعف فهو يتناول عق و عك ويعالج مادة  
عق ومقلوبها مثل قع ، وينتقل إلى الثلاثي ويذكر الثلاثي مجردا ومزيدا ويدخل  
بعض الصيغ مثل ددع في الثلاثي ثم ينتهي من الثلاثي ويخصص بابا يسميه  
اللتيف ويعتني في مرجعه باللغات أو اللهجات العربية مثل عتنة تميم  
وكشكشة ربيعة لهجة طيء ، وقد اعتمد الخليل في كتابه على الشواهد ومنها  
الشعر وهو يكثر من الشعر أحيانا وقد يأتي بالبيتين أو الثلاث شاهد على استعمال  
واحد وقد يأتي بالبيت من الشعر لتفسير المعنى دون أن يشرح معنى الشعر  
نفسه مثل قوله :

والاخضع والخضعا الراضيان بالذل قال العجاج :

وصرت عبدا للبعرض أخضعا      بمعنى مصر الصبي المرضعا

وقليلا ما يشرح البيت شرحا كاملا قال :

« الله فقعة حكاية صرت السلاح والترسة والحلى والجلود اليابسة والخفاف

والبكراه قال :

يسهد من نوم العشار سليمها      حللى النساء فى يديه ققاع

الققاع جمع قعقة وذلك أن الملدوغ يوضع فى يديه شئ من الحلى

حتى يحركه فيسلى عنه الهم ويقال يمنع الغرم حتى لا يذب فيه السم فيقتله ، (١)

ولم يكن الخليل يذكر ظروف الحال التى قيل فيها الشاهد مثل قصة

(١) كتاب العين : الخليل بن أحمد تحقيق دكتور عبد الله درويش ص ٧٨

الخطيئة مع لزبرقان بن بدر وتدخل سيدنا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - في الحكم بينهما ولكن الخليل لا يذكرهما عندما يستشهد بهما الخطيئة للزبرقان ابن بدر .

ويستشهد الخليل بالطبقات التي يستشهد بشعرهم إجماعاً وهي طبقة الجاهليين وطبقة المسلمين ، ونلاحظ أنه يستشهد ببعض المولدين مثل حفص الأموي وبشار بن برد وهو مالا يرضى عنه أكثر اللعوين .

ويستشهد الخليل بالحديث الشريف وقد ثارت ضجة حول شواهد الدين فقد رماه أبو بكر الزبيدي بالاستشهاد بالمرذول من أشعار المحدثين وأكثر من الاستشهاد بالحديث الشريف ، وكان استشهاده بالحديث الشريف مشار نزاع مارال حتى عصرنا الحاضر بين مؤيد ومنكر وسوف نفصل القول في ذلك عند حديثنا عن شواهد الجهرة • وهو يستشهد بالقرآن الكريم والأمثال والأقوال كثيراً وكان أميل إلى الاستشهاد بالقرآن والتعاقب على الشاهد وشرحه .

هذا وسنفصل القول في الشواهد التي يعتمد عليها المعجم عند حديثنا عن الجهرة . ونستطيع أن نشير هنا إلى أن كتاب العين قد اختلفت الآراء في نسبته إلى الخليل وتتلخص هذه الآراء فيما يلي :

أولاً : الخليل لم يؤلف كتابه العين ولا صلة له به ويعزى هذا الرأي إلى أبي على الفسالى واستأذه أبي حاتم • (١) واعتمد القائلون بهذا الرأي على

(١) المزهر في علوم اللغة للسيوطي ج ١ ص ٨٤ تحقيق البجاوي وآخرين ، وقد ذكر روايات مختلفة تبين ذلك الرأي وروايات أخرى في تأليف العين .

أن الكتاب ليس له إسماد وأنه لم يكن معروفاً لتلاميذ الخليل

بعد موته .

ثانياً : الخليل لم يضع نفس كتاب العين ولكنه صاحب الفكرة في تأليفه وأشهر القائلين بهذا الرأي أبو منصور الأزهري صاحب الفهرست

فقد ذكر الأزهري في مقدمة ( التهذيب ) بعد استعراضه الكتب واللغويين الذين اعتمد عليهم في كتابه وذكر الثقة وتحدث عن غير الثقة وكان منهم الليث بن المظفر الذي نقل الخليل بن أحمد تأليف كتاب العين جملة ليمنقه باسمه ويرغبه فيه من حوله (١).

ولكنه يناقض نفسه تارة أخرى في مقدمة التهذيب ويقرر أن الكتاب ليس من صنع الليث ... (٢)

### الرأي الثالث :

الخليل لم ينفرد بتأليف كتاب العين ولكن كان لغيره أيضاً عروب في ذلك .

وقد قال أكثر القائلين بهذا الرأي إلى أن الليث هو الذي ساعد الخليل في إتمام الكتاب وهم يختلفون فيما بينهم في تقدير اشتراك الليث مع الخليل (٣) ، فابن المعتز يرى أن الليث إنما وضع الكتاب وذكر

(١) تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري ص ٤١ تحقيق عبد السلام هارون .

(٢) نفس المصدر (المقدمة) ص ٢٨ .

(٣) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٩٨ .

لنا رواية أشبه بالخيال فقد ذكر قصة حب الخليل لجارية مما أغاظ زوجته فأحرقت كتاب العين (١) ، وقد بالغت الرواية في إظهار أدلتها فذكرت أن زوجته أحضرت رماد الكتاب فلما رأى ذلك الليث استدرك النصف من حفظه وجمع النصف الباقي من علماء زمانه ويعتقد ابن المعتز أن الكتاب نصفان نصف متمم ونصف مقصر عن ذلك .

وطائفة ترى أن الخليل وضع كتاب التين ولكن الليث أكمله وينسب هذا الرأي إلى أبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي المتوفى عام ٣٥١ هـ الذي يذكر روايته فيقول : « كان الليث صاحب الخليل بن أحمد رجلا صالحا وكان الخليل عمل من كتاب « العين » باب العين وحده فأحب الليث أن ننفق سوق الخليل فصنف باقي الكتاب وسمى نفسه الخليل » (٢) .

وطائفة ثالثة ترى أن الخليل رتب أصول الكتاب ثم وضع النص من بعده وينسب هذا الرأي إلى أبي بكر الزبيدي من المتقدمين وتبعه من المعاصرين يوسف محمد (٣) والمستشرق الالماني اهلوارات (٤) .

وقد بقي لنا الرأي الذي ينسب العين للخليل صراحة بالمعنى الكامل لكلمة

(١) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٩٨ .

(٢) مراتب النحويين : أبو الطيب اللغوي ص ٢١ ، تحقيق محمد أبو الفضل .

(٣) مجلة المجمع العلمي بدمشق ١٩٤١ م مقال بقلم يوسف محمد .

(٤) كتالوج المخطوطات العربية في برلين ١٨٩٤ م ص ٢٢٧ .

مؤلف ، وقد اعتمد هذا الرأي على الرواية فقط فقد ذكر ابن الأديم روايتين عن كتاب العين أحدهما عن ابن دريد المتوفى عام ٣٢١ هـ تفيد نسبة الكتاب إليه (١) .

وقد ذكر بعض الباحثين المحدثين أن ابن دريد كان من المتشككين في نسبة الكتاب للخليل ، ولكن ذلك لا صحة له فقد صرح ابن دريد بهذه النسبة إلى الخليل في مقدمة البحيرة فقال : « وقد ألف أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفرهردى رضوان الله عليه كتاب العين فأنعجب من تصدى لغايته ، (٢) .

وكان من المؤيدين لنسبة الكتاب إلى الخليل ، ابن دريد وابن فارس صاحب المقاييس والجمع مل ومن المحدثين راو لمتش قال وقد أعجب بنظريات الخليل « إن نظام العين ليس غريباً أن يكون من عمل الخليل بل الغريب ألا يكون منسوباً إليه » (٣) .

وقد عاب اللغويون على كتاب العين عدة عيوب منها التصحيف وأخذ عليه أبو بكر الزبيدي في استدراكه وأحمد بن فارس انفراده بكثير من الألفاظ مثل قوله التامر عاء — اليوم الناسع من المحرم . وأخذ عليه أخطاء صرفة اشتقاقية وبعضهم يذكر أن الخطأ كان من الليث أو من الوراقين وأن اختلاف نسخ الكتاب واضطراب رواياته راجعوا

(١) الفهرست لابن النديم ص ٧٠ وقد ذكر روايات عن كتاب العين .

(٢) جمهرة اللغة لابن دريد ( المقدمة ص ٣ ) ج أول .

(٣) مجلة إسلاميات الألمانية مقال ابراهيم التلشن SLAMICA

على حكايات من المتأخرين مثل كراع والزجاج واستشهاده بالمرذول من  
أشعار المحدثين وإهماله أبذية مستعملة وإذا فند كتبت كتب لتحليل نقصه  
ومن ذلك :

١ - فائت العين للخليل ابن أحمد ، ذكره ابن النديم في الفهرست  
ويشك بعض الباحثين في نسبه اليه .

٢ - الاستدراك على العين للسدوسي المتوفى عام ٢٠٢ هـ والجهضمي  
المتوفى عام ١٨٧ هـ .

٣ - الجامع في اللغة للكرمانى .

٤ - فائت العين للمقريزى .

٥ - التكملة للخازرنجى .

وألفت كتب لنقد العين وإبراز نقصه منها :

(١) الرد على الخليل وإصلاح ما فات كتاب العين من الغلط والمحال

للمفضل بن سلة الكوفي المتوفى عام ٣٠٠ هـ .

(٢) استدراك الغلط الواقع في العين لأبى بكر الزبيدى .

(٣) غلط العين للخطيب الاسكافى .

وقد دافع عن كتاب العين علماء منهم :

(١) ابن دريد المتوفى عام ٣٢١ هـ في كتاب التوسط المفقود .

(٢) الرد على المفضل لفظويه المتوفى عام ٣٢٣ هـ .

(٣) الانتصار للخليل : للزبيدي .

هذا هو كتاب العين حاولت أن أبين منهجه لئرى مدى تأثير ذلك المنهج فى جمهرة اللفظة والطريقة التى اتبعها ابن دريد لئرى هل كان كتاب الجمهرة شبيها به أم كان تكملة لمقصودات فى البين أم كان منهجا جديداً ابتدعه ابن دريد وسار عليه آخرون . وهذا ما نعرفه فى حديثنا المقبل عن الجمهرة .



## كتاب جمهرة اللغة

مقدمة :

يعتبر كتاب جمهرة اللغة — أو جمهرة الكلام — أول معجم متكامل في اللغة العربية ، قد رتب على الطريقة الأبجدية لا على مخارج الحروف كما فعل الخليل بن أحمد في معجم العين . . وقد ألف ابن دريد الكتاب لأبي العباس إسماعيل بن عبيد الله بن محمد بن ميكال وكان ابن دريد مؤدبه وقصد بهذا الكتاب أن يختار الشائع النقبول من كلام العرب وأن يترك الحوشى والنادر والمستعجن كما فعل الخليل في العين ، ورغم ما يراه ابن دريد في كتاب العين من صعوبة ومشقة فإنه يعترف بفصله ويعتمد عليه اعتماداً كبيراً ، ويعتمد أيضاً على بعض الرسائل الخفية المبكرة التي كانت تمهيداً لظهور فن المعاجم العربية مثل كتب الأصمعي في الصفات وكتب أبي عبيدة وأبي زيد وغيرهم من العلماء الذين شاركوا في المرحلة الأولى لجمع اللغة .

ويعتبر الكتاب مصدراً أساسياً لكثير من المعاجم التي لحقت بابن دريد مثل البارع لأبي علي القالي والمختص لابن سيده المتوفى عام ٤٥٨ هـ ، وغير ذلك من المعاجم التي سبقتها فيما بعد ، ونال الكتاب منزلة عظيمة بين اللغويين بعد وفاة ابن دريد واعتدلت أكثر المصادر على أقراله في الجمهرة ، ورغم ذلك فقد هرجم المعجم — هاجمه أبو منصور الأزهرى في التهذيب (١) ، وهاجمه أبو الفتح

(١) تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهرى تحقيق عبد السلام هارون .

ابن جنى فى كتاب الخصائص (١) ولكن هجره كان أخف فهو يعيب عليه  
أخطاء صرفية كثيرة ورماء نفطربه بانتحال الجهره وسرقتها من العين فى الآبيات  
المشهورة التى ذكرناها قبل ، وبماجه بعض اللغويين (٢) المحدثين كما هاجموا كل  
المعاجم العربية القديمة واتهموها بالقصور والوقوف عند زمن معين . ورغم  
هجوم بعض اللغويين القدامى والمحدثين على جهره ابن دريد فان الكتاب كان مصدراً  
أساسياً لكثير من المعاجم التى أتت بعده وأصبح كلام ابن دريد مقدماً عند كثير  
من اللغويين . يقول السيوطى فى كتاب المزهرة (٣) . إنه كان لأبى على الفالى نسخة  
من الجهره بخط مؤلفها ، وكان قد أعطى بها ثلاثمائة مثقال فأبى فاشتدت به  
الحاجة فباعها بأربعين مثقالاً وكتب عليها هذه الآبيات :

أنت بها عشرين عاماً وبعثها	وقد خال وجدى بها وحنينى
وما كان ظنى أننى سأبيعها	ولو خلدتني فى السجون ديونى
ولكن اعجز وافتهار وصبية	صغار عليهم تستل شئونى
فقات - ولم أملك مرافق عبرتى	مقالة مكوى الفواد حزين
وقد تخرج الحاجات - يا أم مالك	كرايم من رب يهن ضنين

فأرسلها الذى اشتراها وأرسل معاً أربعين ديناراً أخرى - رحمهم الله .

(١) الخصائص لابن جنى ٣٠ ص ٤١ .

(٢) مقدمة المعجم الوسيط بقلم دكتور ابراهيم مدكور الجزء الأول وأيضاً  
كتاب فقهاء اللغة دكتور عبد الواحد وافي وأيضاً دلالة الألفاظ دكتور ابراهيم  
انيس ص ٥١ .

(٣) المزهرة فى علوم اللغة وأنواعها : للسيوطى تحقيق محمد أبو الفضل  
والآخرين ١٠ ص ٩٥ .

وقد اجتمعت المستشرقون بجمهرة اللغة إهتمامهم بمؤلفاته الأخرى التي كانت لم تر النور ، وحاول المستشرق فريتس كرنكو تصحيح الجمهرة وهي أصح طبعة لها من مجلس دائرة المعارف — حيدر آباد — الدكن عام ١٣٤٤ هـ .  
وطبعت الجمهرة مرة أخرى في بغداد بالآلوفست .

أما مخطوطات الجمهرة (١) فهي عديدة منها نسخة في ليدن ونسخة أخرى في باريس ونسختان في دار الكتب السلطانية بالقاهرة ونسختان في جامع القرويين بمدينة فاس ونسخة في أيا صوفيا بتركيا وفي إستانبول ثمانى نسخ وفي بغداد في بعض المكتبات الخاصة نسختان وبعض هذه النسخ مكتوب من ألف عام وبعضها مكتوب منه حوالى مائة وخمسين عاما ، وتختلف هذه النسخ المخطوطة في كثير من نصوصها ، وربما كان السبب الرئيسى لاختلاف نسخ الجمهرة أنه أملاها حفظاً عدة مرات ، وقد ذكر ذلك السيوطى في بغية الوعاة وفي المزه قال في البغية (٢) « وقال غيره أُملى ابن دريد الجمهرة في فارس ثم أملاها بالبصرة وبغداد من حفظه فلذلك تختلف النسخ والنسخة المعول عليها هي الأخيرة ، وآخر ما صح نسخة عبيد الله بن أحمد فهي حجة لأنه كتبها من عدة نسخ وقرأها عليه وقال في المزه (٣) « وقال بعضهم أُملى ابن دريد الجمهرة في فارس ، ثم أملاها بالبصرة وبغداد من حفظه ولم يستعن عليها بالنظر في شيء من الكتب إلا في الهمة واللفيف » .

(١) مقدمة جمهرة اللغة : وصف كرنكو لمخطوطات الجمهرة وقد اطلعت على فهرس دار الكتب (المخطوطات) لرؤية هذه المخطوطة .

(٢) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطى ص ٣١ .

(٣) المزه في علوم اللغة وأنواعها لجلال الدين السيوطى ج ١ ص ٩٦ .

وقال ابن النديم في الفهرست (١) : وله من الكتب كتاب الجهرة في علم اللغة مختلف النسخ كثير الزيادة والنقصان لأنه أملاه ببغداد من حفظه فلما اختلف الإملاء زاد ونقص .

وقد قام السيد محمد السورتى بمشاركة المستشرق كرنكو بجهد رائع في تصحيح الجهرة وجعله في أربعة أجزاء منها جزء للنهارس يفتح الباب أمام الباحث ويهد له الطريق . وقد ذكر كثير من الباحثين (٢) المحدثين معجم الجهرة على رأس مدرسة التقليبات الهجائية مثل كتاب المقاييس لابن فارس وكتاب المجمل لابن فارس أيضاً ووضع الدكتور حسن ظاظا (٣) كتاب الجهرة مع مدرسة المعاجم اللغوية الأبجدية أو المعاجم الغريب .

وبجمل القول فإن كتاب جهرة اللغة يعتبر فاتحه المعاجم العربية التي تسير على الطريقة الأبجدية وقد سبق بذلك غيره من اللغويين العرب .

### سبب تأليف الكتاب واختصار عنوانه بالجهرة :

يذكر ابن دريد في مقدمة الكتاب سبب تأليفه — فقد وجد أهل عصره يزهرون في الأدب وإذا تملكوه فانهم مضيعوه ، فإذا كان عالماً قد أخذ حظاً من العلم ضيعه وإذا كان باحثاً مهتداً فإنه يشعل عن العلم بإيثار الشهوات وهو لذلك كان يروغ ووغان الثعلب بعلمه بين الجهال والعقلاء ، حتى تنامت به الحال إلى

(١) الفهرست لابن النديم ص ١٨ المطبعة التجارية .

(٢) المعجم العربي نشأته وتطوره دكتور حسين نصر — ص ١٢٠ ، وأيضاً المعاجم اللغوية دكتور إبراهيم فحاح ص ٧٥ .

(٣) كلام العرب من قضايا اللغة العربية دكتور حسن ظاظا ص ١٢٨ ،

أبى العباس إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال وشرع في مدح أبى العباس فجله حكيمًا عالماً يحب العلم ولا يتخذ منه مظاهر الشباب والفتوة فأخرج ما في جعبته من العلم أمام ابن ميكال بكتاب سماه جهمرة اللغة .

ونلاحظ هنا ان ابن دريد يهاجم رجال عصره ويصف بعضهم بالجهل تارة وأخرى بالنسيان ولعل هذا سببه أن ابن دريد لم يلق من المكانة في البصرة مالمقيها في فارس عند أبى ميكال وأصابته حالة نفسية تلاحظها في مقصودته وفي كثير من شعره وخاصة وقد هاجمه كثيرون في عصره وبعد مماته . ثم هو وفي حب الوفاء فيذكر أنه لا يطعن في السف ولا يزرى بالعلماء ويخص بالذكر منهم الخليل بن أحمد ، فهو يتأسى بهم ويقصدى يقول : فأتعب من تصدى الخاتمة وعننى من سما إلى نهاية ، فالمنصف له بالقلب معترف والمعانيد متكلف وكل من بعده له تبع أقر بذلك أم جحد ولكنه رحمه الله ألف كتاباً مشكلاً لثقوب فهمه وذكاء فطنته وحدة أذهان أهل دهره ، (١) .

وبتحليل رأيه في الخليل نراه يعترف بنسبة الكتاب إلى الخليل وقد مر بنا أن كثيراً من اللغويين أنكر نسبة الكتاب إليه ، ولكنه يرى في كتاب العين صعوبة وإشكالا ولذلك فهو يضع في كتاب الجهرة تيسيراً للباحثين فهو يؤلفه على الترتيب الأبجدي لا على الترتيب العرشي الذي صار عليه الخليل ، ولكن تصنيف الأبنية هو تصنيف الخليل وقد يزيد قليلاً ،

ومنهجه في الكتاب ينسب به منهج الخليل وإن كان يخالفه في أشياء ستفورها

(١) جهمرة اللغة : لأبن دريد بتحقيق محمد نجيب السورثي - خيدر أباد

عند حديثنا عن منهجه ، وتحليل المواد ويذكر أنه ألف كتابه والمقص في الناس  
 فاش ويذكر أيضاً سبب تسميته بالجمهرة فقال « وأما أعراه هذا الاسم لأننا  
 اخترنا له الجمهور من كلام العرب وأرجأنا الوحشى المستنكر ، (١) . فهو يعنى  
 أنه اختار له اسم الجمهرة لأنه ذكر في كتابه الشائع في الاستعمال أما الغريب فلم  
 يذكره جملة وفصله عن الكتاب وجعله في آخر ما كتبه ، وقد حذف جملة منه  
 حين قال في المقدمة عن النوارد « وما أشبه ذلك على أننا الغينا المستنكر واستعنا  
 المعروف ، (٢) ، أما كلمة جمهور ، فقد ذكرها في الجمهرة قال « وجمهور الشيء  
 معظمه جمهور الشيء إذا أخذ جمهوره وهو معظمه ، (٣) ، وذكرت المعاجم أن  
 الجمهور « هو الرملة المشرقة على ما حولها سميت بذلك لكثرتها وعلوها ، وفي  
 حديث ( جمهوروا قبره ) أى جمعوا له التراب ومن ذلك قيل للخلق العظيم  
 جمهور لكثرتهم والجمع جماهير ، (٤) .

ونفهم من كلامه أنه اختار الشائع من كلام العرب وأهمل الغريب وقد  
 سمح لنفسه أن يكون قاضياً في مواد اللغة يقضى في بعضها بأنه جوشى مستنكر  
 فيصرفه عن كتابه ، وأخر شائع في كتابه . وقد حدا ذلك إلى أن كثيراً  
 من اللغويين أنكروا عليه مخالفته لما ذكر فقد اضطر إلى ذكر كثير من الغريب  
 والنوارد بين ثنايا الكتاب ، ونحن مع هؤلاء الذين أنكروا عليه ذلك فلقد كان  
 ابن دريد أكثر علماء اللغة في عصره يهتم بالتريب ورأيناه في كثير من

(١) جمهرة اللغة : لابن دريد — الجزء الأول — المقدمة ص ٢ .

(٢) جمهرة اللغة لابن دريد الجزء الأول المقدمة ص ٢ .

(٣) الجمهرة الجزء الثالث ص ٢٢٤ .

(٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ج ١ ص ١٤٧ .

من شعره يذكر غريب اللثة وفي أحاديثه المتناثرة في كتاب الأمان لأبي علي الفاي  
كثير من الغريب والمستنكر .

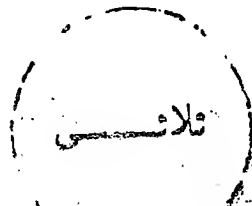
### منهج ابن دريد في الجمهرة :

مهد الخليل ابن أحمد الطريق لكل من أتوا بعده بعد ان رسم على أسس علمية  
دقيقة أول نهج لمعجم عربي وقد ترك الخليل هذا المنهج للغويين فمنهم من  
اتبعه ومنهم من حاد عنه ومنهم من اتبعه ولكنه حاول أن يغير أو ييسر  
للباحثين وأصناف جديداً ، وكان من هؤلاء محمد ابن دريد ، وقد رأينا في مقدمة  
الجمهرة يعترف بنضل من سبقوه من العلماء الذين مهدوا له الطريق ولا يطعن على  
أحد منهم ويخس بالذكر الخليل بن أحمد الذي سلك طريقاً صعباً ولكنه مقرر  
بالثبوت له بفضل السبق عليه . ولم أجد في إنشاء هذا الكتاب إلى الأثر بعلمائنا  
ولا الظن في أسلافنا وأزى يكون ذلك وإنما على مثالهم نخشى وبسببهم نفتدى  
وعلى ما أصلو نبتن وقد ألف أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفرهودي رضوان  
الله عليه كتاب العين فأعجب من تصدي لغايته وعنى من سما إلى نهايته فالمنصف  
له بالقلب . عترف والمعاد متكاف وكل من بعده تبع أقر بذلك أم جحد ولكنه  
رحم الله ألف كتاباً مشكلاً لثقوب فهمه وذكاء فطنته وحدة أذهان أهل  
دوره (١) . وكان رأى ابن دريد ان صعوبة (العين) كانت في سيرة على الطريقة  
الهجائية الصورية التي استنبطها الخليل بحسه الموسيقي الموهب ، وهذه الطريقة  
تغوز الباحث أن يتعلم أولاً مخارج الحروف ومدارجها ، فاختار ابن دريد  
ترتيب كتابه على الطريقة الأبجدية العادية وبذلك كان ابن دريد أول من صار على  
الطريقة الأبجدية العادية التي انتشرت بعد ذلك وما زالت إلى الآن ، وقد ذكر

ابن دريد سبب اختياره للابجدية العادية فقال « وأجريناه على تأليف الحروف المعجمة إذا كانت بالتلوب وفي الاستماع أنفذ وكان علم العامة بها كعلم الخاصة وطالبها من هذه الجهة بعيداً عن الحيرة مشفقاً على المراد ، (١) .

أما الأساس الثاني الذي سار عليه ابن دريد وهو اتباعه نظام التقليلات الابجدية وهو لجمع الكلمات المكونة من حروف واحدة . مهما اختلف ترتيبها في موضوع واحد . وهو يسير فيه على نظام التخليل بن أحمد ويخالفه في إتباعه الترتيب الهجائي ، وقد شرح ابن دريد طريقة التقليلات وبناء الابنية في ختام كتاب الجمهرة فقال : « قال أبو بكر إذا اردت أن تؤلف بناء ثنائياً أو ثلاثياً أو رباعياً أو خماسياً فخذ من كل جنس من أجناس الحروف المتباعدة ثم أدر دائرة فوق ثلاثة أخرى حوالها ثم فكها عند كل حرف يمنة ويسرة حتى تفك الأحرف الثلاثة فتخرج من الثلاثي ستة أبنية ثلاثية وتسعة أبنية ثنائية وهذه الصورة :

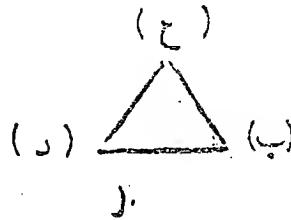
(١)



فإذا نقلت ذلك استقامت من كلام العرب ما تكلموا به وما رثروا



عنه (١) . وإذا استخدمنا الشكل السابق شكل الدائرة أو المثلث :



وأدرنا حروف مادة ع ب د المكتوبة حوله أمكن للتوصل إلى الوجوه الستة التي أشار إليها ابن دريد وهي « ع د ب ، ع ب د ، د ع ب ، د ب ع ، ب ع د ، ب د ع » .

والأساس الثالث في ترتيبه المعجم حسب الأبذية وهو يسير فيه على طريقة الاختليل أيضاً مع بعض زيادات .

والأبذية عند ابن دريد ثلاثية ورباعية وخماسية كالختليل وملحقات كل صنف منها والثلاثي عنده هو الثنائي المضعف والثلاثي معاً .

والكتاب ينقسم بذلك إلى الثنائي المضعف وما يلحق به فالثلاثي وما يلحق به ، فالرباعي وما يلحق به ، فالخماسي وما يلحق به ، فإذا وجد الباحث مشقة في الأبذية السابقة فليتنظر في باب عقده ابن دريد وسماه اللقيف وهو يخالف الصرفيين في تسمية اللقيف فهو عند الصرفيين ما أجمع فيه حرفاً علة ، ويسمى مفروقاً إذ كان واو العين يائي اللام نحو طوى ، ولكن تصريف ابن دريد للقيف يقول « وهو ما التف بعضه على بعض » (٢) .

(١) جوهرة اللغة لابن دريد — الجزء الثالث ص ٥١٣ .

(٢) الجوهرة لابن دريد ص ٣٨٠ ٤٠٦ .

وقد عاب كثير من الباحثين اللغريين (١) المحدثين على ابن دريد هذا الاصطلاح واعتبروه غامضا غير واضح ، وذكروا أن مواد هذا الباب يمكن ادراجه في الأبواب الأساسية فمواد اللفيف فقيرة لا تبرر إضافة هذا الباب ليزيد إرتباك القارئ ، ويذكر ابن دريد منهجه هذا في مقدمة الكتاب فيقول :

« فمن نظر في كتابنا فآثر الهماس حرف ثنائي فليبدأ بالهمزة والباء ان كان الثنائي باء ثقيلة أو الهمزة والهاء وكذلك إلى آخر الحروف ، وأما الثلاثي فإنا بدأنا بالسالم منه فمن أحب أن يعرف حرفا من أبيهته مما جاء على فعل وفعل وفعل وفعل وفعل وفعل وفعل فليتبمع ذلك ن جهور أبواب الثلاثي السالم ومن أراد بناء يلحق بالثلاثي بحرف من حروف الزوائد فإنا قد أفردنا له بابا في آخر الثلاثي تقف عليه مع المغفل ان شاء الله تعالى » (٢) ، ويستمر في ذكر منهجه في الرباعي والخماسي ثم يقول : « فان عسر مطاب حرف من هذا فليطأ به في اللفيف فإنه يوجد إن شاء الله تعالى وجمعنا النوادر في باب فسميناه ، النوادر ( لقلة ما جاء على وزن النماظ نحو ( قهر باه ) و ( طوبالة ) و ( قرعبلانة ) ، . أما باب النوادر الذي ذكره ابن دريد وجعله في آخر الكتاب وهو يبوها في أبواب فرعية تدور كل منها حول موضوع خاص وهي تشبه ما جمعه أبو حاتم السجستاني والاصمعي وأبو زيد في نوادرهم ورسائلهم وكانت هذه الرسائل مقدمة لظهور فن المجامع فهو يذكر ما جاء من النوادر في القوس وصفاتها عند أبي عبيدة وصفات القسي وباب في صفة النحل وغير ذلك ويذكر في باب ما تكلمت

(١) المعاجم العربية : دراسة تحليلية : دكتور عبد السميع محمد ص ١٩ .

(٢) المعجم العربي نشأته وتطوره : دكتور حسين نصار ص ٢٠٥ .

به العرب من كلام المعجم (١) فينقل بعضها مما أخذ من الفارسية مثل الديابوز  
والفصافض ، من الرومية قوس والسنجل ومن النبطية المرعى ومن السريانية  
التلود وشرحجيل إلى غير ذلك . وهو يفيد الباحثين كثيراً بما ذكره في باب  
النوادير ، غير أن كثيراً من الباحثين المحدثين (٢) يعتبرون هذا الباب خارجاً عن  
نظام المعجم ولا يطلق عليه صفة المعجم فيسود هذا الباب الاضطراب ويذكر  
بعضهم (٣) أنه كان ينبغي على ابن دريد أن يضمه في كتاب مستقل ولكنهم  
يعتبرون ما ذكره في النوادر مرجعاً لما يفاد منه حين وضع المعجم التاريخي .

ونستطيع أن نجمل أبواب الجهرة في ست عشر باباً هي :

(١) الثنائي الصحيح : ويذكر أن الثنائي الصحيح لا يكون حرفين البتة إلا والثاني  
ثقل حق يصير ثلاثة أحرف الانظر ثنائي والمعنى ثلاثي - مثل : أبب ،  
أت - ت ، أث - ث ، أج - ج .

(٢) أبواب الثنائي الملحق ببناء الرباعي المكرر وهو ماضع فيه الحرفان مثل :  
ب - ت - ب ، ت - ب ، ب - ب - ب - خ :

(٣) باب الثنائي المعتل وما تشعب منه وذلك ببناء الحرف الصحيح على أحد  
حروف الالة مثل ب أوي وت أوي ، ث أوي ، ج أوي :

(١) جهرية اللغة لابن دريد الجزء الثالث ص ٤٩٩ .

(٢) المعجم العربي نشأته وتطوره دكتور حسين نصار ٢٨ ص ٤٠٥ وأيضا

المعاجم العربية للدكتور عبد السميع محمد ص ٢٠ .

(٣) المعاجم العربية دكتور عبد السميع محمد ص ٢١ .

(٤) الثلاثي الصحيح وما تشعب منه مثل : ب - ت - ث ، ب ت ج ، ب ت ح .

(٥) الثلاثي يجمع فيه حرفان مثلاً و أى موضع من الأسماء والمصادر وما تشعب منه وهو ملحق بما معنى من الثلاثي الصحيح مثل . ب ت ت - ب ت ث - ب ج ج ، ب ح ح - ب خ خ ، ب د د ، ب ذ ذ .

(٦) باب ما لحق بالثلاثي الصحيح بحرف من حروف اللين مثل : (ب ت - و اى) ، ب ث . و - اى .

(٧) الثلاثي المعتل

(٨) باب النوادر فى الهمز وهو ما لحق بأبواب الثلاثي مثل أنت و رزا - .

(٩) باب اللفيف فى الهمز مثل وزأ وبأبأ والشناً .

(١٠) أبواب الرباعى الصحيح مثل جعشب وجرتب .

(١١) الرباعى وفيه حرفان مثلاً .

(١٢) الرباعى ما جاء على فعل وفعل وفعل ومنه علب ، خرب .

(١٣) باب ما يالحق بالرباعى مثل سطر - وضبطر ومنجل .

(١٤) الخماسى ولم يصرح ابن دريد بهذه التسمية إلا فى آخر الباب إذ قال وهذا آخر ابنية الخماسى ، (١) .

(١٥) السداسى ولم يذكر ابن دريد هذه التسمية وإنما ذكرها بقوله وهذه أبواب ألحقت بالخماسى ، .

(١٦) اللغيف ويسميه لغيفا لقصر أبوابه والتفاف بعضها إلى بعض (١).

### مقدمة الجوهرة :

يبدأ ابن دريد كتابه بمقدمة تأثر فيها بالخليل تأثراً كبيراً وخاصة في المسائل الصرتية ، ولقد حفظ في هذه المقدمة آراء عامة لها أهميتها في الدراسات الحديثة وذكر ابن دريد في المقدمة أنه لابد للباحث قبل أن ينظر في كتابه ان يعرف الحروف المعجمية وذكر أن الحروف تسعة وعشرون حرفاً مرجعهم إلى ثمانية وعشرين حرفاً - وهو يميز بذلك على طريقة اللغويين الذين رأوا ان أصول حروف المعجم تسعة وعشرون حرفاً .

إلا أن ابا العباس ( المبرد ) فإنه كان يعدها ثمانية وعشرين حرفاً ويجعل أولها الباء ويدع الألف من أولها (٢) .

ويبين ابن دريد اختصاص العربية بحروف من هذه الحروف الثلاثة والعشرين فذكر أن العرب يختصرون بالحاء والظاء .

قال ابن جنى في سر صناعة الاعراب : اعلم إن الظاء لا توجد في كلام النبط وإذا وقعت فيه قلبوها طاء ولهذا قالوا البرطة ، وإنما هو ابن الظل ، (٣) ، ويشترك العرب مع العجم في قليل من الحروف ويذكر : ان هناك حروفاً تزيد على هذا العدد وقد اسمعتموها العرب ضرورة فإذا اضطرروا إليها حولوها عند التكلم

(١) جوهرة اللغة لابن دريد - ٣ ص ٤٠٦ .

(٢) سر صناعة الاعراب لابن جنى تحقيق مصطفى السقا وآخرين - ١

ص ٤٦ .

(٣) نفس المصدر السابق - ١ ص ٢٣٢ .

بها إلى أقرب الحروف من مخارجها الهاء الحرف بين ( الباء الفاء ) مثل بور ويدخل مباشرة في لهجات العرب استعمالوها مثل الحرف بين القاف والكاف والجيم والكاف وقال « وهي لغة ماثرة في اليمن مثل جمل يقال إذا اضطروا إليه قالوا كل ، (١) » .

ومثل الحرف الذي بين الباء والجيم وذكر البيت المشهور الراجز

وخالي عريف وأبو عليج      المطعمان اللحم بالعشج  
وبالغداة فلق البرمج

وتسمى هذه اللهجة العجعة القضاعية وذكر هذا البيت كثيراً في المصادر ويذكر أيضاً به النسبة يحملونها جميعاً فيقولون غلامج فاذا اضطروا قالوا غلامش . وتسمى هذه اللهجة الكشكشة وهي لبني سعد أو في ربيعة ، ثم ينتقل ابن دريد إلى ذكر صفة الحروف وأجناسها . ويذكر أن الحروف مبعة أجناس ينقسمان إلى قسمين .

المصمتة والمزلة ، والمزلة ستة أحرف والمصمتة اثنان وعشرون حرفاً ، منها ثلاثة حروف معتلة وتسمة عشر صحيحة ، ثم يذكر المصمتة حروف الخاق وهي الهمزة والهاء والحاء والعين والحاء والزين ، ثم يذكر مخارج الهمزة والعين والحاء ويستشهد ببعض الشعر .

وينتقل إلى ذكر حروف أقصى الفم من أسفل اللسان وهي من المصمتة أيضاً فذكر القاف والكاف ثم الجيم ثم الشين ثم حروف وسط اللسان بما هو منخفض وهي السين والزاى والصاد وذكر حروف أدنى الفم وهي عنده التاء والطاء والذال

وأدنى منها أيضا ( الظاء والتاء والذال والغداد ) . ثم ينتقل إلى ذكر الحروف المؤلفة وهي ستة ويقسمها إلى جنسين ( جنس الشفة — وهي الفاء والميم والباء والجنس الثاني وهو بين اسمته اللسان إلى مقدمة الفك الأعلى (الراء والنون واللام) . وبعد أن يقدم طرفا من صفة الحروف وأجناسها انتقل إلى ذكر مخارج الحروف وأجناسها .

ويبدأ حديثه بذكر أفعال النحويين في مخارج الحروف وأجناسها فذكر أن الحروف لها ستة عشر مجرى للحلق ثلاثة : فأقسامها الهاء وأختها الهمزة والألف ثم العين والحاء ، والثالث الغين والحاء ، وينتقل إلى النون فيذكر أدناه إلى الحلق القاف ثم الكاف ثم الجيم والشين من الهاء ثم الباء من وسط اللسان ثم السين والصاد والزاي ثم النون تحت حلقة اللسان واللام قريبة من ذلك والراء ادخل بطرف ( التاء والذال والطاء ) من طرف اللسان وأصول الشايات ثم الفاء — من باطن للشفة — السفلى وأطراف الشايات العليا ثم ( الواو والباء والميم ) من بين الشفتين ثم ( النون الخفيفة ) وهي من الخياشيم ثم ( الظاء والذال والتاء ) بطرف اللسان وأطراف اللسان ثم ( الضاد ) من وسط اللسان .

ثم يذكر صفات هذه الحروف وهي الهمس والجهر والشدة والرخادة والمد واللين والاطباق .

فالْحُرُوفُ الْمَهْمُوسَةُ — الهاء والحاء والياء والكاف والسين والشين والكاف والصاد والتاء والفاء — ويذكر سبب تسميتها بالمهموسة فيقول : « فانما سميت مهموسة لانه انسع لها الخرج فخرجت كأنها متفشية » (١) .

(١) الجمهرة لابن دريد ج ١ ( المقدمة ) ص ٢ .

ثم يذكر الحروف البهريّة فالرخوة ويذكر أنها سميت بهريّة لأن مخرجها لم يتسع فلم تسمع لها صوتاً أما الرخوة فسميت رخوة لأنها تسترخى في الجارى أما حروف اللين فهي ( الواو والياء والالف ) .

والحروف المطبقة وهي الصاد والضاد والطاء والظاء والحروف الشديدة الطاء والسين والجيم .

وباستعراض ما ذكره ابن دريد زاه يقمنا في وضع دام هو علم الأصوات الغوية فقد درس العرب علم الأصوات اللغوية وبنوه على دراسة القراءات القرآنية ويذكر الدكتور عبده الراجحي أن دليل ذلك « ما نجده من عمل أبي الأسود الدؤلى في ضبط القرآن بالنقط من خلال ملاحظة حركة الشفتين » (١) ، وكان الخليل بن أحمد أول من صنف الأصوات بحسب موضع النطق أو حسب الاحيار والخارج . ثم واصل سيبويه طريق الدراسة الصوتية فقدم دراسة للأصوات أكثر دقة ، ويعتبر الدكتور عبده الراجحي (٢) أن دراسة الخليل وسيبويه دراسة علمية واقعية يظهر فيها المنهج العلمى الصحيح . ويرى الدكتور محمود السعران أن « التصنيف المنسوب إلى الخليل لا يبلغ من الدقة والشمول ما يتسم به تصنيف سيبويه لأصوات العربية حسب المخارج ولم يقتصر سيبويه على هذا بل صنف الأصوات على أسس أخرى » (٣) .

أما ابن دريد في وصفه للحروف وأجناسها فهو مقلد لنظام الخليل وتلميذه

(١ و ٢) فقه اللغة في الكتب العربية : دكتور عبده الراجحي ص ١٣٠ .

(٣) علم اللغة — مقدمة للفارمى العربى : دكتور محمد السعران



سببويه وإن كان يتميز بتعريفات مثل : المهموس وهو ما اتسع لها المخرج فخرجت كأنها متفشية (١) .

ثم نرى عملاً رائعاً عند ابن جني في كتابه سر صناعة الاعراب فهو يدرس الأصوات على أساس أنها علم فقال عنه « علم الأصوات والحروف » ونرى عند ابن جني تفصيلات جميلة فقد فرق بين الصوت والحرف (٢) وذكر أيضاً تفصيلات دقيقة لأسماء الحروف وأجناسها ومخارجها وفروعها المستحسنة وفروعها المستقبعة .

وإذا حللنا ما قاله ابن دريد عن الأصوات — واردنا أن نقارن بين ما قاله وآراء المحدثين في هذا الشأن — فالتنا نجد تقارباً في بعض الآراء ، واختلافاً وتوسعا في بعضها الآخر فان دريد عقد للأصوات عنده بعنواين « الأول باب صفة الحروف وأجناسها ، وقد ذكر أن الحروف سبعة أجناس يجمعهم « المصمتة والمزلة » فملزقة ستة أحرف والمصمتة اثنا عشر وعشرون حرفاً ثلاثة منها معتلة وتسعة عشر حرفاً صحاح (٣) ، والمصمتة الصحاح حروف الحلق ( الهمزة والهاء والعين والحاء والغين ) ونجده هنا يبين مخارج هذه الحروف رغم أنه عقد باباً آخر في مخارج الحروف وأجناسها . فالعين والحاء والغين مأخوذ من أفمعي الحلق إلى أدناه والهمزة من مخرج أفمعي الأصوات

(١) الجمهرة لابن دريد — المقدمة ص ٢ .

(٢) سر صناعة الاعراب لابن جني تحقيق مصطفى السقا وآخرين

ص ١٠ .

(٣) الجمهرة للغة لابن دريد — ١ ص ٩ .

والهاء تنزيها وهي من موضع النفس والهاء أرفع منها ، ويذكر جنس حروف  
أسمى الفم أسفل اللسان وهي عنده القاف والكاف ثم الجيم ثم النين ، وجنس  
حروف وسط اللسان بما هو منخفض ( السين والزاى والصاد ) ، وجنس  
حروف أدنى الفم الناء والطاء والذال ، وأدنى منها (١) أيضاً بما هو شاخص  
إلى الخارج الأعلى ( الظاء والطاء والذال والضاد ) ثم يعنون عنواننا للحروف  
المؤلفة وهي ستة عنده لها جذعان جنس الشفة ، الفاء والميم والباء ، والجنس  
الباقى من المؤلفة بين أسئلة اللسان إلى مقدمة الخار الأعلى وهي الراء  
والتون والسلام .

أما باب مخارج الحروف وأجناسها ، فيذكر ابن دريد رأيا ليس له وإنما  
يقول و ذكر قوم من النحويين إن هذه التسعة والعشرين حرفا لها مئة عشر  
يجرى للحن منها ثلاثة لحروف (٢) الهاء والعين والحاء والغين والخاء ويذكر  
يجرى النعم أدناه إلى الحلق القاف ثم الكاف أسفل منها فليلا ثم الجيم والنين من  
الهاء والباء من وسط اللسان ثم السين والصاد والزاى تحت اللسان الايمن ثم  
التون تحت حافة اللسان من الشق الايمن واللام قريبة من ذلك والراء أدخل  
بطرف ، ثم التاء والذال والطاء من طرف اللسان وأصول الثنايا . ،  
ويله أن هذه الحروف يجمعها الهمس والجهر والشدّة والرخاوة والمدة واللين  
والإطباق ويسمى المهمومة لأنه اتسع لها الخرج فخرجت كأنها متفشية  
والجهرورة لأن مخرجها لم يتسع فلم تسمع له صغوتا والرخوة مصميت

(١) من المصدر السابق ص ٧ :

(٢) الجهرة لابن دريد ص ١ المقدمة ص ٨ :

رخرة لأنها تسترخى فى الجارى ، أما حروف المد واللين وهى الواو والباء والالف واما سميت لينه — لان الصوت يمتد فيها فيقع عليها الترتم فى القوافى وغير ذلك .

والحرف المطبقة ( الصاد والضاد والطاء والظاء ) لانها اذا لفظت بها اطبقت عليها حتى تمتع النفس ان يجرى منها (١) .

وكل الذى قدمه لنا ابن دريد حسب موضع النطق أو حسب الاحياز والمخرج يشبه ما قدمه لنا الخليل بن احمد وهو ما يسمى بالاصوات الصامتة Consonants والحركات ( الاصوات الصامتة ) Vowels .

والاصوات عند المحدثين تنقسم إلى قسمين :

#### ١ — علم الاصوات اللغوية : Phonetics

وتبين فيه عادة طريقة نطق الاصوات ومخرجها من جها . النطق الانسانى دون التقيد بلغة الذات .

#### ٢ — علم وظائف الاصوات اللغوية Phonology

وتدرس فيه طريقة تأدية الاصوات لوظائفها فى اللغة (٢) .

ويفرق الباحثون المحدثون بين المصطلحين الاوثنين Phonetics Phonology فيقول د . أبر كروبيج : إن دراسة الصوت اللغوى من جميع نواحيه

(١) الجمهرة لابن دريد ص ١ المقدمة ص ٩ ،

(٢) المعاجم اللغوية فى ضوء دراسات علم اللغة الحديث دكتور محمد

أبر الفرج ص ٦٠ ،

والتحركات الحسية التي تنتج الصوت هي مجال الصوتيات (Phonitica) (١) .

ونرى ج . فندريس يرى أن علم الصوتيات يجب أن يشمل على ثلاثة أجزاء الجزء الخاص بإنتاج الصوت والجزء الخاص بانتقاله والجزء الخاص باستقباله (٢) .

ويجمل القول في هذه التفرقة ما ذكره دكتور كل بشر في تعليقه على كتاب الدكتور السمران ( علم اللغة ) فيما يخص علم الأصوات فقد رأينا الدكتور السمران يذكر الأصوات شاملا لعلى Phonology , phonatics فيذكر أن هذا الاتجاه نحو عدم التفريق بين هذين الفرعين هو ما سارت عليه المدرسة الانجليزية وهو ما يعارض إتجاها أو إتجاين آخرين مشهورين الاتجاه الأول : مرتبط كل الارتباط بفكرة الثنائية في الكلام الانساني ، بفكرة تقسيمه إلى مسامره اللغة Longe وإلى مسامره الكلام الفعلي Parole ، والرأى عند أصحاب هذا الاتجاه هو أن « الفوناتيک » Phonatics وظيفة دراسة اصوات

(١) Studies in Phonitics, Linguistics, Abercroube, p. 16

وقد فرق دكتور ابراهيم أنيس بين المصطلحين في كتابه الاصوات اللغوية وذكر أنطران مايبه في كتابه علم اللسان اننا اما أن ندرس النطق الصوتي بصرف النظر عن المعنى الذي يحمله الحديث فتكون دراستنا متعلقة بعلم الأصوات Phonology واما أن ندرس النطق كوظيفة للمعنى المعبر وعندها ندخل في باب النحو أو المعاجم ( علم اللسان الطران مايبه ملحق بكتاب النحاة المنهجي عند العرب للدكتور محمد

(٢) اللغة ج . فندريس ترجمة الدواخلى والنصاص ص ١٢

الكلام أى دراسة الاصوات الفعلية الحقيقية أما الفونولوجيا فتتناول أصوات اللغة أى الوحدات الصوتية للغة مخزونة فى ذهن الجماعة المعينة .

أما الاتجاه الثانى فينظر إلى الفوناتييك كما لو كان شيئاً لا يندرج تحت علم اللغة أو بحسب ما يفهم من كلامهم ليس فرعاً من علوم اللغة إنما هو علم له استقلال بنوع ما ولكن الدراسات اللغوية فى حاجة إليه حاجتها إلى بعض العلوم الأخرى (١) .

أما الاوصاف التى ذكرها بن دريد عن الجهر والهمس والمسد واللين والإطباق وقد ذكره المحدثون متقارباً مع القدماء ولكنهم اختلفوا فى تعاريف منها فالجمهور « وهو الصوت الذى تصحب نطقهذبذبة فى الاوتار الصوتية والمهموس وهو ما لا تصحب نطقه هذه الذبذبة ، والجهر والهمس ناحيتان تختلف فىهما الاصوات وتتقابل حتى لو اتحدت مخارجها (٢) .

وإذا كان الباحثون المحدثون يقسمون الاصوات فى اللغة إلى قسمين السوامت أو السواكن (Consonants) والحركات أو المصوتات (Vowels)

(١) علم اللغة العام دكتور كمال بشر تقسم الثانى « الاصرات » ص ١١٠ دار المعارف — مصر ١٩٧٠ م .

(٢) علم اللغة : مقدمة للقارئ العربى دكتور محمود السمران ص ١٤٦ وقد فصل الى كثر السمران القول فى الاصرات اللغوية فذكر أعضاء الباطن وصف الاصرات الصوامت الى انجارية وانجارية احتكاكية وشبهه ومنحرفة ومكررة واحتكاكية ومنجادة غير احتكاكية وأشبهه صوامت ( ص ١٦٥ ) وشبهه ذلك ، فمن يربط نطقه الى الذين جيع إليه .

وهي الالف والراو والياء والفتحة والضمة والكسرة والباقي صوامت . فاننا نستطيع أن نميز رأى الباحثين فهم يتسمون هذه الاصوات إلى عدة اعتبارات .

(١) مخرج الصوت وهو المكان الذى يتقارب أو يلتقى فيه طرفان ، أعضاء النطق فلهذا تنقسم إلى ثلاثة أقسام ، ويقسمون الصوامت حسب طريقة خروج الهواء إلى الأقسام الآتية :

- |                        |                             |
|------------------------|-----------------------------|
| أ - الانفجارية         | ب - الانفجارية الاحتكاكية   |
| ج - الغناء             | د - المنحرفة                |
| هـ - المكررة           | و - المستلمة                |
| ز - الاحتكاكية         | ح - المتهددة غير الاحتكاكية |
| ط - أشباه الصوائت (١). |                             |

(٢) اهتزاز الاوتار الصوتية عند النطق

وقد ذكر المحدثون أصغر وحدة صوتية قادرة على التفريق بين معاني الكلمات وسموها ( فونيم ) Phoneme كما تناولوا في دراستهم للصوتيات النبرة ( Stress ) والتنغيم Intonation .

هكذا ما قاله المحدثون وهو يتقارب كثيراً فيما قاله ابن دريد وإن كانوا يختلفون معه في التفاصيل وهو وغيره من علماء اللغة الأول فتحوا

(١) علم اللغة : مقدمة للقارئ الغربى : دكتور محمود السعراى

الطريق المحدثين للدرس والبحث ومعنا شاهد من المحدثين يعترف بعظمتهم  
 هو الدكتور كمال بشر حيث علق على وصف ابن جني للمخارج فقال : وما  
 يؤكد براعتهم ونبوغهم في هذا العلم أنهم قد توصلوا إلى ما توصلوا إليه من  
 سقائق مذهبة دون الاستعانة بأية أجهزة أو آلات تعينهم على البحث والدراسة  
 كما نفعل نحن اليوم (١) .

---

(١) علم اللغة العام القسم الثاني : الاصوات — دكتور كمال بشر داز  
 المعارف ١٩٧٠ ص ١١٩ و ١٢٠ .

## مناقشة منهج ابن دريد في كتابه جمهرة اللغة

بعد أن ذكر ابن دريد صفات الحروف ومخارجها في المقدمة ذكر لنا طرفاً عن الحروف الزائدة وباب الأمثلة وهي الأوزان الصرفية ابتداءً بذكر الثنائي الصحيح وقد ذكر « أن الثنائي الصحيح لا يكون حرفين البتة إلا والثاني ثقیل حتى يصير ثلاثة أحرف ، اللفظ الثنائي والمعنى ثلاثي » (١)

ونستطيع أن ندرك أنه يتحدث عن الثلاثي المضعف ولكن ابن دريد لا يسير على الطريق الذي رسمه فقد كان عليه أن يذكر الثنائي وتقاليبه مثل ب ت ت ، لكنه يقحم سائر المشتقات مما انبثق من اجتماع الحرفين وقد تعقب الدكتور عبد السميع محمد في كتابه « المعاجم العربية » حشو ابن دريد في الثنائي فذكر أنه قال « في مادة د ع ع ، ما سار عليه في بناء الثنائي ومقلوبها « د ع د » ، ولكنه شرح في تفصيل ما الحق بالرباعي من هذه المادة نفسها د ع د ع ، بتكرار حرفيه جميعاً ، وذكر نفس المادة في الملحق بالرباعي بنفس الألفاظ السابقة » (٢) .

وقد تعقبت ما ذكره الدكتور عبد السميع فرأيت أن ابن دريد قد ذكر المادة في باب « الثنائي الصحيح » وذكرها في باب « ما الحق بالرباعي » ، وقد أتى بعكس ذلك عندما ذكر في مادة خ ف ف قال « بعد الحق هذا بالرباعي فقلل منحنى الضبع وهو صوتها وذكر عن أبي الخطاب الاخشاش أنه قال الخفخوف

(١) جمهرة اللغة : لابن دريد ج ١ ص ١٣

(٢) المعاجم العربية دراسة تحليلية : الكتاب الأول دكتور عبد السميع محمد



طائر ولم يذكره أحدا من أصحابنا غيره ولا أدري ما صحته ، (١) فإذا ما انتهى من الثنائي الصحيح وذكر أبواب الثنائي الملاحق ببناء الرباعي المكرر ذكر الحفظة صوت الضبع يقال سمعت حفظة الضبع وحفظة أيضا ، وقد ذكرها بإسهاب في الثنائي الصحيح وأوجزها في الملاحق بالرباعي المكرر ، وبمناقشة بناء الثنائي الصحيح نراه يذكر حروفا محتلة في بعض المواد التي ذكرها مثل قوله في مادة كى ي « الكى مصدر كويت الجرح وغيره أكو به كيا » ، وقوله « في مادة لى ي « لوبت الشيء الويه ليا » وهذه الياء واو قلبت ياء ولويت الغريم ليا وليا إذا مطلته ، (٢)

فهو يذكر كوى ولوى في الثنائي الصحيح رغم انه خصص بابا في الثنائي المعتل وما تشعب منه . (٣)

أما أبواب الثنائي الملاحق ببناء الرباعي المكرر فهو يقصر الشرح في المادة تارة مثل قوله في ب ث ب ث « يشبث التراب ونحوه إذا استثرت به بثبة » ، ويسهب الشرح في بعض المواد الأخرى مثل قوله في مادة بحجج « البجيجة من قولهم بدن بحجاج وهو الممتلىء شحما قال الراجز :

بحجاجة في بدنها البججاج

ومن مذكورها البجيجة وإذا انتقلنا إلى الثلاثي فقد قسمناه إلى ستة أبواب وتشمل أبواب الثلاثي حوالى ثلثي المعجم ، أما أو أقسام الثلاثي وهو أبواب

(١) جمهرة اللغة لابن دريد ج ١ ص ٦٨

(٢) نفس المصدر ج ١ ص ١٢١

(٣) نفس المصدر ج ١ ص ١٦١

الثلاثي الصحيح وما تشعب منه فيذكر المراد حسب ترتيبها الأبعدى فيركب  
 الباء والتاء مع حرف ثالث مما يليها من حروف الهجاء حتى ينتهي من الباب  
 يصنع ذلك مع التاء ويجعل مع كل مادة معكوسها وقد وقع نفس الاضطراب  
 والتكرار في أبواب الثلاثي فقد خلط المعتل بالصحيح مثل مادة ب ن ي ،  
 ب و ه ، ب و ي ، ب ه ي ويذكر الدكتور عبد السميع محمد أن ابن  
 دريد قد اخطأ في اعتبار هاء التانيث أحد الحروف الثلاثة في بناء الثلاثي  
 الصحيح وهو خطأ دون شك ، (١)

ونحن نوافق الدكتور عبد السميع محمد على رأيه ففي مادة ح م ه يقول  
 «اللمة معروفة وقد استقصيناها في الثنائي واللمة مخنفة حرارة السم وليست كما  
 تسمى العامة حمة العقرب ، (٢)

وقد اعترف ابن دريد أننا من الواجب عليه أن يذكرها في الثنائي بقوله  
 « وقد استقصيناها في الثنائي ، .

وأول باب في الملحق بالثلاثي هو «باب من الثلاثي يجتمع فيه حرفان مثلان  
 في موضع العين واللام ، أو العين والفاء أو الفاء واللام من الاسماء والمصادر  
 وما تشعب منهم وهو ملحق بما مضى من الثلاثي الصحيح ، (٣).

فالعنوان مضطرب بعض الشيء وهو يذكر في أوله باب من الثلاثي ثم  
 يذكر في نهاية العبارة وهو ملحق بما مضى من الثلاثي الصحيح ، وهو يذكر هنا

(١) المعاجم العربية : الكتاب الاول دكتور عبد السميع محمد ص ٦٢ .

(٢) جهرة اللغة لابن دريد ج ٢ ص ١٩٦ .

(٣) نفس المصدر ج ٣ ص ١٨٤ .

موداً مثل ب ت ت ، ب ذ ذ ، وواضح أنها كانت تستحق أن توضع في أبواب الثنائي المضعف ، وقد نجد له عذراً ودواً أن هذه المواد التي ذكرها في المعقل الملحق بالثلاثي لا يدغم فيها المثلان ، فيعلم الدكتور حسين نصار على ذلك بقوله « وأول باب في الملحق بالثلاثي مسماه هذا باب من الثلاثي يجتمع فيه حرفان مثلان في موضع العين والسلام أو العين والفاء أو الفاء والسلام من الاسماء والمصادر وما تشب منه ويضع فيه أمثال ب ل ل ، د د ن ، ك ك ع ، وواضح أن الاليق بها أن توضع في أبواب الثنائي المضعف السابقة ولكن المؤلف اكتشف فرقاً بين ما أورده هنا وهناك فهناك يدغم المثلان أما هنا فغير مدغمين وفاته أنهما إذا كانا لا يدغمان في إحدى الصيغ فقد يدغمان في المشتقات الأخرى ، فيزول بذلك الفارق الماهرى الذي اكتشفه وكان عليه أن يتبين ذلك من هذه العبارة التي وردت على أسانه عfra حين قال في آخر هذا الباب أهملت النون والواء والهاء والياء مع الحروف إلا في الهوة وقد مر ذكرها في الثنائي ، (١)

وفي الباب الثنائي من الملحق بالثلاثي وهو « باب ما كان عين الفعل منه أحد حروف اللين » ثم ذكر أبواب الملحق بالثلاثي الصحيح في حروف من حروف اللين وهو يخلط فيه خلطاً كبيراً فقد كان من الواجب أن يضم البابين في باب واحد ولكنا نلتمس له العذر كما ذكر بنفسه أنه أملى هذا الكتاب ارتجالاً « لا عن نسخة ولا تخليد في كتاب قبله ومن نظر فيه فليخاصم نفسه بذلك فيعذر أن فيه تقصير أو تكرير إن شاء . » (٢)

(١) المعجم العربي نشأته وتطوره دكتور حسين نصار ج ٢ ص ٤١١

(٢) جوهرة اللغة لابن دريد ج ١ ص ٢

ثم ينتقل ابن دريد إلى باب النوادر في الهمز وهو يحشد فيها ملاحظات لاحاجة بنا اليها في منهج معجمي وكان من الواجب أن نوضع في النوادر عامة التي ذكرها في نهاية المعجم .

فإذا انتقلنا إلى أبواب الرباعي فقد جعله أربعة أبواب أدخلها الرباعي الصحيح ثم باب من الرباعي فيه حرفان مثلاً ثم باب تعددت الاوزان التي جاءت فيه المواد على مثالها والباب الرابع باب ما يلحق بالرباعي بحرف من حروف الزوائد ، ونجد أبواب الرباعي منتظمة مرتبة غير أن الدكتور عبد السميع (١) محمد عاب عليه فيه أنه حشد فيه مواداً ثلاثية كثيرة وأنه وضع فيه الفاظاً رباعية أصولها من حرفين مكررين وهو ما ألحقه بالثنائي الصحيح من قبل مثل قرقر وجدجد وأنه حشد في الرباعي أبواباً فرعية قصيرة مثل باب ( ما جاء في الشدة والصلابة ، وما جاء في القسوة وما جاء في السرعة وفي المضاعف في السعة والسهولة ) (٢) ، ويرى الدكتور حسين نصار (٣) أنه رتب أبواب الرباعي ترتيباً منظماً ولكنه يذكر أن ابن دريد لم يراع الترتيب في إيراد التتاليب الستة ، وذكر ابن دريد في أبواب الرباعي أبواباً منها باب من الرباعي فيه حرفان مثلاً مثل در دق ، وجدجد ، وقد كرر في هذا الباب ما سبق أن ذكره في الرباعي المضاعف بعد باب الثنائي وباب من الرباعي على فعل وفعل وفعل وقد أورد فيه الألفاظ الرباعي المضاعفة ، الحرف الثالث ، والمدمغة ثم

(١) المااجم العربية : دراسة تحليلية : الكتاب الأول دكتور عبد السميع

مجلد ٦٥ ص

(٢) جمهرة اللغة لابن دريد ج ٣ ص ٣٦٨

(٣) المعجم العربي نشأته وتطوره : دكتور حسين نصار ج ٢ ص ١٨٤

فرع من الباب عنوانا هو « وما يلحق بالرباعي » وذكر فيه كلمات على الأوزان السابقة ولكنها غير مضعفة مثل سبطر وضبطر .. الخ ثم ما جاء على فيعل وفوعل وما جاء على فمل وفعل ، ومن المالحق بالرباعي « باب ما يلحق بالرباعي بحرف من حروف الزوائد . وانتقل إلى باب « ما جاء من الرباعي على فعلل » ولا تختلف الأبواب الملاحقة بالرباعي عن الرباعي .

أما الخامس فقد خصص له عناوين مختلفة منها باب من الزوائد ومنها أبواب لأوزان خاصة مثل ما جاء على أفعيل ومنها ما جاء على أفعلة وأفعيلة وألحق بالخاص ، وإن كان الأصل غير ذلك ، الخ وهو لا يحلل المواد في هذه الأبواب تحليلا لغويا ولا يعقب الدكتور عبد السميع محمد (١) على أبواب الخامس عند ابن دريد ويعتبر الدكتور عبد السميع الملحق بالخاص سداسيا أما الدكتور حسين نصار (٢) فقد اعتبره مضطربا في أبواب الخامس وهذه مقتصرأ

أما أبواب اللانيف فهي قصيرة فقد خصص كل باب لما جاء من مواد على وزن معين مثل باب « ما جاء على فعيلى ، وباب على ما جاء على فعلل .. الخ وقد عرف اللانيف بقوله « اسميناه لفيقا لقصر أبوابه زالات بعضها إلى بعض على عكس تعريف الطرفين ، وفي اللانيف محمد حسدا بعض المراد خارجة عن ميدان المعجم أما الباب الذى يسمى « الغنائر » وقد جمع فيه مائتى باب يعالج فيها النوادر ويدور كل باب حول موضوع خاص فقد نقل فيه عن الأصمعى وأبي حاتم وأبي زيد في نوادرهم ، وهو يعترف بذلك وهذا الباب باب جميل ولكنه يخرج عن نطاق

١ — المعاجم العربية الدكتور عبد السميع محمد الكتاب الأول ص ٦٥

٢ — المعجم العربى نشأته وتطوره : الدكتور حسين نصار ج ٢ ص ٤١٩

المعجم فقد مر بنا رأى بعض الباحثين وهو الدكتور عبد السميع محمد (١) —  
الذى يرى أنه يستحق أن يكون كتابا منفصلا ولكنه يفيد دارس اللغة في هذه  
المراد اللغوية التي ذكرها ابن دريد ويمكن أن يكون أساسا للمعجم التاريخي ؛  
ويرى الدكتور حسين نصار « أن أبواب النوادر لا تقوم في تقسيمها أو ترتيبها  
على أساس معين بل مقسم مرة على الابنية وأخرى على الموضوعات وثالثة على  
بعض الظواهر اللغوية فـيما تحويه من الفاظ هي غاية من الاختسلاط  
والاضطراب ، (٢)

---

١ — المعاجم العربية دكتور عبد السميع محمد ص ٦٦

٢ — المعجم العربي نشأته وتطوره دكتور حسين نصار ج ٢ ص ٢٠٤

## تحليل بعض مواد الجهرة

إذا أخذنا مادة من باب الثنائي الصحيح وهو أول أبواب المعجم مثل مادة (أزز) فيقول فيها : «از يؤز أزا ، والأز الحركة الشديدة وأزت القدر إذا اشتد غليانها وفي كتاب الله تعالى (توزم أزا) والمصدر الأز والأزيز ، الأزاز ، قال رؤبه :

لا يأخذ التأفك والتحنى فينا ولا طبخ العدى ذو الأز

(التأفك) من قولهم أفك الرجل عن الطريق إذا ضل عنها وفي القرآن العزيز (يؤفك عنه من أفك) قال يضرّف عنه وقوله عز وجل (فأنى يؤفكون) أى يصرّفون والله أعلم ، (١) .

وقد بدأ ابن دريد المادة بالفعل اللازم وذكر مصدره ويـتشهد بالقرآن الكريم والشعر ولكننا نلاحظ أنه بدأ يشرح البيت ويستطرد دون اتمام معانى المادة .

وإذا أخذنا مادة من الثلاثى الصحيح وهو أكبر أقسام المعجم مثل (ترع ورتع) نجد ابن دريد يبدأ المادة بقوله «ترع الرجل يترع الاناء إذا ملأته فهو مترع» ، (٢) ، وقد بدأ ابن دريد المادة بالفعل اللازم وذكر مصدره ثم ذكر الفعل المتعدى فى قوله «اترعت الاناء إذا ملأته» ، ونلاحظ انه يذكر للمادة معنيين ، حسى ومعنوى ، ويذكر اسم المنعول للفعل اترع ويذكر علما لمكان

(١) جهرة اللغة : لابن دريد ج ١ ص ١٧ .

(٢) نفس المصدر ج ٢ ص ١٠ .

في قوله « الترة قالوا الروضة وقال قرم الدرجة » ، وهو أمين في علمه فلا ينسب قولاً لغيره إليه إذا لم يطمئن إلى قول قال « والله أعلم » أو قال « لأدرى ما صحته » ثم يذكر مقلوب المادة مبتدئاً بالفعل مرة أخرى « فيقول : ورتعت المشاة ترتع رتوعاً ، ورتعا إذا جاءت وذهبت في المرعى فهي رتع ورتوع ورتانع ورتاع والمرانع مواضعها التي ترتع فيها وفي التنزيل ( أرسله معنا غدا يرتع ويلعب ) (١) » وهو يذكر مقلوب المادة كما نرى الفعل الماضي ومضارع ومصدره ويذكر مصدرين للثلاثي ويذكر جمعا لمفرد لا يذكره في قوله « فهي رتع ورتوع » ورتاع ورتاع » ويذكر اسم المكان « المراتع » ويستشهد بانقرآن الكريم ، ومن تقاليب المادة أيضا عرت ولكنه هنا يبدأ بالاسم فيقول : « والعرت إلك عرت أنفه إذا أخذه بأصابعه فدلكه عرته يعرفه عرنا ورحا عرات مثل عراض سواء وهو الذي يهتز إذا عرته من أوله إلى آخره وقالوا رمح عارت وعاتر أي صلب كأنه مقلوب عن عارت » (٢).

وهو يستشهد بالشعر ويذكر تقاليب المادة مبتدئاً بالاسم فيقول : « والعتر الذبح يقال عتره يعتره عترا ، » ويذكر طرفا من عادات العرب في الجاهلية فيقول « والنتيرة شاة كانت تذبح في الجاهلية في رجب يتقرب بها وكان ذلك في صدر الإسلام أيضا » (٣)

ويذكر مصدر عتر ويستشهد بالحديث الشريف ( على كل مسلم أضحية

(١) جمهرة اللغة : لابن دريد ج ٢ ص ١٠ .

(٢) نفس المصدر ج ٢ ص ١٠ .

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ١١ .



وعتيرة) ويبين نسخ الحديث الشريف للعتيرة بالاضاحي ويستشهد بقول الحارث بن حلزة الذي كان قد حفظ ديوانه في صباه وقت غناء وهو :

عننا باطلا وظالما كما تعتر  
عن حجرة الربيض الظباء  
وقول زهير بن ابي سلمى :

فز عنها وأوفى رأس مرقبة  
كمنصب العتر دى رأسه النسك

ويشرح ما يريد أن يستشهد به في البيت الاول ويذكر طرفا من عادات الجاهليين فيقول « وكان الرجل في الجاهلية يقول إن بلغت غنمي مائة عترة عنها عتيرة فاذا بلغت المائة ضن بالغنم فصاد ظبيا فذبحه عنها (١) » .

وهذه المعلومات مصدر هام لأقوال العرب في الجاهلية وأخبارهم وتحفظ بعض الاشعار التي فقدت لبعض شعراء الجاهلية .

ولذا أخذنا مادة من الملاحق الثلاثي الصحيح بحرف من حروف اللين مثل (ث غ و اى) فهو يقول « الغناء ما جاء به السيل والغناء وصوت الغنم والغوث من قولهم غائيه يفرته غرنا وغيانا وأغائيه يغيبه غائة وهو اللغة العالية وبه سمي الرجل غوثا وغيانا ومغيثا ويغوث صنم معروف والغيث المطر وربما سمي ما نبت الربيع غيثا (٢) » .

وبتحليل هذه المادة نجده بدأ بالاسم ونحوه مباشرة ثم يذكر الثلاثي من الأفعال ماضيا ومضارعاً ومصدره والرباعي ومصدره ويذكر أسماء

(١) جمهرة اللغة : لابن دريد ج ٢ ص ١١ .

(٢) نفس المصدر ج ٣ ص ٢١٩ .

الأعلام ويذكر غرثا وغياثا ومغيثا لرجال ويغوث للصنم ونجده في الملحق  
بالتلثي يطيل في بعض المواد ويفصل في أخرى وكانت تحتاج إلى الإطالة مثل  
هذه المادة .

وإذا انتقلنا إلى الرباعي الصحيح نجده يذكر في باب الباء والضاد في  
الرباعي الصحيح وقد ابتداء بالاسماء ولم يذكر فعلا قال « استعمال من وجوها  
الضبعطى والضبعطى بالعين والغين مقصورتان كلمة يفزع بها الصبيان يقولون قد  
جاءك ضبعطى ويا ضبعطى خذه ويذكر أيضا الضبعطى القوى الغليظ والعنصل  
الصلب ليس بثبت ويستشهد هنا بقول الراجز :

وزوجها ذو ترك ذو ثرى يجزع ان فزع بالضبعطى

وقول الفرزدق :

إذا القنبجئات السود طوفن بالضحي

رقدن عليها الحبال المسجدة

وفي أبواب اللئيف يذكر من المواد ما جاء على الأوزان فذكر مثلا ما جاء  
على فعليل : شرحبيل اسم ودرخمين ويقال درخميل وهو اسم من أسماء الداهية  
وحقيق سىء الخلق وجد قيص قصير زرى .

وذكر في باب ما جاء على ( فعلى ) دفرى ومعزى ودفعلى نبت وحفرى  
نبت وذكرى وحسمى موضع ، قال أبو بكر د نون أبو حاتم في كتاب المذكر  
والمؤنث ذكرى، ومعزى ونجده في باب اللئيف لا يطيل الشرح وهو يعترف  
بذلك في تعريفه لمعنى اللئيف ونراه أيضا يذكر عبارات غريبة وحوشية وهذا  
يخالف المنهج الذى رسمه في اختيار الجهرة .

وإذا انتقلنا إلى آخر أبواب المعجم وهو باب النوادر نراه ينقل أخباراً عن النوادر من كتب الأصمعي وأبي حاتم وهو أمين في نقله لا يعزو شيئاً إلى نفسه ولا ينكر قولاً لصاحبه والباب أخبار لغوية ومصدر لأخبار العرب في الجاهلية ، وطرف من لحهم وعاداتهم وهو يذكر مثلاً في باب « ما جاء من النوادر في صفة النصال » (١) في النصل منخه وهو أصله وغيره وهو وسطه وأصلته وهو مستدقه ، وذكر قول أبي عبيدة فيه « وزعم أبو عبيدة عن أبي خيرة أن العريض من النصال يسمى القهوبة » وهو يفرد أقرالا لبعض اللغويين مثل قرله « باب من نوادر ما جاء في القوس وصفاتها عن أبي عبيدة معمر بن مثنى » (٢) و « باب قال الأصمعي أسماء رحاب الشجر » (٣) « وذكر لنا في باب من النوادر أشياء قال عنها « جمعنا » في هذا الباب ليسهل فصلها » (٤) أسماء المحلات وأسماء الأيام في الجاهلية وأسماء المشهور في الجاهلية وأسماء القداح (قداح الميسر) .

ونستطيع أن نستخلص من تحليل هذه المواد أن ابن دريد كان يبدأ بالفعل بعد أن يجرده من الزوائد في أكثر المواد ويذكر مضارعه ومصدره وأنواع المصدر في الثلاثي ثم يذكر الأسماء ويستشهد بالقرآن الكريم والحديث الشريف ويختفي الشعر القديم ، وهو لا يستشهد بالمولدين وهذا يحتاج إلى تفصيل .

(١) الجوهرة لابن دريد ج ٢ ص ٥٠١ .

(٢) نفس المصدر ج ٢ ص ٥٠٢ .

(٣) نفس المصدر ج ٤ ص ٥٠٠ .

(٤) نفس المصدر ج ٢ ص ٤٨٩ .

## شواهد الجمهوره :

اعتمد ابن دريد في جمهرته على شواهد من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر ، أما القرآن الكريم فقد استشهد به في تفسير بعض المعاني اللغوية ، وإن كنا نعييب عليه أنه يفسر المعاني القرآني حسب المعنى اللغوي الذي يريده ، وقد اتضح ذلك جلياً في دراستنا لكتابه « الملاحن » .

واستشهد بالحديث الشريف وكان الحديث الشريف قد نشأت منازعات في الاستشهاد به منذ استشهد الخليل به وكانت الخلافات تتناول ما هو نوع الحديث الذي استشهد به وكان النزاع أكثر ما كان بين النحويين ، واستقر النزاع على رأي متوسط (١) .

(١) أفاض الشيخ محمد الخضر حسين في مجلة الجمع اللغوي الجزء الثالث في موضوع الاستشهاد بالحديث وقسم الحديث إلى ثلاثة أصناف :

( أ ) صنف لا ينبغى الاختلاف في الاحتجاج به وهو كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ذاته والتي يتدل بها على فصاحته مثل حديث ( حمى الوطيس ) والأحاديث التي كان يتعبد أو أمر بالتعبد بها والأحاديث التي كان يخاطب بها كل قوم بانتمهم إذا صح لفظها والأحاديث التي وجدت بأسانيد مختلفة . . . الخ .

( ب ) الصنف الثاني : أحاديث لا ينبغى الاختلاف على صحتها وهي التي تأخر تدوينها إلى ما بعد فساد اللغة .

( ج ) الصنف الثالث : وتختلف الآراء في الاحتجاج به وهو الحديث المدون في وقت مبكر ولكن بعد فساد اللغة في القرن الثالث تقريباً .

أما الشعر فقد كان ابن ذريرد يستشهد بنشاطه الشعرية وهو لا يستشهد بالمولدين غير أنه ذكر بشار بن برد مرة واعتبره غير حجة (١).

وهو على التمسك من الخليل في استشهاده بالمولدين وإن كان يتفق مع الخليل في انشاد الشواهد الشعرية دون نسبة إلى قائلها وقد بذل مصحح الجهرة جهداً كبيراً في مراجعة كتب اللغة والأدب ليعرف اسم الشاعر ، ومن أمثلة شواهد الجاهليين قوله في مادة (ب) (٢) «الربابة العهد والمعاهدون اربة» ، قال الهذلي أبو ذؤيب :

كانت اربتهم بهز وغرهم      عند الحوار وكانوا معشراً غدرا  
ويروى : نغيرهم عهد الجوار ، وقال آخر هو علقمة :

وكنتم اسراً افضت اليك ربابتي      وقبلك ربتني فضعت ربوب

ومن استشهاده للاسلاميين في العصر الأموي في مادة (ب س س) (٣)  
قول الفرزدق :

ألم تعلم يا ابن الجشع نها      إلى السيف استبكي إذا لم تعقر

منا عيش البولي مرايب الشأى      معاقير في يوم التمام المذكر

وما جبرت إلا على عنم يرى      عرافيتها منذ عقرت يوم صوار

ومن استشهاده بلوجز قوله في مادة (ب ش ش) (٤) قول الرازي :

(١) جهرة اللغة لابن ذريرد ج ١ ص ١٢٧ .

(٢) نفس المصدر ج ١ ص ٢٨ .

(٣) نفس المصدر ج ١ ص ٣٠ .

(٤) نفس المصدر ج ١ ص ٣٢ .

لا يعدم السائل منه وفرا وقبيله بشاشة وبشرا

كال ابن دريد قد رجع إلى مراجع في كتب اللغة والأدب والتفسير والتاريخ

ثبت انه استقى شواهد منها (١).

(١) ذكر محمود بن عمر البغدادي في خزنة الأدب ج ١ ص ٣٠ طبقات الشعراء  
التي يستشهد بها وملخصها أن الجاهليين وهم من كانوا قبل الإسلام  
والمخضرمين وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام مثل لبيد ورحسان  
يستشهد بهما إجماعاً ، أما الطبقة الثانية وهم الإسلاميون الذين كانوا في  
صدر الإسلام مثل جرير والفرزدق والصحيح صحة الاحتشاد بكلامها  
أما المولودون أو المحدثون وهم من بعدهم إلى زماننا مثل بشار وأبي نواس  
الصحيح انه لا يستشهد بكلامها مطلقاً وقيل يستشهد بكلام من يوثق  
بكلامه منهم ،

## اللغات واللهجات في معجم الجمهرة

إهتم ابن دريد باللغات في معجمه إهتماماً كبيراً وبخاصة لغة اليمن وإذا فصلنا الأمر فإننا نقول انه اهتم باللهجات العرب وذكر لغات أخرى غير العربية في آخر كتاب الجمهرة بحربة ومنقولة ودخيلة ، فقد ذكر في معجمه لغات الازد والانصار والبحرين ولغة تمميم وثقيف وأهل الجوف وأهل الحجاز وبني حنيفة وخزاعة وأهل الجوف وأهل السراة وطى وعبد القيس وقيس وأهل المدينة ولغة أهل مكة ومذيل وهمدان وهوازن ، وقد ذكر من لغة اليمن لغة حمير ، ولغة اليمن عامة في كثير من مواضع الجمهرة ، إنما يدل على تعصبه لقرمه على الرغم من أن بعض الباحثين المحدثين وهو الدكتور حنين نصار يعتبر ذكر لغات اليمن في الجمهرة من مظاهر الشك فيها يقول « وركز عنايته باللغة اليمنية خاصة فذكرها في قريب من ٢٢٠ موضعاً وأهل السبب في ذلك أنها لغته الأصلية ، وانه كان متعصباً لأهله من اليمن وكانت هذه الكلمات اليمنية من أهم أسباب ما دار حول الجمهرة من شك ونقد لعدم اتساقها مع المعروف من لغة الشمال ، (١) .

واهتم ابن دريد بالمعرب والدخيل عن الرومية والسريانية والعبرية والنبطية والحبشية والفارسية وقد عقد له فصلاً في الأبواب الملحقة بالمعجم واعتمد أبو منصور الحواشي عليه في كتابه « المعرب » .

ومن مميزات الجمهرة أنه ذكر لغة الرسول — صلى الله عليه وسلم — فذكر في الجمهرة مادة ( د ف و ) من الثلاثي الصحيح فقال : « الدفو مصدر دفوت الجريح ، ادفوه دفوا ، إذا أجهزت عليه ، ودفقت عليه تدفيقا وفي الحديث أن

(١) المعجم العربي نسأته وتطوره : دكتور حنين نصار ٢٠ ص ٤٢٩ .

قوما من جهينه جاموا إلى النبي — صلى الله عليه وسلم — بأسير وهو يرعد من  
البرد فقال ادفوه ، وهو لغته بخير همز فذهبوا به فقتلوه ، وإنما أراد عليه السلام  
ادفئوه من البرد وليس في لغته عاينه السلام الهمز ، (١) .

فإذا استقصينا ما ذكره من لغات العرب فمن الاسد يقول في مادة ( بعل )  
« والعلبة بكسر العين والجمع علب . غصن عظيم من شجرة يتخذ منه مقطرة  
كلغة أسدية » ، (٢) .

وفي مادة ( دعن ) « والدعن لغة أسدية وهو سعف بعضه إلى بعض ويرمل  
بالشريط ويبسط عليه التمر » ، (٣) وغير ذلك من المواضع .

أما لغة الانصار فقد ذكرها في موضع واحد ( مادة بدأ ) قال : « وبديت  
الشيء وبدوت به إذا قدمته بالفتح والكسر وفي بديت وهي لغة الانصار ،  
وأنشده أبو عبيدة لبيد الله بن رواح الانصارى رضى الله عنه :

باسم الاله ربه بدينا ولو عبدنا غيره شقيننا

فحبذا ربنا وحب ديننا (٤)

أما لغة البحرين فقد ذكرها في عدة مواضع منها مادة ( جبر ) فقال تعليقا  
على قول ابن أحرر البالي :

ابعد عطيتي ألفا تماما من الحبـار آزرها الهـراء

(١) جهرة اللغة لابن دريد ج ٢ ص ٢٩١ .

(٢) نفس المصدر ج ١ ص ٣١٦ .

(٣) نفس المصدر ج ١ ص ٢٨٣ .

(٤) نفس المصدر ج ٣ ص ٢٠٢ .



قال : والمراء بلغة أهل نجد الفسيل بغيته وأهل البحرين زعموا أن المراء  
الطلمع ، (١) .

ويستمر في ذكر لغات العرب فيذكر مثلاً لغة قيس في ثلاث مواضع قال  
في باب « من النوادر » وقال قيس طسم الرجل وحفس إذا أغم ، (٢) .

أما لغة اليمن فهي أكثر اللغات وروداً في المعجم فقد ذكر لغة حمير مرات  
ولغات يمنية أخرى كثيراً جداً ومن أمثلة ما ذكره في لغة حمير ما ذكره في الثلاثي  
المضعف مادة ( حل ) قال : والحل الخلال ومنه قولهم هذا لك حل وبل ،  
وقال بعض أهل اللغة بل اتباع وقال آخرون البل المباح لغة حميرية ، (٣) .

وقال في موضع آخر في الثلاثي المضعف في مادة ( بل ) « وقولهم حل وبل  
قال قوم من أهل اللغة بل هاهنا اتباع وقال قوم بل البل المباح لغة يمنية ، (٤)  
ونلاحظ هنا أنه يكرر ما ذكره من قبل في الثلاثي المضعف مادة ( حمل ) في  
لغة حمير وهو خاطئ من جانبه وذكر لغة اليمن بعامة في الثلاثي الصحيح فقال في  
مادة ( ت خ ف ) « الختف السذاب فيما زعموا لغة يمانية ، (٥) .

وفي الرباعي الصحيح قال في باب الباء والهاء في الرباعي « وخرباش  
وخرباش يقال وقع القوم في خرباش أى في اختلاط وخبخ لغة يمانية ، (٦) .

(١) جهرة اللغة لابن دريد ج ١ ص ٢٠٨ .

(٢) نفس المصدر ج ٢ ص ٤٧٩ .

(٣) نفس المصدر ج ١ ص ٦٤ .

(٤) نفس المصدر ج ١ ص ٣٨ .

(٥) نفس المصدر ج ٢ ص ٧ .

(٦) نفس المصدر ج ٣ ص ٣٠٢ .

أما اللغات الأجنبية التي ذكرها ابن دريد في معجمه فقد ذكرها في آخر المعجم مع باب النوارد في باب ( ما تكلمت به العرب من كلام المعجم حتى صار كاللغة ) (١) .

فمن الفارسية يذكر ( الديابوذ ) وهو الدوابوذ بالفارسية أي ثوب ينسج على نيرين ومن الفارسية أيضا الكرد العنق وهي كردن بالفارسية والنصافص فارسية معربة وهي الرطبة أسفت ، ومن الرومية قومس وهو الأمير والسجنجل روى معرب وهي المرأة والقراמיד الآجر يسمى بالرومية قريميدى والاسفطد درب من الخمر فيه أقاويل روى معرب ومن النبطية ( المرعزى ) وأصلها بالنبطية ( مرىزى ) . ومن السريانية ( التاءور ) و ( الرازوق ) وهو السطر من النخل وغيره .

ولكن هل كان ابن دريد يعرف لغات أجنبية غير العربية ؟ يرى الدكتور عبد السمیع محمد في كتاب المعاجم العربية ، ان ابن دريد على ما يبدو لم يعرف غير اللغة العربية فقال « ويبدو أن ابن دريد لم يعرف غير اللغة العربية فقد تحدث عن الحروف التي إستعملتها العرب في الأسماء والأفعال والحركات والأصوات فقال إنها تسعة وعشرون حرفا مرجعن إلى ثمانية وعشرين حرفا منها حرفان مختص بهما العرب دون الخلق وهما الحاء والظاء ، ثم يقول وزعم آخرون ان الحاء في السريانية والعبرانية والحبشية كثيرة وهذا ليس زعما فالحاء موجودة في اللغات الثلاثة ، (٢) .

(١) جمهرة اللغة لابن دريد ٣ ص ٩٩ ، وقد نقل نصوصا كثيرة للنات

الأجنبية وقد أخترت بعضها ٣ ص ٥٠٠ و ٥٠١ .

(٢) المعاجم العربية دراسة تحليلية الكتاب الاول دكتور عبد السمیع محمد

ونعتقد أن ما رآه الدكتور عبد السميع محمد يميل إلى الصواب وإن ابن دريد كان ينقل عن شيوخه ما سمعه أو يدكر كلمات قد شاعت بين العرب ومنهم ذلك من عنوان الباب الذي تحدث فيه عن اللغات الأجنبية وقد ذكر ابن دريد كثيراً من المعرب في مجمعه في مواضع متفرقة غير الباب الذي ذكر فيه ما تكلمت به العرب من كلام العجم وقد ذكر ابن دريد البهرج في باب (الباء والجيم) في الرباعي « والبهرج قد تكلمت به العرب وإن كان فارسياً وكأنه الردى من الشيء (١) » وقد ذكر البهرج في باب ما تكلمت به العرب من كلام العجم فقال « البهرج الباطل وهو بالفارسية نبره » (٢).

وقد علق أحمد محمد شاكر في تحقيقه لمعرب الجواليقي على كلمة « البهرج » كما ذكرها ابن دريد فذكر أنها ذكرت مرتان مرة « البهرج » بفتح الباب ومرة البهرج « بضمها » رغم أن المعنى واحد ورأى أن ضم الباء خطأ من الناسخ أو المصحح » (٣).

وذكر ابن دريد في الرباعي الصحيح « وكرهه موضع لا أحسبه عربياً محضاً والبركان أيضاً كساء برنكانى ليس بعربى » (٤).

وذكر ابن دريد في باب الثنائى الصحيح في مادة د ت ك ك ، « والتكة لا أحسبها عربية محضة ولا أحسبها إلا دخيلاً وإن كانوا قد تكلموا بها قديماً » (٥)

(١) جمهرة اللغة لابن دريد ج ٣ ص ٢٩٨ .

(٢) نفس المصدر ج ٣ ص ٥٥١ .

(٣) المعرب : أبو منصور الجواليقي تحقيق أحمد محمد شاكر هامش ص ٩٦ .

(٤) جمهرة اللغة لابن دريد ج ٣ ص ٣٠٩ .

(٥) نفس المصدر السابق ج ١ ص ٤١ .

وقد علم أحد شاكر على كلمة « التكة » كما ذكرها ابن دريد فقال « وهذا ظن من ابن دريد لم يأت عليه بدليل واصل المادة مستعمل في العربية » (١).

وذكر ابن دريد « الكافور » في مادة « ر ف ك » فقال « فأما الكافور من الطيب فأحسبه ليس بعربي محض ولأنهم ربما قالوا القنور والقافور ، وقد جاء في التنزيل « مزاجهم كافورا » والله أعلم بكتابه » (٢).

ويرى أحمد محمد شاكر « ان ابن دريد لم يأت بدليل على عجمة الكلمة إلا الظن فيه فقال ادى شير فارسيتها كافر أى كالمفطر وايس هذا دليلا كافيا فاحتمال نقل الاسم من العربية إلى الفارسية أقوى ثم أن أصل المادة عربي وقد سمي العرب وعاء طلع النخل كافورا ، (٣) وذكر ابن دريد « المقلد » فقال « المقلد المفتاح فارسى معرب لغة في الاقليد والجمع مقاليد (٤) ويرى أحمد شاكر ان الكلمة عربية خالصة (٥).

ويذكر الدكتور عبده الراجحي في كتابه « اللهجات العربية في القراءات القرآنية » ان المعاجم بطبيعة مادتها تعتبر مصدرا هاما للهجات فقال « وتعتبر المعاجم بطبيعة مادتها مصادر هامة للهجات ولكن كثيراً منها لم يهتم بعزوها إلى قبائلها ، فصاحب اللسان مثلاً لا يكاد يذكر إلا قليلاً جداً من لهجات القبائل

(١) المغرب : للجواليقي تحقيق أحمد محمد لرا كها مش ص ١٣٨ .

(٢) جمهرة اللغة : لابن دريد ج ٢ ص ٤٠١ .

(٣) معرب الجواليقي تحقيق أحمد شاكر هاشم ص ٢١٣ .

(٤) جمهرة اللغة لابن دريد ج ٢ ص ٢٩٢ .

(٥) معرب الجواليقي تحقيق أحمد شاكر هاشم ص ٣٦٢ .

بل إنه يكتفى بقوله لغة فيه أو عند بعض العرب ، والمعجمان اللذان نعتبرهما مصدرين هامين للهجات وبخاصة لهجات اليمن هما : (١) الجهرة لابن دريد إذ تنتشر فيه لهجة أكثرها من اليمن والغريب إنه لم يذكر من لهجات قبيلة الازد إلا سبعة عشرة مادة . (٢) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم لئشوان بن سعيد الحميري وهو في رأينا أهم مصدر لدراسة اللهجات اليمنية (١) .

---

(١) اللهجات العربية في القراءات القرآنية دكتور عبده الراجحي ص ٥٤ دار المعارف سنة ١٩٦٨ .

## الغريب والمهمل في معجم الجهرة

ذكر ابن دريد في مقدمة معجمه انه اختار من اللغة الشائع المستعمل وأرجأ الوحشى المستنكر وجعله ملحقا بأبواب كتابه ، ولكننا نلاحظ أنه كثيراً ما يستعمل الغريب الوحشى في ثانيا معجمه ، وإذا أردنا أن نعرف الغريب والوحشى والمهمل والمستنكر وهذه الألفاظ متقاربة المعنى وتختلف في وجوه ، أما الغريب فهو « أن تكون الكلمة وحشية لا يظهر معناها ويحتاج إلى معرفتها إلى أن ينقر عنها في كتب اللغة المبسوطة » (١) والوحشى من الكلام « ما نقر عنه السمع » (٢) ويقال له حوشى وهو بمعنى الريب ، أما المهمل فقد ذكره السيوطى في المزهرة وقسمه قسمين « درب لا يجوز اتلاف حروفه في كلام العرب البتة ، وذلك كجيم تولف مع كاف أو كاف تقدم على جيم ، وكين مع غين ، أو حاء مع هاء أو غين ، فهذا أمر ما أشبهه لا يأتلف والدرب الآخر ما يجوز تألف حروفه ، ولكن العرب لم تقل عليه وذلك بإرادة مراده أن يقول عضخ فهذا يجوز تألفه وليس بالنافر » (٣) .

فأما الغريب والحوشى عند ابن دريد في الجهرة فنجد أنه أدر ما نجده في باب الرباعى على الأوزان مثل ما جاء على فيعل وفعل وما جاء على فعيل . . الخ مثل قوله رجل حيفس وضخم آلام حيشم صلب شديد ورجل زيفن طويل وفى باب ما جاء على فوعل « الكومج المتراكم الاسنان فى الفم والتولج والدولج وهو الكناس وهردل والهدولة الاقتراب والشو حط نبت تتخذ منه القسي فاذا كان جباليا

(١) المزهرة : جلال الدين السيوطى ج ١ ص ١٨٥ .

(٢) العمدة : ابن رشيق القيروانى تحقيق محمد محى الدين ج ٢ ص ٢٦٥ .

(٣) المزهرة : جلال الدين السيوطى ج ١ ص ٢٤٠ .

فهو نبع وإذا كان سهليا فهو شوحط والحوزل فرخ الحمام وحرشب وهو الرجل العظيم النهمة الجنبين ، (١) .

أما المهمل فقد ذكر ابن دريد المادة المهملة ونص على إهمالها وفعل ذلك في كل مواد معجمه ، فن الثاني المضعف الصحيح ذكر ( ب ظ ) و ( د ف ق ) ونص عليها بقوله « أهملت » وقد يذكر بعض استعمالات المادة من مشتقات المادة المهملة .

ومن أبواب الثلاثي الصحيح يذكر المواد المهملة مثل مادة « ب ث ظ » و « ب ث ث » بقوله « أهملت » ، وأحيانا ينص على أنها مهملة في الثلاثي فقط مثل مادة سحج ، وسحنه قال « أهملت في الثلاثي » ، ويذكر أحيانا أنها مهملة من جميع الوجوه أو إهمالها مع حروف أخرى مثل قوله في « شحظ » ( أهملت ) ، وكذلك حالها مع العين والغين .

أما الرباعي الصحيح فيقل المهمل عند ابن دريد وقد ذكر استعمال بعض المواد من وجوها مثل قوله د في باب الباء والشين في الرباعي الصحيح استعمال من وجوها الشنذب ، وفي باب الباء والطاء في الرباعي الصحيح استعمال من وجوها القعظبة ، وفي باب الفيف وباب النواذر فيذكر ابن دريد أنواعا من المهمل ونراه يذكر مراداً غاية في الغرابة تحتاج إلى معجم آخر يمرحها ، ونجمل القول أن ابن دريد خالف منهجه في اختياره الشائع فقط ، فقد ذكر مواداً غريبة وحرشية في معجمه وإن كان قد أثير من المستنكر والحوشى في نهاية المعجم ، كما ذكر في مقدمة الكتاب :

## معنى الكلمة ومدلولها في معجم الجمهرة

قبل أن ندرس الكلمة ومعناها عند ابن دريد يجب أن نشير إلى دراسة المعنى أو الدلالة عند المحدثين فقد ذكروا علم الدلالة أو علم المعنى أو علم السيمانتيك . فيذكر الدكتور تمام حسان في كتابة مناهج البحث في اللغة « إن علم الدلالة أو علم المعنى أو علم السيمانتيك فرع من فروع الدراسات التي تناولها بالبحث أنواع من العلماء مختلف موضوعاتهم فالفلاسفة والفكرين وعلماء النفس والأثروبولوجيا والادباء والفنانيين والاقتصاديين وعلماء الدراسات الطبيعية » (١) ، ويذكر الدكتور تمام حسان أيضا انه اختلف في الاسم والأفكار الدالة في نطاق العلم فيذكرون الاسماء .

وقد حدد هذا العلم وأفكاره الأولى بريال على أساس تاريخي ويقسم الدكتور تمام حسان علم الدلالة إلى علم الدلالة التاريخي وعلم الدلالة الوصفي والأول يدرس تغير الدلالة من عصر إلى عصر أما الثاني فيدرس المعنى في مرحلة معينة من مراحل تاريخ اللغة . وقد كتب الدكتور محمود السمران عن علم الدلالة فقال : أنه فرع من فروع علم اللغة وهو غاية الدراسات الصوتية والفونولوجية والنحوية والقاموسية (٢) . ويذكر الدكتور محمود السمران أن تغير المعنى غالباً ما يكون صدى لتغير الميول الاجتماعية ومن أنواع التغير الدلالي الذي يذكر :

١ — التغير الانحطاطي أو الخافض وهو ما كان في نظر الناس قويا نسبياً ثم

(١) مناهج البحث في اللغة : دكتور تمام حسان ص ٢٤٠ .

(٢) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، الدكتور محمود السمران ص ٢٨٥ .



تحولت هذه الدلالات فصارت دون ذلك حرفية ثم التغير المتساوى وهو عكس التغير السابق .

٢ — التغير نحو التخصيص أو تخصيص المعنى وهى ألفاظ تستعمل للدلالة على طبقة عامة من الأشياء ثم أصبح مجالها ضيقا .

٣ — التغير نحو التعميم أو تعميم المعنى .

٤ — التحول نحو المعانى المضادة وهو ما يعرف فى لغتنا بالاضداد وهناك التغير الدلالى والاستعمال النحوى والتغير الدلالى والتاريخ الثقافى (١) .

ويقسم الدكتور ابراهيم انيس فى كتابه دلالة الالفاظ (٢) بعد أن حلل عبارة لغوية أنواع الدلالات إلى :

١ — دلالة صوتية وهى تستمد من طبيعة الأصوات ومن مظاهرها ما يسمى بالنغمة الكلامية Intonation وتلاب هذه النغمة فى بعض اللغات دورا هاما .

٢ — دلالة صرفية .

٣ — دلالة نحوية .

٤ — دلالة معجمية .

وقد اهتم المحذون بالدلالة الاجتماعية فجعلوا منها فرعا دراسيا مستقلا سموه Semantics ، ويميل بعضهم إلى التفرقة بين الدلالة المعجمية والدلالة الاجتماعية ، إذ أن المعاجم وإن كانت مهمتها الأساسية هى

(١) علم اللغة مقدمة للقارئ العربى ، الدكتور محمود السمران ص ٢٥٥ .

(٢) دلالة الالفاظ ، الدكتور ابراهيم انيس ص ٤٤ .

توضيح تلك الدلالة الاجتماعية غير أنها تعرض لبحث مسائل تجرى على غير المؤلف ويرى من الضروري النص عليها ولقد أدرك هذه الحقيقة العلمية معظم أصحاب المعاجم العربية القديمة وهم في غالب الأحيان لا ينصون إلا على الصيغ الغربية على القياس ولاضطراد في ظواهر اللغة ، ويرى الدكتور إبراهيم أنيس « إن معاجمنا العربية القديمة لم تلتزم هذا الطريق السوى في عرض مفرداتها بل جمع بعضها بين المفرد القياسي والشاذ والسماعي في كثير من الأحيان (١) . أما الدكتور على عبد الواحد فيذكر في كتابه علم اللغة أنواع التطور الدلالي فيقسمه إلى ثلاثة أفرع أحدهما تطور يلحق القواعد المتصلة بوظائف الكلمات وتركيب الجمل وتكرين العبارة وثانيها تطور يلحق بالأساليب وثالثها تطور يلحق معنى الكلمة نفسه (٢) .

وينذكر الدكتور عبده الراجحي في كتاب فقه اللغة في الكتب العربية عن

#### (١) دلالة الألفاظ الدكتور إبراهيم أنيس ص ٥١ .

(٢) علم اللغة الدكتور على عبد الواحد وفي ص ٣٨٧ ، ٢٨٨ هـ. هذا وقد وضع صورة تفسير المعنى في المعاجم العربية الدكتور محمد أبو الفرج في كتاب المعاجم العربية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث من ص ١٠٠ إلى ص ١١٥ وذكر وسائل تفسير المعنى للمعاجم العربية إلى خمسة أقسام : ١ - تفسير بالمغايرة ٢ - تفسير بالترجمة . ٣ - تفسير بالمصاحبة . ٤ - تفسير بالسياق و السياق اللغوي . ٥ - السياق الاجتماعي - السياق السببي . ٥ - التفسير بالصورة وهي دعوة حديثة لم تذكرها المعاجم القديمة .

ارجع إلى كتاب المعاجم العربية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث

الدكتور محمد أبو الفرج من ص ١٠٠ إلى ص ١١٥ .

فضية المعنى « أما العرب اهتموا اهتماما كبيرا بقضية المعنى لأنه يتصل بالأصل الذي صدرت عنه حركاتهم الفعلية كلها بما نعاها في كتب التفسير والأصول والفقه والشروح — المختلفة التي وضعوها للفن القولي شعره ونثره ومع أن هذه الأعمال كانت تعرض لأسباب النزول أو لمراتب البيان أو لمقتضى الحال أو غير ذلك من الجوانب التي تهم ظروف الكلام من قريب فإن دراستهم على المستوى الدلالي لم تكشف عن منهج واضح (١) ، وإذا حاولنا أن نستكشف مفهوم المعنى أو الدلالة عند ابن دريد في معجمه فإنا نرى أنه كان يسير بمفهوم المعنى كما نرى عند تحليلنا لبعض مراده ومثال ذلك في مادة جرس « الجرس صوت خفي يقال ما سمعت له جرسا أي ما سمعت له حسا فإذا قالوا ما سمعت له حسا ولا جرسا كسروا واتبعوا اللفظ وسمعت جرس الخيل إذا سمعت صوت مفاخيرها على شيء تأكله وفي الحديث فيسمعون جرس طير الجنة (٢) . وهو هنا يذكر السياق المغوى والتفسير بالسياق ويهتم بالتفسير بالترجمة فقال « والجرس والجمع أجراس الذي تسميه البجاة جرسا بالصاد واشتقاقه من الجرس أي الصوت والحس وليس يجمع في كلام العرب جيم وصاد في كلمة ثلاثية ولا رباعية إلا ما لا يثبت فاما الجرس فنارسي معرب (٣) . وهو هنا يذكر الكناية المعربة وهي الجرس ويشرحها ونجد أنه حين يقول ولا أدري ما صحته . ولا يهتم ابن دريد بالدلالة الاجتماعية إلا ما يذكره من لغات الترب في بعض المواد ولا يهتم بالدلالة النحوية أما ما ذكره من الدلالة الصرفية فعليه هجوم كبير وخاصة من جانب ابن جني الذي هاجمه في كتاب الخصائص هجوما صريحا محصا .

(١) فقه اللغة في الكتب العربية - الدكتور عبد الرزاق - طبع بيروت ١٩٦٩

(٢) الجمهرة - ابن دريد ٢٠ ص ٧٥ .

(٣) نفس المصدر ٦ ص ٧٦ .

## المهاجمون للجمهرة

هو جت جمهرة اللغة أيام ابن دريد وبعده على يد علماء ثقات وكان أول المهاجمين إبراهيم بن محمد بن عرفة الملقب بنفطويه المتوفى عام ٣٢٣ هـ . وكان نفطويه معاصراً لابن دريد ويذكرون عنه ، إنه كان صدوقاً حافظاً وكان متقماً في العلوم وكان ينكر الاشتقاق في كلام العرب . (١)

وقد تهاجى ابن دريد ونفطويه وكان نفطويه قد هجا ابن دريد بقوله :

ابن دريد بقرة وفيه عى وشرة  
ويدعى من حقه وضع كتاب الجمهرة  
وهو كتاب العين إلا أنه قد غيره

ويرد عليه ابن دريد بهجاء طريف فيقول :

لو أنزل الوحي على نفطويه      لكان ذاك الوحي مسخفاً عليه  
وشاعر يدعى بنصف اسمه      مستأهل للصفع في أخذه عليه  
اف على النحو وأربابه      قد صار من أربابه نفطويه  
أحرقه الله بنصف اسمه      وصير الباقى صراخاً عليه (٢)

ونفهم من هجاء نفطويه لابن دريد أنه يتهمة بسرقة كتاب العين وتغييره وتعميده بالجمهرة . ولكن هجرم نفطويه لم يقوم على أساس ولا دليل ولذلك فقد ذهب الدكتور حسين أمداد إلى ضعف رأى نفطويه وقال مقارناً بين ابن دريد

(١) أنباء الرواة في أنباء النحاة للقفطي ج ٣ ص ١٦٥ .

(٢) المزهري في علوم اللغة جلال الدين السيوطي ج ١ ص ٤٧ :

وبين الخليل « وسبب اختلاف الاثنين في الصوغ والشواهد رجوع ابن دريد إلى مراجع أخرى غير العين ولدينا فهرس بهذه المراجع في آخر المجلد الرابع يظهر منها أنه اطلع على كتب في اللغة والأدب والتفسير والتاريخ ويتضح من المواد نفسها أنه اعتمد كثيراً من شواهد القرآنية وتفسيرها بل أكثرها من أبي عبيدة وإن تحرز من بعضها وشك فيه وكل هذا يجعلنا ننكر على نخطويه طعنه في الجهرة وأدعائه أنها مسروقة من كتاب العين (١) . وقد دافع السيوطي عن ابن دريد معلقاً على هجره نخطويه عليه فقال : « وقد تقرر في علم الحديث أن كلام الاقران في بعضهم لا يقدح (٢) ونستطيع أن نجمل القول أن رأى نخطويه في الجهرة واعتبارها مسروقة من العين لا يقوم على دليل فهو يقوم على غير شخصية وعداوة مستكنة لابن دريد فكتاب الجهرة يختلف عن كتاب العين في وجوه كثيرة وقد اعترف ابن دريد في مقدمة الجهرة أنه ينير تلى درب الخليل ولو كان سارقاً لآخى ملاح السرقه ثم أن في الجهرة زيارات كثيرة على العين كانت من الكثرة بحيث اعتمد عليها التيماني في كتابه الموعب ثم ان نخطويه هو الوحيد الذي اتهم ابن دريد بسرقة الجهرة ولم يتهمه كبار اللغويين في عصره وبعد موته بالسرقه بل ان كثيراً من اللغويين اللاحقين اعتمدوا على الجهرة في تأسيس معاجمهم مثل ابن فارس في كتابه مقاييس اللغة والمجمل .

وكان ثاني المهاجرين أبو منصور الأزهري المتوفى عام ٢٧١ هـ في كتاب التهذيب ، وقد ذكر الأزهري الأئمة الذين اعتمد عليهم فيما جمع من المكناس

(١) المعجم العربي نشأته وتطوره ابدكثير حسين نصار ج ٢ ص ٤٢٨ .

(٢) المزهري في علوم اللغة ج ١ ص ٩٤ .

في مقدمة المعجم فنذكر من الطبقة الأولى أبو عمرو بن العلاء وخلف الأحرار  
 والمنمضل الضبي ومن الطبقة الثانية أبو زيد الأنصاري وأبو عبيدة معمر بن المنشى  
 والكسائي وأبو عمرو الشيباني والاصمعي ومن الطبقة الثالثة أبو عبيد الاسم  
 بن سلام إلى غير ذلك من العلماء الذين اعتمد عليهم في كتابه (١) . وبعد أن  
 فرغ من ذكر الاثبات المتقنين في رأيه بدأ في ذكر أقوام اتسموا بشمة المعرفة  
 وعلم اللغة وألفوا كتباً أودعوها الصحيح والتقبل وحشوها بالمازال المفسد  
 والمصحف المغير الذي لا يتميز ما يصح منه إلا عند التقارب للبرز والعالم الفطن  
 لنحذر الاغمار اعتماد ما دونوا والاستئانة إلى ما ألفوا وذكر أول ذلك الليث  
 بن المظفر يقول عنه انه الذي فحل الخليل بن احمد تأليف كتاب العين جملة لينفقه  
 باسمه ويرغب فيه من حوله (٢) ، ثم يهاجم الجاحظ المتوفى ٢٥٥ هـ وابن قتيبة  
 المتوفى عام ٢٧٦ هـ ثم يهاجم ابن دريد هجومًا عنيفاً فيقول «ومن ألف في  
 عصرنا الكتب فوسم بافتعال العربية وتوليد الألفاظ التي ليس لها أصول  
 وإدخال ما ليس من كلام العرب في كلامهم أبو بكر محمد بن الحسن ابن دريد  
 الأزدي صاحب كتاب الجهرة وكتاب اشتقاق الأسماء وكتاب الملاحن وحضرته  
 في داره غير مرة فرأيت يروى عن أبي حاتم والرياشي وعبد الرحمن بن أخي  
 الاصمعي فسألت إبراهيم بن محمد بن عرفة الملقب بنفطويه عنه فاستخف به ولم  
 يوثقه في رواية ودخلت يوماً عليه فوجدته مسكران لا يكاد يستمر لسانه على  
 الكلام من غلبة السكر عليه وتصفحت كتاب الجهرة له فلم أره دالاً على معرفة

(١) مقدمة تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري ج ١ ص ٥٤ وغيرها تحقيق

عبد السلام هارون .

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ٣٨ .

ثاقبة وعثرت منه على حروف كثيرة ازالها عن وجوها وأوقع في تضاعيف الكتاب حروفا كثيرة أنكرتها ولم أعرف مخرجها فأثبتها من كتابي في مواقعها فيه لأبحث عنها أنا وغيرى ومن ينظر فيه فان صحت لبعض الائمة اعتمدت وان لم ترجد لغيره وقفت (١).

وبعد أن يهاجم آخرين مثل الحارزنجي وأبا الازهر البخارى يذكر انه سيبين ما أخذوا فيه ابن دريد أو ما شكك فيه فيقول «ولم أودع كتابي هذا من كلام العرب إلا ما صح لى سماعا منهم أو رواية عن ثقة أو حكاية عن خط ذى معرفة ثاقبة اقترنت اليها معرفتى اللهم إلا حروفا وجدتها لابن دريد وابن المظنر فى كتابيهما فتبينت شكى منهما زارتياى بها وستراها فى مواقعها من هذا الكتاب» (٢).

ونستطيع أن نلخص التهم التى وجهها أبو منصور الازهرى لابن دريد فى الجهرة فى الآتى :

١ — افتعال العربية وتوليد الالفاظ التى ليس لها أصول وإدخال ما ليس من كلام العرب فى كلامهم وذاqueطيع أن نفهمها بمعنى الكذب وصنع الالفاظ وندافع عن ابن دريد ونقول انه لم يكذب فى كتابه فإنه كان ينقل عن العلماء الثقة ويذكر كتبهم وإذا لم يعرف أصل الكلمة أو صحتها يقول ولا أدري ما صحتها وأما إدخال ما ليس من كلام العرب فى كلامهم فيتقصد

(١) مقدمة تهذيب اللانة لأبى منصور الازهرى — تحقيق عبد السلام

هارون ج ١ ص ٢١ .

(٢) نفس المصدر ص ٤٠ .

به المعرب والدخيل والمولد فلم يذكره ابن دريد من تأليفه وإنما نقلها  
وكان دائما يقول وما أدري ما صحتها أو هكذا يقولون . وأما اعتقاد  
الازهرى على زعمه في الهجوم على ابن دريد فقد فصلنا فيه سابقا وعرفنا  
أنها كانت عدوين وكان زعمه يتحدد على ابن دريد ويغار منه .

٢ — شرب ابن دريد للخمر وهى تهمة شخصية محضنة ونستطيع أن نقول أن  
— الناحية الشخصية لا تنقص علم العالم ولا نستطيع أن نصدق أن رجلا  
مثل ابن دريد أخرج لنا من أمهات الكتب مثل الجهرة والاشتقاق والمجتبى  
قد اختل عقله أو سقط قدره .

٢ — التصحيف ، وأما التصحيف فهو ما يقع فيه العلماء وقد ذكروا لابن  
دريد تصحيفا وقد أشار الناشر إلى مواضع مصحفة من الجهرة ومن  
الألفاظ التى أنكرها الازهرى على ابن دريد فى معجمه ما قال فى باب  
العين والهاء مع الطاء « وقال ابن دريد الهطيع الطريق الواسع قلت ولم  
أسمع الهطيع بمعنى الطريق لغيره وهو من مناكيره التى ينفرد بها (١) » .  
وفى باب العين والحاء مع الثين « وقال ابن دريد خشع الرجل خراش  
صدره إذا رمى بها قلت جعل جشع واقعا ولم أسمعه لغيره وقال مادة  
قذع « وقال ابن دريد ذعقه وزعقة إذا صاح به وافزعته قلت وهذا من  
زيادات ابن دريد . وأحيانا يذكر الازهرى رأيا لابن دريد ويعترف  
بصحته فلا يعلق عليه قال فى مادة عرض « وقال ابن دريد يقال جعلت

(١) تهذيب اللغة أبو منصور الأزهري — تحقيق عبد السلام هارون



فلانا عرضه لكذا وكذا أى نصيره له قلت هذا قريب مما قاله  
التحريون (١):

ونستطيع أن نرى أن الازهرى كان مضطربا فى الهجوم على ابن دريد فهو  
حاقد عليه ويريد أن يكون كتابه صاحب المنزلة الاولى بين المعاجم التى سبقته  
والتى لحقته — هو يريد أن يمحى جهود اللغريين الاوائل الذين شاركوا فى  
رفع أسس العربية وفرق كبير بين الازهرى وابن دريد الذى مدح السابقين من  
اللغريين واعترف بفضلهم وافتدى بهم وبين الازهرى الذى هاجم كتاب العين  
ولكنه سار على منهجه وينكر على ابن دريد ألفاظا ويثبت أخرى وهو لا يفسر  
ما يريد أن يهاجمه هجوما غامضا لا أدلة معه ولا إقناع .

أما الهجوم الثالث فكان من ابن جنى المتوفى عام ٣٩٢ هـ فى كتاب —  
الخصائص الذى هاجم الجهرة من الناحية الصرفية ، يقول ابن جنى فى كتاب  
الخصائص : « وأما كتاب الجهرة ففنيه أيضا من اضطراب التصنيف وفساد  
التصريف مما أعذر واضعه فيه لبعده عن معرفة هذا الامر ولما كتبه وقتت فى  
متونه وخراسيه جميعها من النيبه على هذه المراضع ما استحييت من كثرته ثم انه  
لما طال على أو مات إلى بعضه وضبت البتة عن بعضه (٢) .

ونفهم من كلام ابن جنى انه يهاجم جهرة اللغة فى شيئين :

١ — اضطراب التصنيف (ونستطيع أن نفسر ذلك بالاضطراب الذى وقع فيه

(١) تهذيب اللغة : أبو منصور الازهرى — تحقيق عبد السلام هارون

ج ١ ص ٢١٤ .

(٢) الخصائص ، ابن جنى ج ٢ ص ٢٨٨ .

قال ابن دريد في منهجه كما وضعنا سابقا وهو محق في هجومه هذا .

٢ — فساد التصريف ويعنى به ابن جنى فساد الأبنية العرفية في كتاب الجماهرة ونفهم من حديثه أنه كتب الجماهرة بخطه وأنه كان معترفا بها ومواعها بالنظر فيها فاجتلب نسخة لنفسه وخطها وأنه أشار إلى خطأ ابن دريد في التصريف وقد رآه كثيراً فاضرب عن بعضه وأشار إلى بعضه الآخر ولم تصلنا نسخة ابني جنى من الجماهرة التي أشار إلى الخطأ فيها وإذا نظرنا إلى أهم كتب ابن جنى مثل الخصائص وسر صناعة الاعراب وشرح كتاب التصريف للمازني لم نجد إلا قليلا من الهجوم على ابن دريد ففي كتاب التصريف للمازني الذي شرحه ابن جنى ذكر ابن جنى اختلاف أهل اللغة في لفظ منجنيق ثم ذكر رواية ابن دريد حول هذا المعنى قال: «وأخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة وأحسب أن أبا عثمان أيضا أخبرنا به عن التوزي عن أبي عبيدة قال سألت اعرابيا عن حروب كانت بينهم فقال كانت بيننا حروب عون تنفأ فيها العيون مرة ثم نمجنق وأخرى نرشق قال فقوله نمجنق دال على أن الميم زائدة ولو كانت أصلية لقال نمجنق على أن المنجنيق أعجمي معرب فهذا قول ابن دريد كما تراه» (١).

ثم يعلق على رأى ابن دريد ويختمه ، ويدافع عن ابن دريد جلال الدين السيوطي بعد أن ذكر رأى ابن جنى في الجماهرة فقال «قلت مقصوده الفساد من حيث أبنية التصريف وذكر المواد في غير محالها كما تقدم في المين ولهذا قال أعذر واضعه فيه لبعده عن معرفة هذا الأمر يعنى أن ابن دريد قصير

(١) شرح كتاب التصريف الذى ألفه أبو عثمان المازني — شرح ابن جنى

الباع في اللغة وكان ابن جنى في التسميف إماما لا يشق غباره ، فلذا قال ذلك ، (١) .

ونستطيع أن نذكر المآخذ التي وجهها جميع المهاجرين الجمهرة وتتلخص فيما يلي :

١ — الكذب وصنع الالفاظ : وقد رماه الازهرى كما رأينا بهذه التهمة ورددنا عليه ذلك .

٢ — انتراده بأشياء لم توجد في كتب المتقدمين قال المسعودى فى مروج الذهب « أورد أشياء فى اللغة لم توجد فى كتب المتقدمين (٢) . وقد اهتم ابن دريد بظاهرة الأفراد فذكر فصلا فى معرفة الأفراد ونقل كثيرا منها فى الجهرة فن إفراد أبى زيد الانصارى قال فى الجهرة « المنشبة الممال هكذا قال أبو زيد ولم يقله غيره (٣) ، ومن افراد الخليل قال فى الجهرة الرت والجمع رتوت وهى الخنازير الذكور ولم يحىء به غير الخليل (٤) .

٣ — إكثاره من الالفاظ المولدة والمريبة وقد عقد السيوطى فى المزهرة فصلا سماه « النوع العاشر معرفة الضميف والمذكر والمتروك من اللغات ، وقد اعتمد السيوطى على الجهرة فى أغلب الأحيان .

٤ — التصحيف وقد اتهمه الازهرى بذلك كما مر بنا ورأينا انه كان محققا فى

(١) المزهرة فى علوم اللغة للسيوطى ج ١ ص ٩٣ .

(٢) مروج الذهب للمسعودى ج ٤ ص ٤٣٢ تحقيق محمد محيى الدين .

(٣) الجهرة ابن دريد ج ١ ص ٢٩٤ .

(٤) نفس المصدر ج ١ ص ٤٠ .

إمامه بعض الشيء ولكن يكفى أن ابن ديد أملى الجهرة من حفظه عدة مرات فلا يسلم من الخطأ .

٥ — مخالفته لمنهجه الذى رسمه واضطرابه فى خطته التى ذكرها وقد أوضح انه قصد الجمهور السائع وأرجأ الغريب المستنكر ولكن من يعنى بقراءة الجهرة يرى بين ثناياه اهتماما بالغريب والشاذ .

٦ — تقصيره فى شرح الالفاظ الدالة على الحيوان والنبات والآلات مكتفيا بالتعقيب عليها بأن هذا شيء معروف وهذا أمر درج عليه اللغويون فى كتبهم ويظهر أن عدم معرفتهم فى الأشياء أو وضوحها لدى الافهام فى هذه الحقبة جعلتهم يقفون هذا الموقف .

٧ — ذكره تقاليب الكلمة فى موضوع واحد مما يجعل البحث فيها عسيراً ونستطيع أن نضيف إلى هذه العيوب ما يهاجم به المحدثون أغلب المعاجم العربية القديمة وابن دريد إمامهم ، فقد ذكروا أن هذه المعاجم لا تواجه تماماً حاجة العصر ومقتضياته فى شروحه غموض وفى بعض تعاريفه خطأ وفى تبويبه لبس وأبى أصحاب المعاجم إلا أن يقفوا باللغة عند حدود زمنية ومكانية ضيقة ففقدت كثيراً من معالم التطور (١) . وذكر الدكتور على عبد الواحد وافى فى كتاب علم اللغة عن المعاجم العربية القديمة ، وهذا النوع من المعجمات قليل الفائدة للباحث فى علم اللغة وذلك أن مؤلفيها قد وجهوا كل عنايتهم إلى ذكر معانى الكلمات والاستشهاد عليها أحياناً فى القرآن والحديث والمأثور من كلام العرب

والكنهم أغفلوا اغفلاً تاماً تعقب كل كلمة في مراحل حياتها وشرح تطورها  
في مختلف العصور وبيان الأصول التي انحدرت منها وما إلى ذلك من  
مسائل اليكسيكولوجيا والانيمرولوجيا التي تشغل الآن أكبر حيز في  
المعجمات الأفرنجية الحديثة (١).

وإتصافاً لابن دريد نذكر مميزات الجهرة وقيمتها اللغوية من خلال  
دراساتها :

١ - اهتم ابن دريد اهتماماً كبيراً بشرح الألفاظ شرحاً مستفيضاً مع ذكر  
تقاليب الكلمة في سهولة ويسر فخلد لنا تراثاً لغوياً كان من الممكن أن  
ينقذه الزمن .

٢ - استشهد بمأثور كلام العرب والقرآن الكريم والحديث الشريف وشعر  
العرب الخالص وكان يحاول شرح الأبيات ويعلق عليها وبذلك جمع لنا  
تراثاً أدبياً لشعراء لم يكن لهم ديوان أو ضاع ديوانهم .

٣ - اهتم بالقراءات القرآنية وتوجيهها وقال في مادة ( برك ) « والكبر ضد  
الصغر كبر كبراً إذا أسن وتكبر إذا تعظم وكبر الشيء معظمه وقد قرئ  
قوله جل وعز « والذي تولى كبره وكبره والذي قرأ كبره حميد بن قيس (٢)  
وقال في مادة ( برو ) « والربوة والرباة واحد وهو العلو من الأرض وقد  
قالوا ربوة وربوة وقد قرئ « إلى ربوة وإلى ربوة » فأما ربوة فقرا

(١) علم اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي ص ٦٨ .

(٢) الجهرة لابن دريد ج ١ ص ٢٧٤ .

به ابن عباس وأما ربوة فلا أدري قرىء به أم لا وقال بعد ذلك  
قرئت بثلاثة أوجه (١).

٤ - واهتم ابن دريد باللغات الواردة عن قبائل العربية فقد ذكرنا ذلك سابقا  
وبخاصة لغة اليمن فذكرها فيما يقرب من ٢٢٠ موضعا وقد اهتم أيضا  
باللغات الأجنبية فاهتم بالإشارة إلى المغرب والدخيل من الرومية أو  
الجبشمية أو العبرية أو السريانية وهو بذلك مصدر هام للهجات  
والمغرب.

٥ - واهتم ابن دريد بأمثال العرب مثال ذلك مادة (عقن) في الثلاثي  
«والعناق من المعز خاصة والجمع عنق وعنوق ومثل من أمثال لهم العنوق  
بعد النوق (٢) وفي باب الرباعي الصحيح باب الياء والزاي في الرباعي  
الصحيح «وزعل اسم واشتقاقه من قولهم صبي زعل إذا كان سيء الغباء  
كادى الشباب ومثل من أمثالهم لا يكلم زعل (٣).

ومن ميزات الجهمرة باب النوادر وهو يقدم لنا نصورا نادرة للعربية نقلها  
عن علماء ثقات ريمت فيها أيضا وصف العرب الخالص لبعض أدواتهم مثل  
القوس والسهام والنعل وفيه أيضا مفردات لغوية برادفاتها ودقتها  
المغربية.

(١) الجهمرة لابن دريد ج ١ ص ٢٧٨.

(٢) نفس المصدر ج ٣ ص ١٣٢.

(٣) نفس المصدر ج ٣ ص ٢١٠.

وقد كان للمعجم أثر بارز وفضل كبير على العربية والمهتمين بها وقد كتب علماء حول الجهرة ومنهم :

- ١ - أبو عمر الزاهد المتوفى عام ٣٤٥ هـ وقد كتب فائت الجهرة .
- ٢ - صاحب ابن عباد المتوفى عام ٣٨٥ هـ وقده اختصر الجهرة وسمى كتابه جوهرة الجهرة وافتخر بكتابه هذا وقال عند اتمامه :
- لما فرغنا من نظام الجوهرة اعورت العين ومات الجهرة ووقف التصنيف عند القنطرة
- ٣ - ابن التيانى المتوفى عام ٤٣٦ هـ وكتابه الموعب .
- ٤ - أبو العلاء المعرى المتوفى عام ٤٤٩ هـ وكتابه نشر شواهد الجهرة وقد شرح الشواهد .
- ٥ - يحيى بن معط المتوفى عام ٦٠٨ هـ وكتابه نظم الجهرة .
- ٦ - شرف الدين محمد بن نصر الله بن عنين الانصارى الشاعر المتوفى عام ٦٣٠ هـ وكتابه مختصر الجهرة .

وكل هذه الكتب مفقودة وقد ذكر أبو العلاء المعرى عن ابن دريد فى رسالة الغفران وسماء اخادوس وجعله من الندامى الذين اصطفاهم من أدباء الفردوس (١) .

ولقد كان كتاب الجهرة منهلا ينهل منه أسحاب المعاجم اللاحقين له

---

(١) رسالة الغفران : أبو العلاء المعرى - تحقيق الدكتور طه حسين

وغير ذلك من كتب الاسماء والطبقات والادب . وقد اتبع منهج ابن دريد في معجمه بعض اصحاب المعاجم ومنهم احمد بن فارس المتوفى عام ٢٩٥ هـ . والذي ألف معجمين هما كتاب المقاييس وكتاب الجمل وقد اتخذ ابن فارس منهجاً في كتاب المقاييس يقترب من أسس ابن دريد في تقسيم كتابه وترتيبه وقد اختلف معه في بعض الامور فقد سار على الترتيب الهجائي ولكنه خالفه في اتخاذه هذا الترتيب الاساس الاول للتقسيم وقد ذكر في مقدمة كتابه انه اعتمد على اشرف الكتب وأعلاها منها كتاب العين وكتاب الجهرة أما كتاب الجمل فيشترك مع كتاب المقاييس في مادته وقد حاول ابن فارس أن ييسر طريقة المعجم في الجمع والترتيب فلم يجمع المراد والصيغ والشواهد ويستكثر منها بل أراد منها الاجمال .

ولقد سارت المعاجم بعد ابن دريد متأرجحة بين منهج ابن دريد في الجهرة وبين منهج الخليل في العين فألف أبو علي الفارسي المتوفى عام ٢٥٦ هـ معجمه البارع وسار فيه على طريقة الخليل وسار على منهج الخليل أيضا أبو منصور الأزهرى المتوفى عام ٣٧٠ هـ في كتابه التهذيب وكتب ابن سيده — الأندلسى المتوفى عام ٤٥٨ هـ كتابه المحكم ويسير به على طريق الخليل أيضا وتطورت بعد ذلك حركة المعاجم في القرن الرابع وما بعده حتى عصر متأخر فقد اختاروا القافية أساسا للمعجم وقد نهج الجوهري المتوفى عام ٢٩٨ هـ هذا النهج في كتابه تاج اللغة وصحاح العربية ثم أتى ابن منظور المتوفى عام ٧١١ هـ وأخرج لنا موسوعته المعجمية « لسان العرب » ثم أخرج لنا الفيروزبادى المتوفى



عام ٨١٧ هـ القاموس المحيط ومن الذين ساروا على منهج يشابه ابن دريد وهو منهج الأبجدية العادية منهم الزخشرى المتوفى عام ٥٣٨ هـ فى كتابه أساس البلاغة ويتميز بإظهار المعانى الحقيقية عن المجازية ومار تأليف المعاجم حتى العصر الحديث بين منهج النمليات والأبجدية ذات التعليلات والقافية والأبجدية العادية وفى العصر الحديث نجد بعض اللغويين اللبنانيين يكتبون المعاجم منها محيط المحيط لبطرس البستاني المتوفى عام ١٨٨٢ م وقد اختصر بطرس البستاني محيط المحيط فى معجم سماه قطر المحيط ومن المعاجم اللبنانية معجم أقرب الموارد للشرتوتى ومعجم المنجد لأب لويس المعلوف .

ثم أخرج لنا مجمع اللغة العربية المصرى قاموس «المعجم الوسيط» وقد حاول فيه أن يتخلص من قيود الماضى وهاجم المعجم أغلب المعجمات القديمة واتهمها بالوقوف عند حد مكانى وزمانى معين وانها لا تسير العصر وقد أدلى المستشرقون بدلوهم فى الدلاء فقد كتب ادوارد لين Edward Lane قاموساً وسماه ( مد القاموس ) .

ومعجم Hanswehr وقد ظهر بالألمانية والانجليزية وقد حاول أ . فيشر أن يضع معجماً تاريخياً ومن مبادئه (١) التى نوى أيضاً احكامها لى يكون المعجم ممتازاً .

١ - المفردات ينبغى أن يسجل من مفردات اللغة ما يعرف باسم الفصح .

(١) المعاجم العربية : دكتور عبد الله درويش ٢٨٥ ومقدمة المعجم الوسيط  
تلم دكتور ابراهيم مذكور ص ٥ .

٢ - جمع المواد ينبغي أن توضع جزازات يشتمل عليهما الكلمات المختلفة .

٣ - ترتيب الكلمات ينبغي أن يتبع في ذلك ترتيب الأبجدية العادية .

أما المنهج الذى أراد أن يتجه اليه فن الناحية التاريخية فان فيشر وجد أن كل كلمة فى اللغة العربية لها تطورها الخاص ويجب أن تقيد على حسب الترتيب التاريخى بين أقدم الشواهد وأحدثها ومن الناحية الصرفية فيشمل تصريف الاسماء والافعال مع ذكر الصيغ المختلفة ككل كما ينبى على تمييز الكلمة من ناحية الأفراد والجمع والتذكير والتأنيث . ومن الناحية النحوية ترتيب كلمات لها مواضع معينة مثل فقط وانما ومن الناحية الأسلوبية وهى تتمثل فى بيان مدى سعة استعمال الكلمة .

## الخاتمة ونتائج البحث

وبعد فهذا هو ابن دريد والجمهرة رسم به الخطى لكل من سار بعده اما مقلدا أو مخالفا ونستطيع أن نقول إن كتاب الجمهرة رغم الهجوم عليه ورغم بعض العيوب يعتبر ترانا خالداً لازهى فترات العربية ونهضة علومها ومن خلال دراستي لحياة العصر الذى نشأ فيه ابن دريد وحياة ابن دريد ومؤلفاته العامة نستطيع أن نستخلص النتائج الآتية :

إن ابن دريد كان نابغا منذ نعومة أظفاره وكان حبه للعلم يفرق كل شئ وأنه كان متعلقاً بقومه فى كثير من الاحيان ولدينا قصيدتان من ديوانه تتعلقان بقومه ولدينا اهتمام باخبار اليمن فى كتاب الجمهرة ولكننا نرى أنه لم يذكر لغة الازد وهى أصله إلا مرات قليلة وقد اهتم بذكر أخبار حمير وبعض أخبار أهل اليمن والتي رواها عنه تلميذه أبو على القالى فى كتاب الامالى ووجدت أن ابن دريد لم يجد شهرة إلا بين يدي ابنى ميكال وفى نهيهما كتب أهم مؤلفاته ( الجمهرة والمقصورة ) وكان ابن دريد يحس دائما بأنه لم يأخذ حظه فى بغداد ولذا فهو يرى بعض علماء عصره بالجهل وقد كتب فى شعره عن أخلاق الناس وفى مقصودته نجده يتحدى الزمن ويتحمل الشدائد ومن دراستنا لحياته نستنتج أنه كان يشرب الخمر وان كان قد تاب عنها فى آخر حياته أما حياته الخاصة فلم نعلم عنها شيئا — هل تزوج أم لا وهل كان له خلف فلم تذكر كتب الطبقات شيئا عن ذلك . أما عن حياته العلمية فنستنتج أنه كان مرسوعة لغوية فقد تنوعت أعماله وكثرت وشارك فى النهضة العلمية التى كانت تؤتى ثمرها وتؤسس علوم العربية التى يحتاجها القرآن الكريم والحديث الشريف وقد شارك ابن دريد فى مراحل الجمع الاولى للغة فكتب رسالتين أولاهما فى صفة السرج واللجام والثانية

في صفة السحاب والغيث وقد نشر الرسلتين مستشرقاهو رايت ونحن نطالب  
 بذئش هاتين الرسلتين وإعادة طبعهما في مصر باعتبارهما من الجهود المبكرة للنهضة  
 اللغوية في العصور الأولى . وقد شارك ابن دريد أيضا في كتاباته في غريب  
 الحديث والقرآن الكريم والأمالى وقد ضاع معظم هذه الرسائل . أما كتاب  
 الاشتقاق فيعد أول كتاب من نوعه في متن اللغة يحلل الاعلام ويشرح أصول  
 اشتقاقها أسماء المتشابه منها وقد جمع فيه مجموعة رائعة من مرادفات الالنة وأشعار  
 العرب وأخبارهم وهو ذخيرة حية لكل باحث يريد ضبط الاعلام ومعرفة أخبار  
 العرب وقبائلهم ونجدته في كتاب الملاحن ينفرد بطريقة خاصة لمعالجة اللغة  
 والتجارب عليها وهو يفيدنا في دراسة تطور الكلمة ومعانيها الاصطلاحية والمجازية  
 والحقيقية . أما ابن دريد شاعرا فقد استنتجت أنه كان ينظم الشعر إذا دعت  
 الحاجة إلى ذلك وأنه كان يترق في الغريب ببعض الألفاظ لإظهار تمكنه من اللغة  
 أو لتعليم الناشئة وأما مقصورته فنستنتج أنه أول من اخترع هذا الفن من  
 القصائد الطوال التي يشتمل أغلبها على المقصور في اللغة وقد تبعه كثيرون وسموا  
 قصائدهم مقصورات على نمط ابن دريد وكان ابن دريد في مقصورته مضطرب  
 النفس يحس بلوعه الأسى لأنه لم يصل إلى العلو والشهرة بين علماء بغداد . أما  
 دراسته للمعجم الجهرية فنستنتج أنه كان أول من ألف معجما على الترتيب الهجائي  
 في اللغة العربية بمعناء المكتمل وأن عيوب المعجم من التصحيف والخلط في المنهج  
 وعدم نسبة الأبيات إلى قائلها والاختفاء العرفية وتكراره المواد وخلطه بينها  
 في كثير منها هذه العيوب هي نفسها عيوب المعاجم القديمة ولا ينفرد بها ابن  
 دريد وحده .

ولكننا نستطيع أن ننتفع بالجهرية في كثير من الوجوه فهو يحرى بجموعه من  
 المفردات اللغوية التي كان ينطقها العرب الخالص ويحوى أيضا تراثا شعريا لشعراء

ضاع شعرهم ويفيدنا في دراسة اللهجات العربية فعند ذكر في معجمه **كثيراً** من اللهجات وأغات القبائل . وإذا كان المحدثون يرون في أن المعجم العربي القديم على غزارة مادته وتنوع أساليبها أضحى لا يواجه حاجة العصر ومقتضباته في شروحه غرض وفي بعض تعاريفه خطأ وفي تبويبه لبس (١) . ويذكرون أن أصحاب المعاجم القديمة أبوا إلا أن يقفوا باللغة عند حدود زمانية ومكانية ضيقة فقدت كثيراً من معالم التطور فهل يعد معجم ابن دريد لا قيمة له في عصرنا الحديث وماذا يريد المحدثون من المعجم ؟

إن دراسة التراث القديم ضروري جداً لفهم اللغة ومعرفة أصولها ثم التقدم بعد ذلك إلى المنهج الحديث وإذا كان المحدثون يرون أنه لا يمكن أن يكون المعجم مكتملاً فلا بد من فتح باب الوضع للمحدثين بمسائله المعروفة من اشتقاق وتجزؤ وإرتحال وإطلاق القياس وتحرير السماع من قيود الزمان والمكان ليشمل ما يسمع اليوم من طوائف المجتمع والاعتداد بالألفاظ المولدة وتسويتها بالألفاظ المأثورة عن القدماء (٢) . إذا كان هذا رأيهم في المعجم الحديث فإن المعاجم القديمة مازالت صرحاً شامخاً يزخر بالمفردات اللغوية الفصيحة ويحوى تراناً خالداً للشعر والحديث الشريف وأخبار العرب ومعيناً لكل باحث .

(١) مقدمة المعجم الوسيط الدكتور إبراهيم أبو مديكور ص ٥

(٢) نفس المرجع ص ٧ .



## المصادر والمراجع

- ١ - أخبار الحلاج : تصحيح عبد الحفيظ محمد مدني هاشم ، مطبعة باب الخلق القاهرة ١٩٥٠ .
- ٢ - أخبار النحويين البصريين ، للسيراني ، نشره كركوك في الجزائر وباويس ١٩٣٥ ، ونشره محمد خنماجي بالقاهرة ١٩٥٥ .
- ٣ - إسلام بلا مذاهب : دكتور مصطفى الشكعة ، بيروت ١٩٧٢ .
- ٤ - الاشتقاق : محمد بن دريد ، طبعة جوتنجن ؛ ١٨٥ م ثم حققه عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٥٨ .
- ٥ - الاشتقاق والتعريب : عبد القادر المغربي ، لجنة التأليف ١٩٤٦ .
- ٦ - الألفاظ الكتابية : عبد الرحمن الهمداني ، مطبعة الجمالية ، الطبعة الأولى ١٣٣٣ هـ .
- ٧ - الأملاني : لأبي علي القالي ، دار الكتب ١٩٢٦ م .
- ٨ - الأملاني : غيد الرحمن الزجاجي ، مطبعة السعادة ١٣٤٣ هـ .
- ٩ - انباه الرواة على أنباه النحاة : جمال الدين القفطي ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٥٠ ، ١٩٥٥ ، ١٩٧٢ .
- ١٠ - أنوار الربيع في أنواع البديع : علي صدر الدين بن معصوم المدني ، النجف الأشرفي - بغداد ١٩٦٠ .
- ١١ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : جلال الدين السيوطي تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٦٤ .

١٢ — تاج العروس من جواهر القاموس : السيد مرتضى الزبيدي ، القاهرة ١٣٠٧ هـ .

١٣ — تاج اللغة وصحاح العربية : أبو نصر الجوهري ، طبعة بولاق ١٢٨٢ هـ وتحقيق احمد عطار ، القاهرة ١٩٥٦ .

١٤ — تاريخ الأدب العربي : كارل بروكلمان ، ترجمه عبد المليم الفجار ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٩ / ١٩٦٢ .

١٥ — تاريخ الإسلام السياسي : الجزء الثالث ، دكتور حسن إبراهيم حسن ، مطبعة النهضة المصرية ١٩٦٠ .

١٦ — تاريخ الطبرى ( تاريخ الرسل والملوك ) ابن جرير الطبرى ، مطبعة الحسينية ١٣٢٦ هـ .

١٧ — تاريخ بغداد : ( أو مدينة السلام ) للخطيب البغدادي : ٤ أجزاء ، مطبعة السعادة ١٣٩١ هـ .

١٨ — تاريخ الشعوب الإسلامية : كارل بروكلمان ، ترجمة نبيه فارس ، منير البعلبكي - بيروت .

١٩ — تاريخ النقد الأدبي عند العرب : دكتور عبد العزيز عتيق ، بيروت ١٩٧٤ .

٢٠ — تجارب الأمم لابن مسكويه ، نشره ه . ن . امدرود ، القاهرة عام ١٩١٥ .

٢١ — الانجازات الشعرية في القرن الثاني الهجرى : دكتور محمد مصطفى هداره - دار المعارف ، القاهرة .

٢٢ — تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان : محمد بن حلوم السالمى ، الطبعة الأولى ١٣٣٢ هـ .



٢٣ — تهذيب اللغة : أبو منصور الازهرى تحقيق عبد السلام هارون وآخرين

القاهرة ١٩٦٤ / ١٩٦٧ .

٢٤ -- التيارات الأجنبية في الشعر العربى منذ العصر العباسى حتى القرن الثانى

المجربى : دكتور عثمان مواتى ، مؤسسة الثقافة بامسكندرية ١٩٧٣ .

٢٥ — جهرة اللغة : محمد بن دريد تحقيق كركو ومحمد السيد الندوى ، حيدر اباد

الدكن ١٣٣٤ هـ وأعاد طبعه بالافست مكتبة المثنى ببغداد .

٢٦ — حديث الاربعاء : دكتور ظه حسين : جزء ثان ، دار المعارف ١٩٥٢ .

٢٧ — الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع المجرى : آدم متز ، ترجمة: دكتور

محمد أبو ريده .

٢٨ — الحياة الادبية فى العصر العباسى : محمد عبد المنعم خنجاى ، القاهرة

١٩٥٤ :

٢٩ — خزائن الادب : عبد القادر بن عمر البغدادى : طبع القاهرة ١٢٩٩ هـ

١٩٣٠ م ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٦٧ .

٣٠ — الخصائص : ابن جنى ، تحقيق محمد على النجار ، دار الكتب

١٩٥٢ .

٣١ — الخليل بن احمد الفراهيدى : تأليف مهدي الخزومى ، بغداد

١٩٦٠ .

٣٢ — دلالة الالفاظ : دكتور ابراهيم أتياس ، مطبعة مكتبة الانجلو ،

القاهرة ١٩٥٨ م .

٣٣ - دول الاسلام : شمس الدين الذهبي ، القاهرة ١٣٣٢ هـ ، وأصدرته دار

الشعب بالقاهرة فى أجزاء صغيرة عام ١٩٧٥ .

- ٣٤ - ديه ان ابن المعتز : تحقيق الخياط ، المكتبة العربية ، دمشق ١٣٧١ هـ
- ٣٥ - ديوان أبي تمام : تحقيق محمد عزام : دار المعارف بمصر .
- ٣٦ - ديوان محمد بن دريد : تحقيق محمد بدر العلوى ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٥ هـ .
- ٣٧ - رأى فى المقامات : دكتور عبد الرحمن ياغى ، طبعة بيروت ١٩٧١ .
- ٣٨ - رسالة فيما ورد فى القرآن الكريم من لغات العرب : أبو عبيد القاسم ابن سلام ( هامش تفسير الجلائن - طبع الحلبي ١٣٤٢ هـ ) .
- ٣٩ - زهر الآداب وثمر الالباب : أبو اسحق الحصرى ، القاهرة ١٩٢٥ .
- ٤٠ - سر صناعة الاعراب : ابن جنى ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، طبع الحلبي ، القاهرة ١٩٥٤ .
- ٤١ - شرح شواهد المغنى : جلال الدين السيوطى : طبع بتصحيح الشنقيطى القاهرة ١٣٢٢ هـ .
- ٤٢ - شرح مقصورة ابن دريد ، التبريزى ، دمشق ١٩٦١ .
- ٤٣ - صفة السحاب والغيث ، صفة السرج والجام : محمد بن دريد ، ( ضمن مجموعة حرزة الحاطب وتحفة الطالب بإشراف وليم رايت ليدن ١٨٨٢ م ) .
- ٤٤ - الاصوات اللغوية : دكتور ابراهيم أنيس ، مكتبة النهضة ١٩٦١ .
- ٤٥ - ضحى الإسلام : أحمد أمين ، النهضة المصرية ، القاهرة .
- ٤٦ - طبقات الشافعية : ابن نقي الدين السبكي : مطبعة الحسينية ١٣٢٢ هـ .
- ٤٧ - طبقات الشعراء : لابن المعتز تحقيق عبد الستار فرج ، دار المعارف بمصر ١٩٥٦ .

٤٨ — طبقات الصوفية : عبد الرحمن السلى تحقيق دكتور أحمد الشرباصى ؛  
مطبعة الشعب ١٣٨٢ هـ .

٤٩ — طبقات النحويين واللغويين : أبو بكر الزبيدى ، تحقيق محمد أبو الفضل  
ابراهيم : طبع السعادة ١٩٥٤ .

٥٠ — ظر الإسلام : أحمد أمين : النهضة المصرية ، القاهرة .

٥١ — العربية : يوهان فلك ، ترجمة دكتور عبد الحليم النجار ، مطبعة الخانجى  
بمصر ١٣٧٠ هـ .

٥٢ — العقيدة والشرعية فى الإسلام : اجناس جولد تسيهر ، ترجمة دكتور على  
عبد القادر أحمد وآخرين ، القاهرة ١٣٨٦ هـ .

٥٣ — العقد الفريد : ابن عبد ربه ، القاهرة ١٣٤٦ هـ :

٥٤ — علم اللغة : مقدمة للقارئ العربى : دكتور محمود السهران ، دار المعارف  
بمصر ١٩٦٤ .

٥٥ — علم اللسان : أنطوان ماييه : ( ملحق بكتاب النقد المنهجي عند العرب )  
للدكتور محمد مندور ، القاهرة ١٩٥٥ .

٥٦ — العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده : ابن رشيق القيروانى : تحقيق  
محمد محى الدين عبد الحميد ، طبعة التجارية ١٩٦٣ .

٥٧ — فرق الشيعة : النوبختى ، مطبعة النجف الأشرف ١٩٣٦ .

٥٨ — فقه اللغة وسر العربية : أبو الثعالبي ، تحقيق مصطفى السفا و ابراهيم  
الابيارى ، القاهرة ١٩٣٨ .

٥٩ — فقه اللغة فى الكتب العربية : دكتور عبده الراجحي ، مطبعة النهضة ،  
بيروت ١٩٧٢ .

- ٦٠ — الفلاحة المنملر كون : الدلحى ، طبعه الشعب ١٢١٢ هـ .
- ٦١ — الفن ومذاهبه فى الشعر العربى : دكتور شوقى ضيف ، دار المعارف سنة ١٩٦٠ .
- ٦٢ — الفن ومذاهبه فى النثر العربى : دكتور شوقى ضيف ، دار المعارف سنة ١٩٦٠ .
- ٦٣ — الفهرست : لابن النديم تحقيق فلوحلى ، ليبزج ١٨٧١ ، ونشر بالقاهرة عام ١٣٤٨ هـ .
- ٦٤ — القرآن الكريم .
- ٦٥ — الكامل فى التاريخ : ابن الاثير ، القاهرة ١٢٥٣ هـ .
- ٦٦ — كلام العرب من قضايا اللغة العربية : دكتور حسن ظاظا ، دار المعارف بمصر ١٩٧١ .
- ٦٧ — لحن العوام : أبو بكر الزبيدى : تحقيق دكتور رمضان عبد التواب ، القاهرة ١٩٦٤ .
- ٦٨ — لسان العرب : ابن منظور طبعة بولاق ١٣١٠ ، وطبعة مصوره عن طبعة بولاق ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٢ ) .
- ٦٩ — اللثة : ج : فندريس ترجمة الدراخلى والقصاص ، مكتبة الانجلو ١٩٥٠ .
- ٧٠ — اللهجات العربية فى القراءات القرآنية : دكتور عبده الراجحى ، دار المعارف ١٩٦٨ .
- ٧١ — متن الغاية والتقريب : ابن الحسين الاصفهانى ، مطبعة الجمالية عام ١٩٤١ .
- ٧٢ — المجتنى : محمد بن دريد : تحقيق السيد الندوى ، حيد آباد ١٣٤١ هـ .

- ٧٣ — المختصر : ابن سيده لاندلسي ، بلاق ١٣١٨ هـ .
- ٧٤ — المدارس النحوية : دكتور شوقي ضيف : دار المعارف ١٩٦٢ :
- ٧٥ — مراتب النحويين : أبو الطيب اللغوي : تحقيق محمد أبو الفضل مطبعة نهضة مصر ١٩٧٥ هـ .
- ٧٦ — مروج الذهب ومعادن الجوهر : علي بن الحسين المسعودي تحقيق محمد محي الدين ، مطبعة السمادة ١٢٦٧ هـ .
- ٧٧ — المزهر في علوم اللغة وأنواعها : جلال الدين السيوطي تحقيق محمد أبو الفضل وآخرين ، القاهرة ١٩٥٨ .
- ٧٨ — المستشرقون : نجيب العميق ، دار المعارف ١٩٦٤ جزء أول جزء ثان وجزء ثالث عام ١٩٦٥ .
- ٧٩ . المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : الفيومي المطبعة الاميرية القاهرة ١٩١٢ .
- ٨٠ — معاني الشعر : أبو عثمان الاشعري ، دمشق ١٩٢٢ ، وتحقيق صلاح المنجد القاهرة ١٩٦٤ .
- ٨١ — المعاجم اللغوية : دكتور ابراهيم نجما ، طبع القاهرة ١٩٦٩ .
- ٨٢ — المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث ، دكتور محمد أبو الفرج : بيروت ١٩٦٦ :
- ٨٣ — معجم الادباء : ياقوت الحموي ، تحقيق أحمد فريد رفاعي : ١٩٣٦ .
- ٨٤ — معجم البلدان : ياقوت الحموي : تحقيق فستنفلد ليسزج ١٨٦٦ —
- ١٨٧٠ م

- ٨٥ — معجم الشعراء : المرزباني ، تحقيق عبد الستار فرج ، القاهرة ١٩٦٠ .
- ٨٦ — المعجم العربي : نشأته وتطوره : دكتور حسين نصار ، الطبعة الثانية القاهرة ١٩٦٨ .
- ٨٧ — المعجم الوسيط : ( مجمع اللغة العربية ) : باسراء ابراهيم مصطفى وآخرين ، مصر ١٩٦٠ .
- ٨٨ — المغرب : أبو منصور الجواليقي ، تحقيق أحمد شاكر ، دار الكتب ، القاهرة ١٩٤٢ .
- ٨٩ — المقامة ( من فنون الادب العربي ) دكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر سنة ١٩٥٤ .
- ٩٠ — مقاييس اللغة : ابن فارس ، تحقيق عبد السلام هارون ، طبع الحلبي ، ١٣٧٨ هـ . القاهرة .
- ٩١ — الملاحن : محمد بن دريد ، نشره ابراهيم أطفيش الجزائري ، القاهرة ١٣٤٧ هـ .
- ٩٢ — مناهج البحث في اللغة : دكتور تمام حسان ، القاهرة ١٩٥٥ .
- ٩٣ — المنصف في شرح كتاب التصريف : البازني ، ( شرحه أبر الفتاح ابن جني ) تحقيق ابراهيم مصطفى وآخر ، طبع الحلبي ، القاهرة ١٨٥٢ .
- ٩٤ — النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ، دار الكتب ١٩٦٤ .
- ٩٥ — النثر الفني في القرن الرابع الهجري : دكتور زكي مبارك ، المطبعة التجارية عام ١٩٥٧ .

٩٦ — نرمة الالباء في طبقات الأدباء : ابن الانبارى ، تحقيق محمد أبو الفضل  
ابراهيم ، القاهرة ١٩٦٠ .

٩٧ — نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام : دكتور على سامى النشار ، دار المعارف  
عام ١٩٦٠ .

٩٨ — نهاية الارب فى فنون الادب : النويرى ، نسخة مصورة من طبعة دار  
الكتب ، وزارة الثقافة عام ١٩٦٥ .

٩٩ — وفيات الاعيان : ابن خلكان : تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، القاهرة  
عام ١٩٤٢ .

١٠٠ — يتيمة الدهر : أبو منصور السعالى ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ،  
القاهرة ١٩٥٦ .

## الدوريات والمخطوطات

- ١ — صحيفة الجامعة المصرية ، إبريل ١٩٢٠ م
- ٢ — مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد الأول ١٩٥١ م .
- ٣ — مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، إبريل ١٩٧٠ م والجزء الثاني مجلد (٤٠) كانون الثاني ١٩٥٦ .
- ٤ — مجلة مجمع اللغة العربية المصري . المجلد الحادي عشر ١٩٥٩ م .
- ٥ — أخبار ابن دريد ، تأليف محمد بن دريد ، مخطوط بقلم الشنقيطي مكتبة كلية الآداب ، الاسكندرية ، تحت رقم ١٠ م .
- ٦ — تخميس المقصورة الدريدية ، تأليف محمد السعيد الجوارى المشهور بابن الملا جرجيس ، مخطوط مكتبة بلدية الاسكندرية رقم ١٩٣٧ (د) .
- ٧ — شرح مقصورة ابن دريد : ( لا يعلم ، ولفها ) مع ثلاث قصائد لذي الرمة ، مخطوطة ببلدية الاسكندرية رقم ١٢٧٧ (ب) .
- ٨ — شرح مقصورة ابن دريد : تأليف محمد بن عشاء اللخمي ، تحت عنوان ( الفوائد المقصورة في شرح المقصورة ) مخطوطة مكتبة بلدية الاسكندرية تحت رقم ١٢٨٨ (ب) .
- ٩ — شرح مقصورة حازم ، مخطوط بمكتبة بلدية الاسكندرية تحت رقم ١٠٤٥ (ب) .

## مراجع أجنبية

1. Studies in Phonetics, linguistics, Oxford, Abercrombie.
2. Whats linguistics, London 1959, Crystal, David.
3. Language Truth ; and logic, A. J. Ayer.
4. Aspects of language study by ALI G. E. AZZAT, BEIRUT 1973.



## الفهم — رس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥

## الباب الاول

## الفصل الاول :

الحياة السياسية والنفائية والاجتماعية في عصر ابن دريد	١١
أولا : الحياة السياسية	١٣
ثانيا : الحياة الدينية في عصر ابن دريد	٢٧
١ — علوم القرآن الكريم	٢٧
٢ — علوم الحديث الشريف	٣٥
٣ — الفقه	٢٤
الحركات والمذاهب الاسلامية الاخرى :	٢٦
أ — المعتزلة	٣٦
ب — الاسماعيلية	٣٨
ج — الخوارج	٤١
د — المتصوفة	٤٢
ثالثا : الحياة الادبية	٤٨
أ — الشعر وأعلام الشعراء	٤٨
ب — النثر والقد	٥٩
ج — اللغة والنحو والعلوم الاخرى	٦١
رابعا : الحياة الاجتماعية	٦٩

## الفصل الثاني :

خيصة ابن دريد . . . . . ١٥

## الباب الثاني

## الفصل الاول :

آثاره . . . . .	١٢٧
١ - كتاب الاشتقاق . . . . .	١٣٠
٢ - كتاب المجتنى . . . . .	١٤٣
٣ - كتاب الملاحن . . . . .	١٥١
٤ - كتاب صفة السرج والجام وصفة السحاب والغيث . . . . .	١٦٢
٥ - الديوان . . . . .	١٧٦
٦ - المقصورة الدريدية وسروحاتها . . . . .	١٩٨
٧ - أخبار ابن دريد ( مخطوط ) . . . . .	٢١٤

## الفصل الثاني :

كتاب جمهرة اللغة . . . . .	٢٢٣
١ - نشأة المعاجم العربية . . . . .	٢٢٥
٢ - منهج الخليل في كتاب العين . . . . .	٢٤٤
٣ - كتاب بجمهرة اللغة . . . . .	٢٦١

الموضوع	الصفحة
أ — منهج ابن دريد في الجهرة	٢٦٧ . . . . .
ب — مقدمة الجهرة	٢٧٣ . . . . .
ج — مناقشة منهج ابن دريد في جهرة اللغة	٢٨٤ . . . . .
د — تحليل بعض مواد الجهرة	٢٩١ . . . . .
هـ — شواهد الجهرة	٢٩٦ . . . . .
و — اللغات واللهجات في معجم الجهرة	٢٩٩ . . . . .
ز — الغريب والمهمل في معجم الجهرة	٣٠٦ . . . . .
ح — معنى الكلمة ومدلولها في معجم الجهرة	٣٠٨ . . . . .
ط — المهاجمون للجهرة	٣١٢ . . . . .
الخاتمة ونتائج البحث	٣٢٧ . . . . .
المصادر والمراجع	٣٣١ . . . . .
الفهرست	٣٤١ . . . . .



المطبعة العصرية

هـ شارع كافور بالحضرة - اлександريه